جامعة الجيلالي بونعامة – خميس مليانة –

كلية العلوم الاجتماعية و الإنسانية

قسم العلوم الاجتماعية

شعبة الفلسفة

مطبوعة دروس: مدارس الفلسفة اليونانية

موجهة إلى طلبة السنة الثانية ليسانس (نظام ل.م.د)

من إعداد الدكتور: حسين لوكيلي

جامعة الجيلالي بونعامة خميس مليانة
المجلس العلمي
كلية العلوم الاجتماعية و الإنسانية

السنة الجامعية 2022 - 2023

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة

- **الأكاديمية الوسطى**	108
- **الأكاديمية الجديدة**	108
المحاضرة التاسعة: المدرسة الأرسطية	110
- **الفلاسفة المشاؤون الرئيسيون**	110
- **العصر القديم**	111
- **العصر الوسيط**	112
- **عصر النهضة**	113
المحاضرة العاشرة: المدرسة الرواقية	113
- المنطق الرواقي	114
- الطبيعة في نظر الرواقيين	115
- أخلاق الرواقيين	116
- الرواقيون والحكمة	117
المحاضرة الحادي عشر: المدرسة الأبيقورية	123
- القانون أو المنطق الأبيقوري	123
- فيزياء أبيقور	124
- الأخلاق الأبيقورية	125
قائمة المراجع	129

جامعة الجيلالي بونعامة خميس مليانة
كلية العلوم الإجتماعية و الإسلامية
المجلس العلمي

المحاضرة الأولى: عوامل نشأة المدارس اليونانية	9
أولا: مراحل نشأة الفلسفة اليونانية	10
ثانيا: عوامل نشأة الفلسفة اليونانية	11
المحاضرة الثانية: التفكير الأشطوري	18
- مرحلة التفكير الخرافي (التفكير اليوناني اللاهوتي)	18
- مقدمة	18
- المفهوم الاصطلاحي للأسطورة	18
ثانيا: خصائص الأسطورة	21
ثالثا: نظريات تفسير أصل الأسطورة	24
رابعا: ما وراء الميثولوجيا	28
خامسا: الأسطورة في الفكر اليوناني القديم	28
المحاضرة الثالثة: المدرسة الطبيعية	38
المحاضرة الرابعة: المدرسة الإيلية	57
المحاضرة الخامسة: (تابع المدارس اليونانية)	57
- المدرسة الذرية: (لوقيبوس – ديموقريطس)	71
- المدرسة الفيثاغورية: (الفيثاغورية – من هو فيثاغورس ؟ - الفلسفة الطبيعة	74
المحاضرة السادسة: المدرسة السفسطائية	82
المحاضرة السابعة: المدرسة السقراطية	92
- **مفهوم المدرسة السقراطية**	93
- **المنهج السقراطي**	102
- **محاكمة سقراط**	104
المحاضرة الثامنة: المدرسة الأفلاطونية	107
- **الأكاديمية القديمة**	107

المجلس العلمي

وحدة التعليم: الأساسية

المادة: مدارس الفلسفة اليونانية

الرصيد:5

المعامل: 2

أهداف التعليم:

(ذكر ما يفترض على الطالب اكتسابه من مؤهلات بعد نجاحه في هذه المادة، في ثلاثة أسطر على الأكثر)

– التعرف عل أهم المدارس اليونانية.

المعارف المسبقة المطلوبة:

(وصف مختصر للمعرفة المطلوبة والتي تمكن الطالب من مواصلة هذا التعليم، سطرين على الأكثر)

ثقافة عامة

محتوى المادة:

1-عوامل نشأة المدارس الفلسفية اليونانية

أ- العوامل التاريخية.

ب- العوامل الاقتصادية.

ج- العوامل السياسية.

د – العوامل الجغرافية.

هـ – العوامل الفكرية.

2-المدارس الفلسفية الكبرى في اليونان

-**المرحلة الأولى:** مرحلة التفكير الخرافي (الفكر اليوناني اللاهوتي)

-**المرحلة الثانية:** مرحلة المدارس الكبرى وهي على النحو الآتي:

أولا: المدرسة الطبيعية أو الكوسمولوجية:

-طاليس(621-550 ق.م)، - أنكسمانس (588- 524 ق.م) - انكساغوراس (500 ق.م) - هرقليطس (540 – 480 ق.م) - أمبادوقليس (حوالي 490 ق.م)

-ديمقريطس (460-370 ق.م

ثانيا: المدرسة الفيتاغورية: تنسب المدرسة الفيتاغورية إلى العالم الرياضي اليوناني الكبير فيتاغورس

ثالثا: المدرسة السوفسطائية: القرن الخامس قبل الميلاد. هيباس، جورجياس، وكاليكيس، وبروتاغوراس .

رابعا: المدرسة السقراطية: سقراط (486-399م.

خامسا: المدرسة المثالية الأفلاطونية: أفلاطون.

سادسا: المدرسة الأرسطية العقلانية الواقعية: أرسطو طاليس.

سابعا: المدرسة الرواقية: زينون (336-264ق.....)

ثامنا: المدرسة الابيقورية: أبيقور(270-341 ق.م.....)

تاسعا: مدرسة الإسكندرية: إقليديس، وأرخميديس، واللغوي الفيلولوجي إيراتوستن، وفيلون الإسكندري، وأفلوطين.

****– المراجع:** (*كتب ومطبوعات ، مواقع انترنت*، إلخ..

- Jacob André et des outres, **L'UNIVERS PHILOSOPHIQUE**, éditions PUF, Paris,1989.
- Jacob André et des outres, **Les œuvres Philosophiques**, Tome 1, PUF, Paris, 1990.
- Moreau (J.), Aristote et son école, (PUF)

- Platon , **La République** , Tr: Robert Baccou , Garnier –Flammarion , Paris.
- Rodis-Lewis (G.), Epicure et son école, Idées-Gallimard.

- Schuhl; Pierre Maxime; **L'œuvre de Platon**, Librairie philosophique J.Vrin; Paris, 1984.
- Strauss ,Leo Et Josep Cropsey **L'HISTOIRE DE LA PHILOSOPHIE POLITIQUE**, P.U.F, E1, PARIS, 1994.
-Brun (J.), Platon et l'académie, Que sais-je ?/PUF.

-Châtelet (F.), Platon, Folio-Essais.

– أبيقور، الرسائل والحكم، ترجمة جلال الدين سعيد، الدار العربية للكتاب، تونس، د. ط، 1991.

– أحمد بن الدّاية، العهود اليونانية، تحقيق: عمر المالكي، الشركة و.ش والتوزيع، الجزائر 1971.

– كيسيديس، ثيوكاريس، سقراط، تعريب طلال السهل، دار الفارابي، بيروت، ط1، 1987.

-نجيب بلدى (الأستاذ الدكتور)، تمهيد لتاريخ مدرسة الإسكندرية وفلسفتها، القاهرة: دار المعارف، ضمن سلسلة مكتبة الدراسات الفلسفية، 1962 م.

-يوسف كرم، تاريخ الفلسفة اليونانية، القاهرة: لجنة التأليف والترجمة والنشر، (سنة ؟194 م).

– بدوي، عبد الرحمان، خريف الفكر اليوناني.

– بدوي، عبد الرحمان، ربيع الفكر اليوناني.

المحاضرة الأولى عوامل نشأة المدارس الفلسفية اليونانية

مدخل:

تقول الدكتورة أميرة حلمي مطر التي لقبت بعاشقة اليونانيات في تصديرها لكتاب الفلسفة اليونانية: تاريخها ومشكلاتها: " ليست الفلسفة حديثاً حافلاً بالغموض تُثير مشكلات لا علاقة لها بالواقع ولا هي كنز من الأسرار يستعصي على العقل فهمه، ولكنّها مُرشد للفكر يشحذه للإبداع ويُلقي الأضواء على كثير من الأفكار التي يسلّم بها أكثر الناس تسليماً بغير نقد ولا اختبار"[1]. وإذا كانت الأمم القديمة السابقة لليونان قد عرفت حضارات وعلوم و فنونا وفكرا بمثل ما نجده في مصر الفرعونية والهند والصين وآشور وبلاد الفرس...الخ، إلا أن محبة الحكمة التي تمثلها الفلسفة باعتبارها نمطا متميزا من التفكير قد اختص به اليونان وينسب إلى عبقرية العقل اليوناني، لهذا لا غرابة في أن نسمع مفاهيم بمثل "المعجزة اليونانية" و "المنطق اليوناني " و "الخلق من عدم". غير أنه، كما يقول عبد الرحمن مرحبا: " ليس معنى هذا أن الأمم الشرقية خلت من كل تفكير فلسفي وتمحيص عقلي، كلا فلقد كان لدى الشرقيين عناصر هامة من التفكير الفلسفي والحكمة العقلية، لكن هذه العناصر لم ترتق إلى مستوى البحث النظري والرؤية الشاملة الكلية، بل ظلت محجوبة بسحب كثيفة من المذاهب الدينية والأساطير الشعبية والاهتمامات العملية. فضلا عن أنها ظلت مفككة مقطعة الأوصال"[2]. وإذا كان فيثاغورس هو أول من أطلق كلمة فيلسوف على المشتغل بالحكمة، فإن سقراط هو أول من أنزل الفلسفة من السماء إلى الأرض.

بالنسبة للكثيرين، الفلسفة اليونانية هي الفلسفة بامتياز. في الواقع، تأسست الفلسفة عند الإغريق كنظام مستقل، متميزًا عن الدين والعلوم الوضعية في آن واحد. إنه عندهم ربما تم رفعها إلى أعلى درجة من الاكتمال. وقد ظهرت الفلسفة كما هو معلوم في اليونان ونضجت بالخصوص في عاصمتها أثينا مابين القرنين: السادس والرابع قبل الميلاد مكتوبة باللغة الإغريقية مستهدفة فهم الكون والطبيعة والإنسان وتشخيص سلوكه الأخلاقي والمجتمعي والسياسي وإرساء مقومات المنهج العلمي والبحث الفلسفي والمنطقي. بدأت الفلسفة اليونانية

---

[1] أميرة حلمي مطر، **الفلسفة اليونانيّة تاريخها ومُشكلاتها**، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة/مصر، 1998، ص9.

[2] عبد الرحمن مرحبا، **مع الفلسفة اليونانية**، منشورات عويدات، بيروت/باريس، ط3، 1988، ص.59.

حوالي 600 قبل الميلاد، وانتهت في القرن السادس الميلادي. في السابق كان لدينا أشعار حكمية، لكن بدون أي طابع تأملي.

لكن إذا كان التفسير العلمي لا يؤمن بالصدفة والعبثية، بل يؤمن بأن لكل ظاهرة سببا أو مجموعة أسباب وشروط تؤدي إلى حدوثها، فهذا المنطق العلمي يقودنا إلى التساؤل عن نشأة الفلسفة عموما والفلسفة اليونانية بوجه خاص والعوامل التي ساهمت في تشكيل الفكر الفلسفي. غير أن مدخلنا الرئيس الذي سيفيدنا في معرفة هاته الفلسفة ومدارسها بشكل واضح سيختزله التساؤل التالي: لماذا نشأت الفلسفة (التي لم نعد نميزها عن "الحكمة") في العالم اليوناني في بداية القرن السادس قبل الميلاد؟ يوجد هنا سؤال لا يزال مفتوحًا، ولكن تقدمت الدراسات الحديثة على الأقل من خلال استبعاد الإجابات الخيالية. كان هيجل بالفعل ساخرًا بشأن التفسيرات الجغرافية أو المناخية، لأنه كتب في عام 1821، "يعيش الأتراك الآن حيث كان اليونانيون يعيشون يوما ما"[3]. لاحقًا، سيتحدث رينان عن "المعجزة اليونانية". نحن اليوم مجهزون بشكل أفضل لتحديد بعض الظروف التي جعلت هذه المعجزة المزعومة ممكنة. من هذا المنطلق يجدر بنا طرح التساؤل التالي: ما هي أهم العوامل والأسباب التي ساهمت في تشكيل وبلورة الفكر الفلسفي عند اليونان؟

-أولا- مراحل الفلسفة اليونانية:

يمكن تقسيم الفلسفة اليونانية في تطورها على مدار 1200 عام إلى ثلاث فترات رئيسية:

1- من طاليس إلى سقراط (من القرن السادس إلى القرن الرابع قبل الميلاد)، وهي الفترة التي يعطي لها إدوارد زيلر (Eduard Zeller) اسم المذهبية المادية، وهو مصطلح يمكن تطبيقه على جزء من الفلسفة قبل السقراطية، ولكن لم يعد يشار إليه للحديث عن السوفسطائيين. " يمكن وصف الفترة الأولى بشكل غير دقيق على أنها فترة الفلسفة السابقة على سقراط وإن كانت لا تشمل السوفسطائيين الذين كانوا معاصرين وسابقين فى آن واحد على سقراط. وهذه الفترة هي ظهور الفلسفة اليونانية "[4].

---

[3] محمد بن حامد الأحمري، **ملامح المستقبل**، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت/لبنان، ط.3، 2010، ص. 143.

[4] كامل محمد محمد عويضة، **حصاد الفكر الفلسفي اليوناني**، دار الكتب العلمية، بيروت/لبنان، ط1، 1995، ص. 20.

2- من سقراط إلى مدرسة الإسكندرية (القرن الرابع قبل الميلاد)، وهي الفترة التي رأى فيها زيلر عصر فلسفة المفاهيم. وُلدت مع سقراط وأفلاطون وأرسطو، ثم تتمفصل بشكل أساسي حول مدرستين رئيسيتين: الأكاديمية (Académie)، التي أسسها أفلاطون، والليسيه (Lycée) أو اللوقيون التي شكلها أرسطو، والتي سرعان ما تفسح المجال لاتجاهين رئيسيين آخرين: الأبيقورية (Epicurisme) والرواقية (Stoïcisme).

3- فلسفة الإسكندرية (من القرن الرابع قبل الميلاد إلى القرن السادس الميلادي)، والتي يتحدث فيها زيلر عن الذاتية المجردة. تم تطوير هذه الفلسفة في الإسكندرية وفي الفضاء الثقافي السكندري. وهي ممثلة بالانتقائية (Eclectisme)، التي تحاول تجميع المذاهد السابقة، والأفلاطونية الجديدة (Néo-Platonisme)، التي تتناول موضوعات الأفلاطونية في سياق نزعة التصوف (mysticisme).

-ثانيا- عوامل نشأة الفلسفة اليونانية:

1- العوامـــل التاريخية:

عادة ما يقسم المؤرخون تاريخ العالم اليوناني القديم إلى فترات ثلاثة؛ أولها: الفترة المبكرة التي ظهرت فيها دول المدن بنظمها السياسية الديمقراطية الحرة، وثانيها الفترة المقدونية التي تمثلت فيها سيطرة مقدونيا (...) وأخيرا استقرت الأمور تحت سيطرة روما وبدأ عصر الامبراطورية الرومانية"[5]. تشكلت الحضارة اليونانية بشكل كامل في الفترة الممتدة بين القرن الخامس عشر إلى القرن التاسع عشر قبل الميلاد، وبعد أن كانت العديد من القبائل والمدن مشتتة في جنوب إيطاليا وبحر إيجه وشبه جزيرة المورة وآسيا الصغرى تجمعت تحت راية الأمة الإغريقية. تقول أميرة حلمي مطر: " أما من الناحية التاريخية فنعرف أنه قد تم للأمة اليونانية مقومات وجودها فيما بين القرنين الخامس عشر والتاسع عشر قبل الميلاد، وذلك بعد أن تم اندماج القبائل المختلفة التي استقرت في شبه جزيرة المورة وانتشرت في البلقان وجزر بحر إيجه وساحل آسيا الصغرى الغربي وجنوب إيطاليا وصقلية وهي المناطق التي أطلق عليها اسم بلاد اليونان الكبرى "[6]. وإذا كان اليونانيون يطلقون على أنفسهم تسمية الآخيين ثم الهلينيين، نجد أن الرومان كانوا يسمونهم الإغريق

[5] مصطفى النشار، **تاريخ الفلسفة اليونانية من منظور شرقي- المدارس المدارس الفلسفية اليونانية في العصر الهللينستي** -، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة/مصر، ط.1، 2013، ص. 9.

[6] أميرة حلمي مطر، **الفلسفة اليونانيّة تاريخها ومُشكلاتها**، مرجع سابق، ص. 35.

بسبب اللغة التي يتحدثون بها، أي اللغة الإغريقية. " وقد مرت الحضارة الإغريقية بثلاث مراجل كبرى: العصر الهلنستي ابتداء من 300 ق.م مرورا بالعصر الكلاسيكي الذي يعد أزهى العصور اليونانية في عهد الحاكم الديمقراطي بركليس، ويمتد هذا العصر من القرن 350 إلى 500 ق.م ليعقبه العصر الأرخي وهو عصر الطغاة والمستبدين الذين حكموا أثينا بالاستبداد ناهيك عن الحكم الإسبرطي العسكري الذي سن سياسة التوسع والهيمنة على جميع مناطق اليونان، كما مد سلطة نفوذه المطلق على أثينا. وإذا كانت إسبرطة دولة عسكرية منغلقة على نفسها تهتم بتطوير قدرات جيشها على القتال والاستعداد الدائم لخوض المعارك والحروب، فإن أثينا كانت هي المعجزة الإغريقية تهتم بالجوانب الفكرية والثقافية والاقتصادية. وستعرف أثينا في عهد بريكليس نظاما ديمقراطيا مهما أساسه احترام الدستور وحقوق المواطن اليوناني "[7]. وإليكم نصا خطابيا لبركليس يشرح فيه سياسته في الحكم: " إن دستورنا مثال يحتذى، ذلك أن إدارة دولتنا توجد في خدمة الجمهور وليست في صالح الأقلية كما هو الحال لدى جيراننا، لقد اختار نظامنا الديمقراطية "[8]. فبالنسبة للنزاعات التي تنتج بين الأشخاص فإن القانون يكفل بضمان العدل للكل، أما ما يتعلق بالمشاركة في الشؤون العامة، فجميع المواطنين لهم قيمتهم وفق مبدأ الاستحقاق والجدارة، وهو ما يعني النظر إلى شخصه بغض النظر عن النسب والطبقة التي ينتمي إليها.

2- العوامـــل الاقتصادية:

من بين الفرضيات الكثيرة لتفسير نشأة الفلسفة في بلاد اليونان نجد التفسير الاقتصادي الذي يكمن في تقديم اليونان كمكان للتبادل التجاري المكثف في تلك الفترة. بسبب بنائه وموقعه الجغرافي، أصبح المجتمع اليوناني مركزًا مهمًا للتجارة ويشكل قوة بحرية. هذا سمح للإغريق بالحصول على اتصالات وعلاقات مع ثقافات أخرى. الاتصال مع هذا التنوع جعلهم، من الشك والنسبية للثقافات الأخرى، ينتهي بهم الأمر إلى تنسيب ثقافاتهم. لقد "عرفت اليونان نهضة كبرى في المجال الاقتصادي لكونها حلقة وصل بين الشرق والغرب، وكان لأثينا أسطول تجاري بحري يساعدها على الانفتاح والتبادل التجاري بين

---

[7] عبد العزيز الشرقاوي، **الذكاء بين النوعية والشمولية**، دار المعارف، القاهرة/مصر، ط.1، 2013، ص. 41.
[8] رماز الأعرج، **فشل الديمقراطية وانتهاء صلاحيتها**، طوقان للنشر الرقمي، ط.1، 2020، ص. 72.

شعوب حوض البحر الأبيض المتوسط "[9]. إن التجارة كما هو معلوم تزيد في الأعمال وفي نفس الوقت تعزز تدفق الأفكار. " وقد ساهم اكتشاف المعادن في تطوير جوانب الاقتصاد اليوناني وازدهرت الفلاحة، وكان العبيد يسهرون على تفليح الأراضي وحصد الناتج الزراعى، ونتج عن هذا الازدهار الاقتصادي رخاء مالي اجتماعي"[10]. وقد ساعد هذا الاقتصاد المتنامي على ظهور طبقات اجتماعية جديدة إلى جانب طبقة النبلاء كالتجار وأصحاب الصناعات وأرباب الحرف والملاحين الكبار. ونتج عن هذا الازدهار الاقتصادي رخاء مالي واجتماعي وسياسي وفكري، وتبلورت طبقة الأغنياء التي ستتنافس على مراتب الحكم والسلطة وتسيير مؤسسات الدولة التمثيلية لتسيير شؤون البلاد. ومع ذلك، فإن هذه الوضعية الاقتصادية غير كافية لتفسير نشأة وتطور النهج التساؤلي حول حالة الإنسان وحالة الطبيعة.

3- العوامـــل السياسية:

" لم تصل اليونان إلى حضارتها المزدهرة إلا في جو سياسي ملائم لانبثاق مقومات هذه الحضارة "[11]، فقد تخلصت الدولة المدينة وخاصة أثينا من النظام السياسي الأوليغارشي القائم على حكم الأقلية من نبلاء ورؤساء وشيوخ القبائل والعشائر الذين كانوا يملكون الإقطاعيات والأراضي الواسعة التي كان يشتغل فيها العبيد الأجانب. و ثار الأغنياء اليونانيون الجدد على الأنظمة السياسية المستبدة كالنظام الوراثي والحكم القائم على الحق الإلهي أو الحق الأسري. " ومع انفتاح اليونان على شعوب البحر الأبيض المتوسط وازدهار التجارة البحرية ونمو الفلاحة والصناعة والحرف ظهرت طبقات جديدة كأرباب الصناعات والتجار الكبار والحرفيين وساهموا في ظهور النظام الديمقراطي وخاصة في عهد بريكليس وكليستين"[12]، ذلك النظام الحر الذي يستند إلى الدستور وحرية التعبير والتمثيل والمشاركة في الانتخابات على أساس المساواة الاجتماعية، بل كانت تخصص أجرة عمومية لكل من يتولى شؤون البلاد ويسهر على حل مشاكل المجتمع. من أجل ذلك كتب الفيلسوف برتراند راسل كتابه عن تاريخ الفلسفة الغربية في صلته بالظروف السياسية

---

[9] عبد العزيز الشرقاوي، **الذكاء بين النوعية والشمولية**، مرجع سابق، ص. 41.
[10] نفس المرجع والصفحة (ن.م.ص).
[11] نفس المرجع والصفحة (ن.م.ص).
[12] نفس المرجع والصفحة (ن.م.ص).

والاجتماعية ... لأن تفكير الفيلسوف يتأثر دون نزاع بالبيئة السياسية والاجتماعية ما دام يعيش فيها ويحاول تحليلها ومعرفة الأصول التي يقوم المجتمع عليها "[13].

4- العوامــل الجغرافية:

يقول عبد العزيز الشرقاوي في إبراز الدور الحاسم للمكان والجغرافيا في تبلور الفكر الفلسفي اليوناني: " كانت اليونان في القديم من أهم دول البحر الأبيض المتوسط لكونها مهد المدنية والحضارة والحكمة ومحل الفكر العقلاني والمنطق الإنساني. وإذا استعدنا جغرافيا اليونان إبان ازدهارها فهي تطل جنوبا على جزيرة كريت العظيمة، ويحيطها شرقا بحر إيجة وآسيا الوسطى التي كانت تمد اليونان بمعالمها الحضارية وثقافات الشرق، وفي الغرب عبر أيونيا تقع إيطاليا وصقلية وإسبانيا، وفي الشمال تقع مقدونيا وهي عبارة عن شعوب غير متحضرة .وتتشكل اليونان على مستوى التضاريس من جبال شاهقة وهضاب مرتفعة وسواحل متقطعة ووديان متقعرة. وقد قسمت هذه التضاريس بلاد اليونان إلى أجزاء منعزلة وقطع مستقلة ساهمت في تبلور المدن التي كانت لها أنظمة خاصة في الحكم وأساليب معينة في التدبير الإداري والتسيير السياسي. وتحولت المدينة اليونانية إلى مدينة الدولة في إطار مجتمع متجانس وموحد ومتعاون. وتحيط بكل مدينة سفوح الجبال والأراضي الزراعية، وكانت من أشهر المدن اليونانية أثينا وإسبارطة. وكانت أثينا مهد الفلسفة اليونانية وتقع في شرق إسبارطة، وموقعها متميز واستراتيجي؛ لأنها الباب الذي يخرج منه اليونانيون إلى مدن آسيا الصغرى، وعبر هذه المدن كانت تنقل حضارة الشرق إلى بلاد اليونان. ومن أهم ركائز أثينا اعتمادها على مينائها وأسطولها البحري. وبين عامي470-490 قبل المسيح ستترك أثينا وإسبرطة صراعيهما وتتوحدان عسكريا لمحاربة الفرس تحت حكم داريوس الذي كان يستهدف استعمار اليونان وتحويلها إلى مملكة تابعة للإمبراطورية الفارسية. ولكن اليونان المتحدة والفتية استطاعت أن تلحق الهزيمة بالجيش الفارسي. وقد شاركت أثينا في هذه الحرب الضروس بأسطولها البحري، بينما قدمت إسبارطة جيشها القوي، وبعد انتهاء الحرب سرحت إسبارطة جيوشها وحولت أثينا أسطولها العسكري إلى أسطول تجاري، ومن ثم أصبحت أثينا من أهم المدن التجارية في

[13] أحمد فؤاد الأهواني، **فجر الفلسفة اليونانية – قبل سقراط –**، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة/مصر، ط 1954،1، ص. 3.

حوض البحر الأبيض المتوسط .هذا، وقد عرفت أثينا نشاطا فكريا وفلسفيا كبيرا بفضل الموقع الجغرافي والنشاط التجاري ونظامها السياسي الديمقراطي وتمتع الأثيني بالحريات الخاصة والعامة وإحساسه بالمساواة والعدالة الاجتماعية في ظل هذا الحكم الجديد. وفي هذا يقول **ول ديورانت**: " كانت أثينا الباب الذي يخرج منه اليونانيون إلى مدن آسيا الصغرى، فأصبحت أثينا إحدى المدن التجارية العظيمة في العالم القديم، وتحولت إلى سوق كبيرة وميناء ومكان اجتماع الرجال من مختلف الأجناس والعادات والمذاهب وحملت خلافاتهم واتصالاتهم ومنافساتهم إلى أثينا التحليل والتفكير... وبالتدريج تطور التجار بالعلم، وتطور الحساب بتعقيد التبادل التجاري، وتطور الفلك بزيادة مخاطر الملاحة، وقدمت الثروة المتزايدة والفراغ والراحة والأمن الشروط اللازمة في البحث والتأمل والفكر"[14]. من جانبه يشير حسام محيي الدين آلوسي إلى الدور الحاسم للموقع الجغرافي لبلاد اليونان في تشكيل الفلسفة عندهم قائلا:" الموقع الجغرافي والتجاري، والسياسي والفكري، ويمكن تلخيصه ب « الظروف الخاصة الملطية » وملطية هي إحدى الجزر ألاثنتي عشرة التي تتكون منها إيونيا في آسيا الصغرى. ويمتاز هذا الإقليم بمناخه الجميل ووقوع مدنه عند مصبات الأنهار أو منتهى الطرق فتنقل البضائع برا ونهرا إلى شاطئ البحر الأبيض المتوسط ومنه بالسفن إلى كافة الأنحاء "[15].

5- العوامـــل الفكرية:

ومع ازدهار الاقتصاد ودمقرطة الحكم السياسي وانفتاح الدولة على شعوب البحر الأبيض المتوسط وانصهار الثقافات انتعشت اليونان ثقافيا وفكريا وتطورت الآداب والفنون و العلوم. ففي مجال الأدب نستحضر الشاعر هوميروس الذي كتب ملحمتين خالدتين: الإلياذة والأوديسة، ونذكر كذلك أرسطو الذي نظر لفن الشعر والبلاغة والدراما التراجيدية في كتابيه: \" فن الشعر\" و\" فن الخطابة\". وتطور المسرح مع سوفكلوس ويوربيديس وأسخيلوس وأريستوفان، وانتعش التاريخ مع هيرودوت وتوسيديد والتشريع مع الحكيم سولون، وتطور الطب مع أبقراط أب الأطباء، والرياضيات مع طاليس والمدرسة

---

[14] عبد العزيز الشرقاوي، **الذكاء بين النوعية والشمولية**، مرجع سابق، ص. 41-42.

[15] حسام محيي الدين آلوسي، **مدخل الى الفلسفة**، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت/لبنان، ط. 1، 2005، ص. 160.

الفتاغورية، دون أن ننسى ظهور الألعاب الأولمبية مع البطل الأسطوري هرقل، وتطور الفلسفة مع الحكماء السبعة والفلاسفة الكبار كسقراط وأفلاطون وأرسطو.

الخلاصة:

لم تكن اليونان (Helade) أكثر من مجموعة من دول-المدن (Polis) التي تطورت في شبه جزيرة البلقان في جنوب أوروبا. نظرًا لتضاريسها الجبلية، سمحت لمجموعات من الناس (ديموس) بالتشكل في عزلة طورت فيها كل مدينة استقلاليتها.

لتكونها من جزء من الأراضي القارية وأخرى من عدة جزر، وكذلك بسبب انخفاض خصوبة تربتها، كان على اليونان تطوير التجارة كنشاط اقتصادي رئيسي. وهكذا، واستفادة من سواحلها المتعرجة وموانئها الطبيعية، طورت أيضًا الملاحة لتوسيع الأعمال التجارية، وكذلك لاحقًا تأثيرها السياسي في ما يسمى بالمستعمرات.

لقد تم تنظيم المجتمع اليوناني وفقًا للنموذج الأرستقراطي التقليدي، استنادًا إلى الأساطير (روايات رائعة حول أصل الكون ونظامه)، حيث يحدد الانتماء والانتساب للوطن (المالكين) السلطة (الملك).

عادةً ما تُصنف هذه الطريقة في هيكلة وتشكيل المجتمع والتفكير في العالم على أنها الفترة الهوميرية (نسبة إلى هوميروس، الشاعر الذي يروي ظهور اليونان من حرب طروادة). لكن بمرور الوقت، تم إدراك بعض التناقضات وتطلبت تفسيرات جديدة. ثم تأتي الفلسفة. فيما يلي أهم العوامل التي ساهمت في ظهورها:

- الرحلات البحرية، حيث أجبر الدافع التوسعي التجار على مواجهة الأساطير والخرافات وبالتالي التحقق من خيال الخطاب الأسطوري، مما أدى إلى إزالة الغموض و الطابع الأسطوري عن العالم (على سبيل المثال، الوحوش التي روى الشعراء بانها موجودة في أماكن معينة زارها الملاحون، لم يتم العثور على شيء هناك) ؛

- بناء التقويم الذي سمح بقياس الزمن حسب فصول السنة والتناوب بين النهار والليل. هذا شجع قدرة الإغريق على تجريد الزمن بشكل طبيعي وليس كقوة إلهية؛

- استخدام العملة للمبادلات التجارية التي كانت تتم سابقاً من خلال المقايضة بين المنتجات. وقد أدى هذا أيضًا إلى تشجيع التفكير المجرد، حيث أن القيمة المضافة للمنتجات تعتمد وتتوقف على تحليل تقييم معين؛

- يعد اختراع الحروف الأبجدية واستخدام الكلمة حدثًا غريبًا وخاصا أيضًا. في مجتمع اعتاد على شفهية الشعراء، فإن استخدام الصور لتمثيل الواقع يقع تدريجياً في الإهمال وتظهر الكتابة الأبجدية / الصوتية كبديل، مما يوفر، مثل العناصر المذكورة أعلاه، قوة أكبر للتجريد.

لم تعد الكلمة تستخدم في الطقوس الباطنية (المغلقة والمقفلة أمام أولئك الذين بدأوا في الأسرار المقدسة والذين كشفوا أقوال الآلهة)، ولا من قبل الشعراء الملهمين من الآلهة، ولكن في الساحة العامة (الأغورا)، في المواجهة اليومية بين المواطنين

- تم تسجيل النمو الحضري أيضًا بسبب كل هذه الحركة، فضلاً عن تعزيز التقنيات الحرفية والتجارة الداخلية والفنون وغيرها من الخدمات، والخصائص النموذجية للمدن؛

- ابتكار السياسة التي تستخدم الكلمة في مداولات الشعب (Demo) في كل مدينة (وبالتالي، الديمقراطية أو حكم الشعب)، وكذلك تطالب بنشر القوانين من أجل معرفة الجميع ليتأملوها وينتقدوها ويعدلوها حسب الاهتمامات والحاجات.

حفزت المناقشات في المجالس (التي كان فيها الناس يجتمعون للتصويت) التفكير النقدي التأملي، والتعبير عن الإرادة الجماعية، وأثبتت قدرة الإنسان على التعرف على نفسه على أنه قادر على تصور نظام العالم وتنظيمه انطلاقا من عقلانيته الخاصة وليس اعتمادا على كلمات سحرية دينية مبنية على سلطة الشعراء الملهمين. مع كل ذلك، أصبح من الممكن، من البحث المنهجي، والتناقضات، وضرورة الصرامة المنطقية، أن تظهر الفلسفة.

المحاضرة الثانية التفكير الأسطوري

مرحلة التفكير الخرافي (الفكر اليوناني اللاهوتي)

المقدمة:

ولدت الفلسفة في اليونان القديمة، في بداية القرن السادس قبل الميلاد. يُعرف طاليس الملطي بأنه الفيلسوف الأول، وعلى الرغم من ذلك، فقد كان فيلسوفًا آخر، هو فيثاغورس، الذي صاغ مصطلح "الفلسفة"، وهو مزيج من الكلمتين "فيلو" (محبة) و "صوفيا" (الحكمة)، مما يعني " محبة الحكمة ".

منذ ذلك الحين، كانت الفلسفة نشاطًا مخصصًا لفهم الواقع وتحديده وإيصاله من خلال المفاهيم المنطقية والعقلانية. لقد نشأت من خلال التخلي التدريجي عن التفسيرات التي قدمتها الأساطير (إزالة الميثولوجيا) والبحث عن المعرفة اليقينية.

يأتي الإنسان من الاعتقاد بأن حياته ووجوده مرتبطان ببعد خارق للطبيعة يتكون من الآلهة أو الأرواح أو القوى الخفية. هل هذا هو الحال فعلا؟ ألا يوجد تفسير منطقي لهذه الظواهر "السحرية"؟

-أولا- المفهوم الاصطلاحي للأسطورة:

إن الأسطورة هي الحالة الأولى للفكر البشري. إنها ليست قصة مقدسة في الأساس فحسب، بل إنها متجذرة أيضًا في عقلية سحرية. إنها مقدسة لأنها تتضمن وتقحم آلهة أو قوى خارقة للطبيعة أو تتجاوز البشر. كانت مهمة الأسطورة هي الإجابة على الأسئلة الكبيرة التي يبدو أنه من المستحيل علينا الهروب منها، حيث تساءل أسلافنا، مثلنا تمامًا، عما كانوا عليه، وعن أصولهم، وعن أسباب حالتهم. كانت الأسطورة هي الإطار أو الأداة الوحيدة التي يمكن للمرء من خلالها التعبير عن مفهومه وتصوره للأشياء. لذلك، فعل ذلك من خلال الاعتماد على الخيال وإضفاء الطابع الدرامي. وهذا ما يفسر لماذا لم يكن الرعد في ذلك الوقت تفريغًا كهربائيًا، بل كان نوعًا من رمح النار التي ألقى بها إله غاضب، يسمى **زيوس** - بالنسبة لليونانيين - أو **جوبيتر** بالنسبة إلى الرومان - قذف على الأرض من قمة جبل، الأوليمبوس.

من الصعوبة بما كان، إن لم يكن من الاستحالة، إيجاد تعريف واحد جامع مانع للأسطورة، لكون هاته الأخيرة تتضمن المكونات الثقافية الأكثر تعقيدا، وهو ما يعيق وضع تحديد واحد لهذا المصطلح يمكن أن نضعه بين يدي كل من الأخصائيين والباحثين. زيادة على ما سبق هناك بعض التقارب بين هذا المفهوم ومفاهيم أخرى محايثة له تخلق بعض اللبس في تعريفه وضبط ماهيته. ومن بين التعاريف العديدة التي أمكننا الوقو عليها نجد ما ورد في قاموس علم الاجتماع على أن الأسطورة هي:" تفسير أو قصة رمزية تروي حادثة غريبة، أو خارقة للطبيعة، توجد في ثقافة فرعية، وتتميز الأسطورة بتناقلها، وانتشارها على نطاق واسع، وتأثيرها العميق نتيجة ما تنطوي عليه من حكمة، وفلسفة وإثارة وإلهـام"[16]. غير أن الاطلاع الخاطف على هذا المعنى يجعلنا ندرك أنه لا يخص الأسطورة وحدها بل تتقاسمه معها الحكايات الشعبية والملاحم والخرافات... وهو ما يضطرنا لتقديم تعريف آخر: لقد كان علماء القرن التاسع عشر مهتمين بأصل الأساطير، لكن الأنثروبولوجيين تحاشوا البحث فيه لأن الكثير منهم اعتبروا أن الأسطورة جزء من نظام اجتماعي يتشكل من عناصر معاصرة، فقد رأى مالينوفسكي بأن " الأسطورة لم تظهر استجابة لدافع المعرفة والبحث، ولا علاقة لها بالطقس أو البواعث النفسية الكامنة، بل هي تنتمي للعالم الواقعي، وتهدف إلى تحقيق نهاية عملية؛ فهي تُروى لترسيخ عادات قبلية معينة، أو لتدعيم سيطرة عشيرة ما أو أسرة أو نظام اجتماعي وما إلى ذلك "[17]، كما يعرفها أيضا بقوله: " ليست الأسطورة تفسيرا يراد منه تلبية فضول علمي، بل هي حكاية تعيد الحياة إلى حقيقة أصلية، وتستجيب لحاجة دينية عميقة، وتطلعات أخلاقية وواجبات، وأوامر على المستوى الاجتماعي، بل وحتى متطلبات عملية في الحضارات البدائية، تملأ الأسطورة وظيفة لا غنى عنها تفسر وتبرر وتقنن المعتقدات، تحامي عن المبادئ الأخلاقية وتفرضها، تضمن فعالية الاحتفالات الطقسية وتنتج قواعد عملية لاستعمال الإنسان"[18]. فالأسطورة مكون جوهري في الحضارة الإنسانية، ليست خيالا بل حقيقة قائمة بذاتها يلجا إليها الإنسان لتعينه على كشف حقيقة معنى الطقوس والأعمال التي يؤديها على الصعيد الأخلاقي، وبيان

---

[16] محمد عاطف غيث، **قاموس علم الاجتماع**، دار المعرفة الجامعية، ط. 1، 2016، الإسكندرية/مصر، ص296.

[17] فراس السواح، **مغامرة العقل الأولى – دراسة في الأسطورة: سوريا وبلاد الرافدين** –، مؤسسة هنداوي، وندسور/المملكة المتحدة، ط.7، 2022، ص. 23.

[18] محمد الخطيب، **الإثنولوجيا، دراسة عن المجتمعات البدائية**، دار علاء الدين للنشر والتوزيع والترجمة، دمشق/سوريا، ط. 1، 2000، ص. 194.

الأسلوب الذي ينبغي عليه أداؤه به. وإذا كان مالينوفسكـي قد تعرض إلى الأسطورة بالنظر إلى جانبها الوظيفي فإن مرسيـا إليـاد تناولها باعتبارها" أحداثا تاريخية حدثت في الزمن السحيق "فالأسطورة تروي تاريخا مقدسا، تروي حدثا جرى في الزمن البدائي، الزمن الخيالي، هو زمن البدايات؛ فالأسطورة تحكي لنا كيف جاءت حقيقة ما إلى الوجود بفضل مآثر اجترحتها الكائنات العليا، لا فرق بين أن تكون هذه الحقيقة كلية كالكون أو جزئية كأن تكون جزيرة أو نوعا من النبات، أو مسلكا يسلكه الإنسان أو مؤسسة"[19]، فلا تزيد الأسطورة عن كونها حكاية خلق تروي لنا كيف كان إنتاج شيء ما وكيف كانت بدايته أما أشخاصها فهم كائنات عليا (آلهة، أو كائنات متوسطة بين الآلهة والإنسان)، من هنا تأتي أهمية ميثولوجيا التكوين في أديان الشعوب وعلو شأن أسطورة الخلق في النظم الميثولوجية، لذلك كانت أسطورة التكوين البابلية هي سيدة أساطير تلك الثقافة " لم يكن هناك سماء في الأعالي، ولم يكن هنالك أرض في الأسفل، كما يقول مطلع الأسطورة، لم يكن هناك سوى آلهة العماء القابعة وراء الزمن والمعارضة لأية حركة أو فعل، ثم جاء الإله الخالق مردوخ ليبتدئ سيرة حياته مع سيرة حياة الكون الذي أخرجه من لجة العماء البدائي"[20]. ولذلك أيضا تتصدر أسطورة التكوين التوراتية الصفحة الأولى من كتب العهد القديم " ففي البدء خلق الإله السماوات والأرض، وكانت الأرض خربة وخالية على وجه الغمر ظلمة وروح الإله يرف فوق وجه المياه" وقبل ذلك لا يعرف ما كان يفعل الإله يهوه كانت الأسطورة بمثابة جواب عن السؤال كيف خلق ذلك الشيء؟ وبالأسطورة أيضا "يمكن التعرف على أصل الأشياء ليتمكن الطقس الديني من إعادة تكراره، ذلك أن الطقس يقوم بإعادة تكرار حدوث الخلق الذي يمكن الإنسان من الاتصال بالآلهة وبزمن الخلق الأول"[21]. وفي مقابل هذا نجد ماريت يقول إن " الأسطورة ليست بحثا عن الأسباب وإنما هي كفالة للدين وضمان وليست غايتها أن ترضي الفضول بل أن تؤكد الإيمان"[22].

---

[19] مرسيا إلياد، **مظاهر الأسطورة**، ترجمة نهاد خياطة، دار كنعان للدراسات والنشر، دمشق/سوريا، ط. 1، 1991، ص10.

[20] فراس السواح، **دين الإنسان: بحث في ماهية الدين ومنشأ الدافع الديني**، دار علاء الدين للنشر والتوزيع والترجمة، دمشق/سوريا، ط. 4، 2002، ص 59-60.

[21] عمر محمد صبحي عبد الحي، **الفكر السياسي وأساطير الشرق الأدنى القديم**، ص.35.

[22] إ.أجيمس، **الأساطير والطقوس في الشرق الأدنى القديم**، ترجمة يوسف شلب الشام، دار التوحيدي للنشر والتوزيع، حمص/سوريا، ط. 1، 1998، ص21.

إن الأسطورة هي بمثابة أداة لتوضيح وتمتين المعتقد، وهي تضمن فعالية الطقس الذي تعيش فيه من جديد باعتبار أن الأسطورة هي الجزء المحكي من الطقس. وهناك تعريفات أخرى للأسطورة لكنها بالغت في بعدها عن جوهر الأسطورة مثل ما ذهب اليه **ماكس مولر- وهو** من أكبر المشتغلين بالأساطير- إلى أنها " تصوير فترة من الجنون كان على العقل البشري أن يجتازها"[23]. إن هذا التنوع في النظر إلى الأساطير، لا يبرره إلا الغموض العميق الذي يحيط بهذا الموضوع. إضافة إلى ذلك أن الاستخدام العلمي لكلمة أسطورة قد يسبب سوء فهم آخر بسبب أن الكلمة تعني في الأوساط الشعبية الباطل أو الخرافة. وباعتبار أن الأسطورة ظاهرة إنسانية يمكن عرض تعريف آخر قد يكون أكثر دقة وتحديد لوظيفتها وهو تعريف فراس السواح: الأسطورة وهي ظاهرة من أهم ظواهر الثقافة الإنسانية لها أجناس أدبية مشابهة لها من حيث الشكل مثل الخرافة والحكاية البطولية...

-ثانيا- خصائص الأسطورة:

إن مفهوم الأسطورة يتضمن مجموعة من الخصائص التي تميزها عن غيرها و تشكل طبيعتها، حيث أن " للأساطير مثلها مثل كل إبداع إنساني سمات وخصائص تميزها عن غيرها من أشكال الإبداع الأدبي والسردي الذي أنتجه الإنسان "[24].

-1- إن الأسطورة، من حيث الشكل، هي قصة، " تحكمها مبادى السرد القصصي من حبكة وعقدة وشخصيات، وما إليها، وغالباً ما يجري صياغتها في قالب شعري يساعد على ترتيلها في المناسبات الطقسية وتداولها شفاهة "[25].

-2- " يحافظ النص الأسطوري على ثباته عبر فترة طويلة من الزمن، وتناقله عبر الأجيال طالما حافظ على طاقته الإيحائية بالنسبة للجماعة كما هو الشأن بالنسبة للأساطير السومرية التي حافظت على صيغتها الأصلية قرابة الألفي سنة من الألف الثالث قبل الميلاد إلى الألف الأول قبل الميلاد إلا أن هذه الخاصية لا تعني الجمود أو التحجر لآن الفكر الأسطوري يجدد أساطيره دائما، إما بالتخلي عن الأساطير التي فقدت طاقتها الإيحائية أو تعديلها "[26].

---

[23] أحمد كمال زكي، **الأساطير**، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة/مصر، ط.؟، 1967، ص41.

[24] قدرى قلعجى، **أساطير الامم**، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة/مصر، ط. 1، 2022، ص. 17.

[25] مها عيسى فتاح العبد الله، **تأويل الأسطورة في كتابات أفلاطون**، دار الفارابي، بيروت/لبنان، ط. 1، 2016، ص. 43.

[26] فراس السواح، **الأسطورة والمعنى – دراسات فى الميثولوجيا والديانات المشرقية** –، دار علاء الدين للنشر والتوزيع والترجمة، دمشق/سوريا، ط. 2، 2001، ص. 12.

-3- إن الأسطورة لا تعبر عن حكمة شخصية، فهي ظاهرة جمعية وتعكس تفكير الجماعة والمجتمع، لذلك فمن " أهم سمات الفكر الأسطوري أنه لا يعرف له مؤلف بعينه، لأنها ليست نتاج خيال فردي أو حكمة شخص بعينه، بل هي ظاهرة جمعية تعبر عن أفكار الجماعة وتأملاتها وحكمتها وخلاصة ثقافتها "[27]. لكن لا ينبغي أن يفهم من هذه الطبيعة الجمعية للأساطير أنه يتعذر على الأفراد إعادة صياغة الروايات الأسطورية وفق تطلعاتهم الشخصية وبما يتناسب مع روح عصرهم. لذلك لا تعتبر محاورات أفلاطون أساطير، وان أطلق عليها هذا المصطلح لأنها لا تعبر عن تجربة جمعية مشتركة.

-4- " تلعب الآلهة وأنصاف الآلهة (الكائنات المتوسطة) الأدوار الرئيسية في الأسطورة فإذا ظهر الإنسان على مسرح الأحداث كان ظهوره مكملا لا رئيسيا "[28].

-5- " تتميز موضوعات الأسطورة بالجدية والشمولية فهي تدور حول المسائل الكبرى التي تعن دوما على عقل الإنسان مثل: الخلق والتكوين، وأصول الأشياء والموت والعالم الآخر...لخ "[29].

-6- ليس للأسطورة زمن، أي أنها لا تقص عن حدث جرى في الماضي وانتهى، بل عن حدث ذي حضور دائم. فزمانها والحالة هذه زمن ماثل أبدا لا يتحول إلى ماض، والأحداث التي تقصها الأسطورة هي أحداث حقيقية، يؤمن أهل الثقافة التي أنتجتها بصدق روايتها إيمانا لا يتزعزع، فالإله تموز (إله الخصوبة) الذي قتل ثم بعث إلى الحياة إنما يفعل ذلك في كل عام، إذ يقتل في الصيف (فيكون الجفاف) ويبعث في الربيع فتصبح الأرض مخضرة. وهذا يتجدد في كل عام والإله **مردوخ** (إله بابل وآشور) الذي خلق الكون ونظمه في الأزمنة المقدسة الأولى إنما يفعل ذلك في كل عام ومع بداية السنة الجديدة، حيث يقوم بإعادة خلق الكون وتجديده، وعندما لا يكون للحدث الأسطوري هذا الطابع الدوري المتكرر الواضح، فإن مضمون الأسطورة يعبر عن حقيقة أزلية متخللة في حياة البشر، لا يطالها تغيير، فأسطورة خلق الإنسان من تربة الأرض ممزوجة بدم إله قتيل هي تأسيس لفكرة الطبيعة المزدوجة للإنسان وتكوينه من عنصر مادي وآخر روحاني لاهوتي.

---

[27] قدرى قلعجى، **أساطير الامم**، مرجع سابق، ص. 17.
[28] فراس السواح، **الأسطورة والمعنى – دراسات فى الميثولوجيا والديانات المشرقية –**، مرجع سابق، ص. 12.
[29] نفس المرجع، ص. 13.

-7- سطوة الأسطورة وسلطتها على عقول الناس ونفوسهم، ومؤيدات هذه السلطة تنبع من داخل الأسطورة لا من خارجها وهي عندما تتصدى لمسألة من المسائل الشمولية، فإنها لا تطرح موضوعها على بساط البحث والتحليل وإنما تتقدم بحقائق لا تقبل الجدل. " فسيطرة الأسطورة التي تمتعت بها في الماضي لا يدانيها سوى قوة العلم في العصر الحديث"[30]، وبأن الكون مؤلف من مليارات المجرات... الخ؟، وذلك لأن باهين واستدلالات العلم قد أثبتت ذلك، وفي الماضي آمن الإنسان القديم بكل العوالم التي نقلتها له الأسطورة، مثلما نؤمن وبدون نقاش بما ينقله لنا العلم والعلماء، وكان الكفر بمضامينها كفرا بكل القيم التي تشد الفرد إلى جماعته وثقافته وفقدانا للتوجه السليم في الحياة· ومن ذلك تكون شبيهة بالعلاقات البرهانية التي لا تقبل التكذيب أو التصويب وصدقها متعلق بعبارتها لا بالزمن وتطور الحوادث.

وبالاعتماد على الأسس السابقة يمكن أن نصل إلى تعريف للأسطورة يمهد الطريق أمام الباحث في الميثولوجيا ويزيل كل لبس حول المصطلح: فالأسطورة هي:" حكاية مقدسة مؤيدة بسلطان ذاتي، وذات مضمون عميق يشف عن معان ذات صلة بالوجود والكون وحياة الإنسان". ونعني بالقدسية هنا تلك الصفة التي يتم إسباغها على الخطاب الديني فقط الذي لا يقبل التصويب؛ بل ذلك الإجلال والتعظيم الذي تستثيره الأسطورة بسبب وضعها المتميز بحق.ونقصد بالسلطان الذاتي الأساس الأخير سطوة الأسطورة وسلطتها على عقول وقلوب الناس بدلالة محتواها، وتكون جملة مفاهيم الأسطورة أنها حاوية تتضمن رواية أو حدثا أو علاقة حكمية وخلقية.

استنتاج: والاسطورة بشكل عام والدينية منها على وجه خاص تقوم على منطق غير واقعي توهمي, روحي, خيالي, يأخذ من الابهار هدفا وهي لا تتمسرح على خشبة ذات ابعاد زمكانية اي ان الاسطورة لا تعتمد على منطق تاريخي (له تزامن، وجغرافيا).

-ثالثا- نظريات تفسير أصل الأسطورة:

يقدم لنا توماس بوليفنش في كتابه "ميثولوجية اليونان وروما" أربع نظريات في أصل الأسطورة لخصها فيما يلي[31]:

---

[30] فراس السواح، **الأسطورة والمعنى – دراسات فى الميثولوجيا والديانات المشرقية** –، مرجع سابق، ص. 14.

[31] خليل ح. تادرس، **أحلى الأساطير الإغريقية**، دار كتابنا للنشر، المنصورية/لبنان، ط. ؟، 2008، ص.8.

***1* النظرية الدينية:**

ترى أن أصل الأسطورة هو الدين في مراحله الأولى فالدين في بدايته كان يقوم على الأسطورة، حيث كان لهذه الأخيرة الحضور الاقوى في تشكيل بنية الدين. وقد عالجت الأسطورة الدينية طقوس العبادة وارتبطت بها، ويعتقد لويس سبنسر ان الاسطورة كانت في الاساس شكلا من أشكال طقوس العبادة. حيث كانت بدايتها على شكل مسرحية دينية طقوسية رقصية ايمائية تصويتية ثم أصبحت اناشيد دينية لتحفظ او تدون في صورة نقوش تصويرية ثم اسطرت كتابيا وأخذت صورتها التي انتقلت بين الحضارات. هكذا فإن "حكايات الأساطير، حسب بوليفنش، مأخوذة كلها من الكتاب المقدس مع الاعتراف بأنها غُيِّرت أو حُرِّفت، ومن ثَمَّ كان هرقل اسماً آخر لشمشون، والمارد ديوكاليون ابن بروميثيوم الذي أنقذه زيوس مع زوجته من الغرق فوق أحد الجبال هو نوح، وهكذا"[32]. من هنا لا يمكن قبول الأسطورة إلا على مبدأ ايماني لا علمي، باعتبار أن العقلانية العلمية لا تؤمن سوى بالمعطيات التجريبية التحليلية وفق منطق مادي يكشف العلاقة بين السبب والنتيجة.كما تجدر الإشارة إلى أن الاسطورة الدينية عموما هي خطاب مطلق غير قابل للتشكيك، ومن الشواهد الحديثة على هذا الأمر طرد سبينوزا من كنيسة امستردام واتهامه بالهرطقة بسبب شكه في ان الاسفار الخمسة الاولى من الكتاب المقدس قد كتبت من قبل موسى عليه السلام. نفس الحال عاشه جورج سميث حينما نشر أجزاء من اسطورة الطوفان المتضمنة في ملحمة جلجامش والمشابهة في روايتها لقصة نوح الموجودة في التوراة، وهو الأمر الذي جعله عرضة لموجة من الاعتراضات من طرف أتباع الكنيسة البروتستانتية الانجليزية.

***2* النظرية التاريخية:**

يميل الكثير من المفكرين إلى النظر إلى الأسطورة باعتبارها تنقل مآثر وأخبار ماضية، فهي حسبهم تؤدي وظيفة تاريخية من خلال سرد أحداث وقعت في غابر الأزمان. " إن النظرية التاريخية ترى أن الأساطير هي تسجيل الأحداث وقعت بالفعل في الماضي ولها أثر في المجتمع الذي أعاد صياغتها في قالب قصصي لكي تبقي في الذاكرة وقد بذل أنصار

[32] نفس المرجع، ص. 9.

هذا الاتجاه جهودا لإرجاع الأساطير المشهورة إلى حوادث تاريخية معينة من ماحية ولإعادة بناء التاريخ ذاته على أساس هذه الأساطير من ناحية أخرى. وقد وجدت حركة الدراسات الأسطورية في روسيا وترى أن هذه النظرية تعتمد على الحقائق التاريخية أي الاحتكام إلى الواقع التاريخي والبحث عن الأسس التاريخية لحقيقة الملاحم "[33]. وتذهب هذه النظرية إلى أن " أعلام الأساطير عاشوا فعلاً وحققوا سلسلة من الأعمال العظيمة، ومع مرور الزمن أضاف إليهم خيال الشعراء ما وضعهم في ذلك الإطار الغرائبي الذي يتحركون خلاله في جو الأسطورة "[34].

***3* النظرية الرمزية:**

يعتقد ممثلو هذا التصور أن معظم الاساطير تنطوي على بعد رمزي، وتكمن أهمية استخدام الرمز في نسيج الأسطورة في كون الرموز تشكل صورة حسِّية، مولدة للمعنى ومسكونة به. " تشكل الأبعاد الرمزية البطولية الدافع الأكبر الذي يلهم الناس الإبداع والقناعة معاً. إنها شكل من أشكال إثارة الفعالية الإنسانية الجسدية والروحية، ويمكن القول: إن البعد الرمزي سنتوقف البطولية هو الرافد السري الذي تتدفق عبره كل أنواع القيم الإيجابية، مقدّمة عبر عدّة أشكال من أنواع الفنون الأدبية التي تتشكل منها الثقافة البشرية"[35]، وهو ما يعكس قيمة الوظيفة الدلالية والجمالية، التي يحققها الترميز الأسطوري. في إطار هذا التفسير نجد أن أنصار علم النفس التحليلي يعتبرون أن الأسطورة مجرد ترجمة للاشعور الجمعي، فهي محاولة للتعبير الثقافة الجمعية وعن الرغبات المكبوتة، لذلك فإن محاولة استحضارها يفترض استحضار المجال التخيلي والوجداني ودلالتها الرمزية الموحية. إن ما سبق يدل على أن "كل الأساطير بكل أنواعها ليست سوى مجازات فُهمت على غير وجهها الصحيح أو فُهمت حرفيًّا، من ذلك ما يقال عن أن "ساتورن" يلتهم أولاده، فقد أخذه

---

[33] فضيلة حسين، **فكرة الأسطورة وكتابة التاريخ**، دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع، عمان/الأردن، ط. 1، 2009، ص. 90.

[34] خليل ح. تادرس، **أحلى الأساطير الإغريقية**، مرجع سابق، ص. 9.

[35] عبد الرحمن العابو، **البطولي في أساطير الشرق القديم وملاحمه**، دار رسلان/دار علاء الدين – دمشق/سوريا، ط. 1، 2014، ص. 67.

الإغريق من أسطورة كرونوس أي الزمن الذي يأكل كل ما يوجد فيه"[36]. كما أن "أسطورة سيزيف" ترمز إلى الاستمرار والعمل والتفاؤل وتكرار الفعل، فهي تحمل معنى أنه "لا يأس مع الحياة".

***4* النظرية الطبيعية:**

"و بمقتضاها يتم تخيل عناصر الكون من ماء وهواء ونار في هيئة أشخاص أو كائنات حية، أو أنها تختفي وراء مخلوقات خاصة.. وعلى هذا النحو وجد لكل ظاهرة طبيعية – ابتداءً من الشمس والقمر والبحر وحتى أصغر مجرى مائي - كائن روحي يتمثل فيه وتنبني عليه أسطورة أو أساطير"[37]. ويرى أتباع المنهج الطبيعي أن الأسطورة هي نتيجة لإدراك الإنسان لجهله، وقد استخدم الإنسان الأسطورة كمرجع معرفي يجيب من خلالها الإنسان عن تساؤلاته الأولى تجاه الوجود. في هذا الصدد يعتقد فراس السواح أن الأسطورة هي تسجيل لمغامرة العقل الأولى في ليل جهل الإنسان البدائي، في حين أنها، حسب جيمس فريزر، بمثابة محاولة الإنسان لتفسير الكون والطبيعة وتبدلاتها، أما ماكس مولر فيرى أن الأسطورة تمثل مرحلة أصيب فيها العقل البشري بالجنون وهي مرحلة ضرورية صيرورية في التطور الفكري الإنساني.

-رابعا - ما وراء الميثولوجيا:

حتى قبل ظهور فلاسفة ما قبل السقراط على الساحة ودخولهم إلى المشهد، كانت الأساطير الدينية تهيئ بالفعل الأساس المفاهيمي للتأملات الفلسفية، وتحضر للإنتقال إلى هذا النموذج الفكري الجديد، الذي سيطلق عليه فيما بعد التفكير الفلسفي. لقد كان الدين، في ذلك الوقت كما هو الحال الآن، قوة اجتماعية قوية في تشكيل وجهات النظر عن الطبيعة البشرية والكون. وفقًا لليونانيين، تسبب الآلهة كوارث طبيعية، وتفرض واجبات على السلوك البشري، وتحدد مكانتنا في الحياة الآخرة. طور اثنان من الميثولوجيين اليونانيين على وجه الخصوص وجهة نظر دينية متطورة للحياة العالمية. الأول هو هوميروس (Homère) (من حوالي 750 قبل الميلاد)، المؤلف الشهير للحكايات الملحمية الإلياذة (L'Iliade)

[36] خليل ح. تادرس، **أحلى الأساطير الإغريقية**، مرجع سابق، ص. 9.
[37] خليل ح. تادرس، **أحلى الأساطير الإغريقية**، مرجع سابق، ص. 9.

والأوديسة (l'Odyssée)، التي تربح لمغامرات بطل يدعى أوديسيوس/أوليس (Ulysse). خلال رحلاته إلى العالم السفلي وأجزاء أخرى من الكون الأسطوري، يلتقي أوديسيوس ويواجه بانتظام آلهة ومخلوقات غريبة، أحيانًا يهدئهم، ويقاتلهم في أوقات أخرى. الثاني هو هزيود (700) (Hésiode قبل الميلاد)، مؤلف أنساب الآلهة أو ثيوغونيا (Théogonie)، وهو عمل يصف أصول مئات الآلهة من زوج مشترك من الأجداد في بداية العالم.

هناك جانبان مهمان من أساطيرهما يستحقان الذكر لتأثيرهما على الفلسفة المبكرة. أولاً، لا ينسب علم الكونيات الخاص بهما خلق العالم إلى عمل الآلهة. ففي حين أن زيوس هو الإله الأعلى، إلا أنه لم يوصف بأنه الخالق. يأخذ هوميروس الكون على أنه مكسب، ويصف هزيود أصوله على النحو التالي:

لذلك، فوق كل شيء، كانت الهاوية [الفوضى] (Chaos)؛ ثم الأرض [غايا] (Gaia) بجوانبها العريضة، ومقعد آمن يقدم إلى الأبد لجميع الأحياء، [(للجميع) الخالدين، أسياد قمم أوليمبوس (l'Olympe) الثلجية، وطرطارس (Tartare) الضبابي، في أعماق الأرض بالطرق الواسعة] والحب [إيروس] (Éros)، الأجمل بين الآلهة الخالدة، الذي يكسر الأطراف والذي، في صدر كل إله مثل كل إنسان، يروض القلب والإرادة الحكيمة. [هزيود، ثيوجوني]

وفقًا لهزيود، يوجد الفراغ أولاً، ثم الأرض، وعندها فقط تظهر الآلهة. " ورد في شعر هسيود المنظوم في القرن السابع قبل الميلاد اسم جايا بوصفها الربة الأولى ؛ إذ إنها كانت أول مولود للربة كاوس ، التي تجسد الفراغ الأصلي للفضاء . تجسد جايا الأرض "[38]. وعندما تظهر الآلهة على المشهد، فإنهم يتصرفون بطريقة غير منظمة وعشوائية، وغالبًا ما يثنون عمليات الطبيعة وفقًا لأهوائهم ويحرفونها حسب نزواتهم. كل هذا يترك مجالًا كبيرًا للتكهنات والتأملات حول كيفية نشوء الكون المادي، ومكوناته، وما الذي يمنحه النظام. لم تكن التفسيرات التي قدمها الفلاسفة الأوائل فلسفية فحسب، بل كانت علمية أيضًا وفقًا لمعايير عصرهم. وهكذا، كان الفلاسفة الأوائل هم أيضًا العلماء الأوائل، وفي الواقع،

[38] كريس إمبي، **نهاية كل شيء: من الإنسان إلى الكون**، ترجمة: إيناس المغربي، مؤسسة هنداوي، وندسور/المملكة المتحدة، ط.؟، 2020، ص. 136.

كان للعديد منهم اهتمامات عملية في الرياضيات وعلم الفلك وعلم الأحياء/البيولوجيا. ثانيًا، يوضح هوميروس كيف يراقب الآلهة النشاط البشري، ويحكمون على سلوكنا ويفرضون رغباتهم علينا وعلى العالم الطبيعي كما يرونه مناسبًا، غالبًا بطرق عشوائية وتعسفية. هذا هو الجانب من الأساطير الذي قاومه الفلاسفة الأوائل وشددوا بدلاً من ذلك على الوحدة العقلانية للأشياء. بمعنى من المعاني، حاولوا تجاوز الأساطير لتقديم تفسير أكثر علمية لكل من الطبيعة الفيزيائية والطبيعة البشرية.

-خامسا- الأسطورة في الفكر اليوناني القديم:

-1- نعطي اسم "الميثولوجيا/ الأساطير" اليونانية لمجموع القصص الرائعة والخرافات من جميع الأنواع بما التي تظهر لنا النصوص والآثار التصويرية أنها حدثت في البلدان الناطقة باللغة اليونانية، بين القرن التاسع أو الثامن قبل الميلاد، الفترة التي شهدت القصائد الهوميرية (نسبة لهوميروس)، ونهاية "الوثنية"، ثلاثة أو أربعة قرون بعد المسيح. توجد هنا مادة كبيرة جدا، جد صعبة على التحديد، ذات أصول وطبيعة جد متنوعة، والتي حصل أن لعبت ولا تزال تلعب دورا كبيرا في التاريخ الروحي للعالم. إن جميع الشعوب، في فترة ما من تطورها، قد أنتجت خرافات، أي حكايات رائعة أضافوا إليها لزمن ما الإيمان على الأقل إلى حد ما. في معظم الأحيان، الخرافات، لكونها تقحم قوى أو كائنات تعتبر متفوقة على البشر، تنتمي إلى مجال الدين. إنها تتمثل إذن بوصفها نسق، أكثر أو أقل تماسكا، لتفسير العالم، كل واحدة من حركات البطل الذي نحكي أمجاده وبطولاته تجد نفسها خلاقة ومولدة لنتائج سوف تؤثر على الكون كله. ينتمي لهذا النمط القصائد الملحمية-الدينية الكبرى في الأدب الهندي. في بلدان أخرى، نجد أن هذا العنصر الملحمي هو الغالب. ومما لا شك فيه أن الآلهة لم تكن غائبة عن السرد، حيث نجد عملها حساس، ولكن نشأة العالم لم تكن، مع ذلك، محل اهتمام. لقد كان البطل يكتفي بإعطاء ضربات سيف كبيرة، ويبتكر حيل خالدة، ويقوم برحلات و أسفار في بلدان رائعة و، حتى وإن كان يتجاوز أيضا القدرة البشرية، فإنه يظل مع ذلك من نفس الماهية الإنسانية. إلى هذا النوع تنتمي خصوصا الدورات الخرافية للسلتيين (Celtes)، التي عرفتنا بها الروايات الويلزية، على سبيل المثال. في مكان آخر أيضا، حكايات الأسطورة انتهى بها المطاف إلى فقدان كل طابع عجيب تقريبا، ويحتجب تحت مظاهر التاريخ. الرومان، على وجه الخصوص، يبدو أنهم

أدمجوا هذه الطريقة في أقدم تأريخهم حركات خرافية حقيقية: بطولة هوراسيوس كوكليس (Horatius Cocles) حينما دافع عن جسر نهر التيبر ضد الغزاة ليس سوى، كما يقال، تجسد شيطان أعور في التمثال الذي، الموضوع على ضفاف النهر، فقد دلالته الأصلية ووظف في نهاية المطاف في افتعال حلقة من الحرب (في جزء تاريخي) بين الرومان والاتروريون.

إن الأسطورة، في اليونان، ساهمت في كل هذه الأشكال. أحيانا أخذت صورة التاريخ، وعملت على تسجيل مآثر الشرف للمدن وللعائلات. وأحيانا ظهرت في شكل ملحمة. أحيانا أخرى، جاءت لتدعيم وتفسير معتقدات وطقوس الدين. لا واحدة من الوظائف التي كانت تلبسها في موضع آخر الخرافة لم تفلت منها، أي أنها قد شملت كل مجالاتها. ولكن هي شيء آخر تماما. الكلمة اليونانية المستخدمة لوصف الأسطورة تنطبق على أي قصة نرويها، سواء كانت موضوع مأساة (تراجيديا) أو عقدة لكوميديا أو موضوع خرافة (حكاية) إيسوب (fable d'Ésope). إن الأسطورة تتعارض مع اللوغوس، مثلما يتعارض الخيال مع العقل، الكلام الذي يحكي (يروي) مع ذلك الذي يبرهن. اللوغوس والميثوس هما نصفي اللغة، وظيفتين أساسيتين متساويتين لحياة الفكر. **اللوغوس**، باعتباره تفكيرا، يعني الإقناع؛ إنه يؤدي، عند المستمع، ضرورة اتخاذ موقف. **اللوغوس** حقيقي، إن كان صحيحا و مطابقا لـ "المنطق"؛ وهو خاطئ، إن كان يخفي بعض الخدع و المغالطات السرية ("سفسطة"). ولكن "الأسطورة" ليس لها من غاية سوى ذاتها. إمانعتقد بصحتها أو لا، وفقا للذته، من خلال فعل إيمان، إذا رأينا أنها "حسنة" أو ممكنة، أو ببساطة لأننا نريد تصديقها. الأسطورة تجد نفسها تجلب إلى محيطها كل الجانب اللاعقلاني للتفكير البشري: إنها، من خلال طبيعتها ذاتها، مرتبطة بالفن، في كل إبداعاته. وهذا هو، ربما، الطابع الأكثر جاذبية للأسطورة الإغريقية: نلاحظ أنه أدخل نفسه في جميع نشاطات الفكر. لا وجود لأي ميجال للهللينية، سواء الفنون البلاستيكية أو الأدبية، لم يلجأ باستمرار إلى الأسطورة. بالنسبة لليوناني، لا تعرف الأسطورة حدودا إطلاقا. إنها تندس في كل مجال. إنها ضرورية وأساسية للتفكير مثل ضرورة الهواء والشمس للحياة نفسها. إن أهم الملاحم الأولى المعروفة اليوم باللغة اليونانية، والمتمثلتان في **الإلياذة (Iliade)** و**الأوديسة (Odyssée)**، هي بالفعل "أساطير" بالمعنى الأوسع. إنهما تتسمان بالخلط بين الإنساني

والذي يفوق الإنساني. أبطال الإلياذة لديهم كأسلاف، أي آباء وأمهات، إله واحد أو أكثر، وفي الوقت نفسه، يعتبرون كأسلاف أسر نبيلة تاريخية. إن أخيل (Achille) هو ابن ثيطيس (Thétis)، إلهة البحر، ومصيره محدد عن طريق الايحاءات موجودة منذ الأزل. هلين (Hélène)، رهان حرب طروادة، هي بنت زيوس (Zeus)، وإن إرادة أفروديت (Aphrodite)، إلهة الحب، هي التي دفعتها إلى هجران زوجها وبنتها حينما أتى الطروادي باريس (Pâris) للبحث عنها في إسبرطة. في كلا المعسكرين، تحارب آلهة وإلاهات: آبولون (Apollon)، حامي باريس، المهان من جهة أخرى في شخص أحد كهنته، الذي خطفت ابنته كريزيس (Crisis) من طرف الآخيين، ينشر الطاعون في جيشهم. بوسيدون (Poséidon)، أثينا (Athéna)، آريس (Arès) شاركوا في القتال. وبطولات أخيل تشهد، ولا شك، على قيمة شخصية البطل، ولكن أيضا على الحماية الإلهية التي لم تتخلى عنه في أي لحظة.

- 2 - من الوعي الأسطوري إلى الوعي الفلسفي:

تحكي الأسطورة قصة: إنها ميزتها الرئيسية، وهي أيضًا عيبها الرئيسي. هذا في الواقع هو ما حرمها تاريخيًا لصالح نظام استدلالي آخر، وهو نظام اللوغوس، أي التفكير المنطقي. كان أفلاطون هو الذي ميز بوضوح هذين النوعين من الخطاب، المتشابهين في البداية في اليونان القديمة، والذي أسس سيادة اللوغوس على الميثوس.

صحيح أن أفلاطون يعترف للأسطورة بالقيمة البيداغوجية في الخطاب الفلسفي. يلجأ إلى الأسطورة في بروتاغوراس (320 ج)، أي للخيال الفلسفي بدلاً من الإثبات والبرهنة النظرية، لأنه أكثر إمتاعًا: نروي ونسرد ونحكي قصة. في الجمهوريةX) ، (621 c، أظهر أفلاطون أيضًا أن الأسطورة تناشد العقل بدرجة أقل من الإيمان. إنه يثير الانخراط، والإيمان لدى القارئ: إنها تحل محل الخطاب العقلاني ويمكنها استيعاب الحقائق التي تتجاوز الفهم، وتفسير ما لا يمكن تفسيره، وما يتحدى العقل.

ومع ذلك، في هذا العمل نفسه من الجمهورية، ينخرط أفلاطون في هجوم عنيف على الروايات التي ابتكرها الشعراء، والتي تستند إلى الوهم، والمبهر والكاذب: الأساطير خادعة ويجب رفضها واستبعادها من الجمهورية (الكتاب الثاني والثالث). وهكذا يتم تأسيس تفوق اللوغوس، فاتحا عصر المفهوم والتجريد، على الميثوس، الذي يتم ربطه من الآن فصاعدًا

بالماضي والتقاليد. هذا التفوق سيتأكد ويؤبد من خلال تطور الفكر المنطقي والعلم، الأمر الذي سيبطل أساطير الأصل ويفرض تفسيرات موضوعية، مثبتة تجريبياً، بدلاً من القصص المذهلة والمقدسة. هذه هي حالة النشأة والتكوين، أسطورة الأصل التي ستُسقط وتبطل في واقعها العلمي من خلال اكتشاف تطور الأنواع في القرن التاسع عشر.

في القرن التاسع عشر، سعى الفيلسوف نيتشه إلى قلب هيمنة اللوغوس الذي أنشأ الميتافيزيقيا الأفلاطونية. سوف يتصور المأساة/التراجيديا كشكل جعل من الممكن تاريخيًا الحفاظ على الأسطورة، التي اختفت الآن: ساد اللوغوس وتفوق على الأسطورة، أبولو على ديونيسوس. اليوم، يخلو الإنسان من الأساطير (ميلاد التراجيديا). لذلك، يتعلق الأمر بالنسبة إليه بإحياء الأسطورة، ليُعد ميلادها من جديد، من خلال ابتكار فلسفة تروي وتسرد الحكمة، بدلاً من أن تشرحها وتفسرها في خطاب منطقي (هكذا تكلم زرادشت).

إذا ساد التفسير الموضوعي على الخطاب الأسطوري، فإن هذا الأخير يظل مع ذلك قادرًا على تمثل الجوانب التي تفلت من التحليل العقلاني. قد يكون للأدب وظيفة الترحيب بالأسطورة التي حلت محلها اللغة المنطقية، كما يؤكد نيتشه. لكن يمكنه أن يجد فيها أيضًا وسيلة لتصوير التجارب التي لا تندرج تحت التفسير المفاهيمي، لتوضيح معناها بوسائل أخرى غير التحليل الموضوعي.

تميز الوعي الأسطوري بالتفسيرات التقليدية الموجودة في القصص الأسطورية. تتكون الأساطير اليونانية، باعتبارها اعتقادًا متعدد الآلهة وثني، من سلسلة من الكيانات، من بينها الآلهة والجبابرة والكائنات الأخرى التي ترتبط ببعضها البعض، مما أدى إلى ظهور الكون وإعطائه معنى. كانت لهذه التفسيرات طابعا خياليا وغرائبيا، وكانت قصصها مؤلفة من العديد من الصور، مما أدى إلى بناء ثقافة شعبية تنتقل من خلال تقليد شفهي. هذه القصص رواها الشعراء المتحمسون. لفترة طويلة، شكلت هذه القصص شرحًا للثقافة اليونانية وأصل كل الأشياء. لم يكن هناك تمييز بين الدين وباقي الأنشطة الأخرى. كانت جميع جوانب الحياة البشرية مرتبطة ارتباطًا مباشرًا بالآلهة والآلهة الأخرى التي حكمت الكون. تدريجيا، بدأت هذه العقلية تتغير. جعلت بعض العوامل بعض الناس في اليونان القديمة يبدأون في جعل هذه المعرفة نسبية والتفكير في طرق تفسير جديدة.

من هذا التنسيب (relativisation)، ولدت الحاجة إلى إيجاد تفسيرات أفضل بشكل متزايد لكل شيء. لقد أفسح الإيمان المجال أمام المحاجة، للقدرة على الإقناع وإعطاء تفسيرات قائمة على أساس العقل، اللوغوس (Logos). يتحدد اللوغوس بوصفه خطاب موضوعي وواضح ومنظم. وهكذا، كان الفكر اليوناني يتخلى عن الإيمان (الوعي الأسطوري) ليفهم ما "له معنى"، وما له منطق، وما يمكن أن يفسره البشر (الوعي الفلسفي).

- 3 - الأسطورة و الفلسفة:

إن موقف الفلاسفة من الأسطورة يتأرجح بين طرفين: **الرفض** أو **الافتتان**.

-أ- التهمة الرئيسية التي يوجهها الفلاسفة ضد السرد الأسطوري هو أن هذا الأخير يزعم بلوغ المعنى و**الحقيقة**. في الواقع، فإن الأسطورة تحكي قصصا، لذلك فإنها تستخدم لغة غير مباشرة، **لغة رمزية**، وبالتالي كيف يمكن أن تدعي السعي وراء الحقيقة العزيزة جدا على الفلسفة؟ إذا عدنا إلى زمن **اليونان القديمة** (أي، حوالي القرن السادس والسابع قبل الميلاد) نجد أن كلمتي **"لوغوس"** و **"ميثوس"** كانتا تشيران معا إلى **"**حكاية مقدسة**"**، ولم يكن هناك أي تمييز بينهما. لقد كان**أفلاطون** هو الذي، مرة أخرى، سوف يضع من جديد كل شيء محل شك من خلال إقامة تعارض بين الخطاب الأسطوري (الذي أصبح يعتبر كذبة) والخطاب النظري للوغوس، الذي من المفترض أن يعبر عن الحقيقة. " يرجع رفض الأسطورة في الغرب إلى أفلاطون الذي رفض أساطير هوميروس لأسباب أخلاقية بالأساس **"**[39].

بالنسبة **للفترة الكلاسيكية** (أي منذ القرن الخامس قبل الميلاد. م)، الأسطورة ليست سوى "وهما وخرافة" (chimère). لقد اعتبرت الفلسفة، منذ أرسطو إلى هيغل، في رغبتها في العقلانية المطلقة، الأسطورة كتعبير عن فشل الفكر. لكن من خلال النظر عن قرب، يمكننا أن نرى أنه حتى الأساطير اليونانية كانت تعمل على انتصار العقل، وهكذا نجد أن **أوديب (Œdipe)**، بطل المعرفة، واللوغوس، بانتصاره على **سفانكس (Sphinx)** من خلال الإجابة على اللغز بلغة واضحة، سيكرس انتصار العقلاني على الكلمة الملغزة، الغامضة والمقدسة للوحش.

---

[39] روبرت إيه سيجال، **الأسطورة: مقدمة قصيرة جدا**، ترجمة: محمد سعد طنطاوي، مؤسسة هنداوي، وندسور/المملكة المتحدة، ط.؟، 2014، ص. 21.

-ب- إن الانتقادات الموجهة من طرف أفلاطون كانت أكثر قسوة: **الأسطورة ليست سوى وهما مفسدا للتفكير الخارج عن سيطرة العقل**.لكن مع ذلك، ألا تجد الفلسفة الأفلاطونية مصدرها في الأورفية (l'orphisme)؟ ألم تبتكر أساطير مع أمثولاتها في الكهف أو المخنث (Androgyne)؟ لقد أشار أفلاطون إلى الأورفية في محاورات: الجمهورية، السفسطائي، المأدبة، القوانين، أقريطون، بروتاغوراس، فيدون، حيث قال: " هناك مذهب جرت به الألسنة في الخفاء، يرى أن الإنسان سجين، وليس له الحق في أن يفتح باب سجنه ليفر هاربا ". ويقول كذلك في المحاورة نفسها: " وإني لأتصور أن أولئك الذين أنشؤوا الأسرار لم يكونوا مجرد عابثين".

أما أتباع **أفلاطون، الأفلاطونيون الجدد**، فنظروا إلى الأسطورة باعتبارها نمطا لمعرفة غير مباشرة، وبررت بوصفها وسيلة للوصول إلى **الأفكار (المثل)** و **الحقيقي**. إن الاسطورة إذن معترف بها من خلال قيمة التمثل الذي تقود إليه، هذه **القوة للخيال القادرة على القول والترميز**. هكذا نجد أن كانط قال أن الأسطورة الأساسية هي " لا مشروط الأصول "، و هيجل اعتبرها "تجلي المطلق". لأنه في نهاية المطاف، الأسطورة، الشفهية، بطريقتها في قول المنطق: تتعامل بواسطة التمييزات والتعارضات. الخطاب العقلاني يصورن أكثر. ليفي ستراوس لا يتردد في التأكيد أنه بفضل التفكير الأسطوري الإغريقي يسير نحو التجريد الذي استطاع تم انبثاق التفكير الفلسفي. " يذهب ليفي ستروس Levi Strauss إلى أن الأساطير نماذج على درجة عالية من التجريد تخضع لتفسيرات مختلفة، وأن الأسطورة لديها منطقها الخاص والذي قد يبتعد عن العالم الواقعي "[40].

-ج- " من هنا فإن الأسطورة والفلسفة همهما واحد، لكن الاختلاف بينهما يكمن في طريقة الطرح والتعبير، فالفلسفة اعتمدت على أسلوب المحاكمة العقلية، واستخدمت المفاهيم الذهنية أدوات لها، أما الأسطورة فلجأت إلى الخيال والعاطفة والترميز، واستخدمت الصور الحية المتحركة". هذا يعني أن موضوع الأسطورة والفلسفة، وإن يكن واحداً، إلا أن لكل منهما منطقه الخاص به، في تناول المشكلات "[41].

-3- نماذج بعض الأساطير الإغريقية:

---

[40] محمد الخطيب، **الأديان في المجتمعات البدائية**، دار رسلان/دار علاء الدين – دمشق/سوريا، ط. 1، 2017، ص. 68.

[41] مها عيسى فتاح العبد الله، **تأويل الأسطورة في كتابات أفلاطون**، دار الفارابي، بيروت/لبنان، ط. 1، 2016، ص.62.

إن الميثولوجيا اليونانية ثرية بالأساطير، حيث أن هناك عددا هائلا منها لا يمكننا في هذه المحاضرة الإشارة إليها كلها لذلك سنكتفي بعرض بعض النماذج فقط.

من بين تلك الأساطير نجد **أسطورة ميديا** التي ترمز لتغير المرأة وتحولها من مخلوق ضعيف وجنس لطيف إلى لطيف إلى كائن قاس وشرير وشرس. " ميديا: ابنة الملك ايتيس الكولخيسي. تزوجت جيسون وساعدته في الحصول على الجيزة الذهبية، وقطعت جسد أخيها ابسيرتوس إرباً ورمتها في البحر حتى تؤخر مطاردة أبيها لها. ماهرة في السحر والعرافة، أعادت لإيسون، والد جيسون، شبابه، ولكنها خدعت بنات بلياس، عم جيسون، الذي اغتصب العرش، إذ أعطتهم دواء وزعمت أنه يجدد له شبابه فقتله. وعندما تخلى عنها جيسون وعزم على الزواج من غلوسي الكورنثية، أرسلت ميديا عباءة مسممة إلى غلوسي، ثم قتلت ابنيها الاثنين من جيسون. ثم هربت إلى أثينا، حيث تزوجت من ايجيوس، والد تيسيوس، والذي حملت منه ميديوس. وعندما عاد تيسيوس إلى أثينا، هربت ميديا مع ميديوس إلى آسيا "[42].

هذه الأسطورة المعبرة للغاية تروي حكاية "ميديا"، وهي بنت وقعت في شباك حب أحد الأشخاص الذي يعتبر من أعداء وطنها، وقد أدى بها هواه إلى أن وقعت في المحظور، فقد أعماها عشقها له لدرجة أنها قامت بخيانة بلدها، بل إنها قامت بمساعدة عشيقها وأعانته على قتل والدها وشقيقيها. تخون الأميرة الشابة-الكاهنة-الساحرة والدها بدافع حبها للبطل الثيسالي وتساعده في التغلب على الصوف الذهبي بفضل سحرها. وفي الأخير تقوم بالهرب معه ليتزوجا ويمضيا معا أوقاتا ممتعة وسعيدة، كللت بإنجاب طفلين صغيرين. لكن مع مرور الوقت، بدأ حب هذا الزوج يتضاءل، لذلك توقف عن الاهتمام بها ولم ينظر إليها إلا بعين الكراهية والازدراء. فبعد بضع سنوات، تبرأ جايسون من ميديا ليتزوج ابنة الملك. إن فقدانها لحبيبها أصابها بفقدان عقلها، فأصبحت كالمجنونة، وعزمت على الانتقام منه والثأر لكبريائها التي جرحت فعملت على إحراق القصر وذبحت أطفالها أمامه نكاية فيه ولتفطر قلبه على طفليه بمثل ما فطر هو قلبها وليحرق الانتقام والحقد قلبها الأسود القاسي، قبل أن تفر على مركبة سماوية. أسطورة ميديا لا تتوقف أبدًا عن الإلهام أو إعادة الكتابة أو إعادة

---

[42] ماكس إس. شابيرو، رودا أ. هندريكس، **معجم الأساطير**، ترجمة: حنا عبود، دار رسلان/دار علاء الدين – دمشق/سوريا، ط. 1، 2018، ص.169.

كتابتها... لقد أبهرت قوة السحر والعاطفة المدمرة المبدعين والمشاهدين من اليونان القديمة حتى اليوم. هنا يتم التعبير عن أحلك جوانب الروح البشرية والتي ستصل إلى قتل الأشقاء وقتل الملك وقتل الأطفال!

أما أسطورة سيزيف (Sisyphe) فتتناول قصة سيزيف الذي تحدى الآلهة، فحُكم عليه، إلى الأبد، بدفع صخرة إلى أسفل الجبل. لقد " حكمت الآلهة على سيزيف بأن يرفع صخرة بلا انقطاع إلى قمة الجبل حيث تسقط الصخرة بسبب ثقلها ثانية. لقد ظنوا لسبب معقول أنه ليس هنالك عقاب أبشع من العمل التافه الذي لا أمل فيه "[43]. تكمن مشكلة سيزيف في أنه عندما تصل الصخرة إلى قمة الجبل، فإنها تهبط على طول الطريق إلى الأسفل، ومن ثم يتعين على سيزيف أن يبدأ الصعود مرة أخرى. سيزيف هو ابن أيولس (ملك ثيسالونيا) وإناريت، وكان هو من أسس كورنثوس. أسس ألعاب البرزخ. وفقًا للتقاليد، كان ذكيًا ومجرمًا. سرق وقتل المسافرين. خان الآلهة بكشف الأسرار الإلهية، وقيّد إله الموت ثاناتوس بالسلاسل لمنع الموتى من الوصول إلى العالم السفلي. تدخل الجحيم شخصيا. وعوقب سيزيف بشدة. لتمرده على إرادة الآلهة من خلال تسليم أسرارهم للبشر، أدان هاديس سيزيف بدفع صخرة ضخمة إلى قمة جبل في عالم الموتى. وبالكاد تم الوصول إلى هذا الهدف حتى تدحرجت الصخرة إلى أسفل المنحدر الذي كان سيصعد منه سيزيف. وهكذا، فإن العملية تكرر نفسها إلى الأبد. برزت عقوبته على العديد من المزهريات اليونانية. هو عارٍ أو مرتديًا فروًا على كتفيه، وهو يتدحرج صخرة. بالنسبة لليونانيين القدماء، ذكّرت هذه الأسطورة البشر بأن التمرد ضد الآلهة وعدالتها التي لا تلين هي جنون مطلق.

كما تروي لنا أسطورة الأرجوس (Argos) ذو العيون المائة (يرى كل شيء) Argus (المعروف أيضًا باسم Argos)، في الأساطير اليونانية، والملقب بـ Panoptes (أي يرى كل شيء)، كان العملاق ذو المائة عين الذي كان عليه أداء مهمة مراقبة إيو (Io)، (التي تحولت إلى بقرة والتي كانت تحب زيوس سرًا) من طرف هيرا. " فسلمت جونو هذه العجلة إلى خادمها الأمين أرجوس ليحرسها. وكان أرجوس هذا حارا بالغ اليقظة؛ إذ له

[43] ألبير كامو، **أسطورة سيزيف**، ترجمة: أنيس زكي حسن، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت/لبنان، ط. 1، 1983، ص. 138.

مائة عين تتناوب النوم فيما بينها. وعلى ذلك ما من شيء يمكن أن يشغله عن الحراسة، أو يعمل على شرود انتباهه على الإطلاق. وكما هو جلي قاست هذه العجلة المسكينة كثيرا من الصعاب في صورتها الجديدة، ولم يكن بوسعها أن تعبر عن محنتها إلا بطريقة لا يفهمها أي فرد، ولكن جوبيتر تذكرها، فأرسل ميركوري ليبعد أرجوس عن طريقه "[44].

أحب زيوس إيو، لكن زوجته هيرا كانت تغار منها. لكن هيرمس جعل الوصي ينام على صوت مزماره، وقطع رأسه. نقلت هيرا عيون أرغوس إلى ذيل الطاووس، أو حولته إلى ذلك الطائر. يمكن أن تكون أسطورة أرغوس رمزا لليقظة.

وتحكي لنا **أسطورة بروميثيوس النار المقدسة** قصة بروميثيوس، وهو أحد التيتان أو الجبابرة، أي العمالقة، وهو ابن يابتوس، وكان يتصف بحبه الكبير لبني البشر وشفقته الكبيرة عليهم، فقرر أن يهبهم ويمنحهم أفضل اختراع عرفته الإنسانية. طلب بروميثيوس من زيوس أن يقدم للبشر وسيلة لحماية أنفسهم من الوحوش البرية ولذلك قرر هذا الأخير تزويدهم بالنار بضرب قمم الأشجار ببرقه - وهكذا كان الناس قادرين على الإضاءة وحماية أنفسهم وطهي طعامهم. تناقش هذه الأسطورة أصل التقنية. فقد " بدأت التقنية في العصر اليوناني مع الميثولوجيا، وبخاصة في أسطورة بروميثيوس سارق النار من الآلهة ليعطيها للإنسان مانحا إياه سر التقنية، ومضيئا له الطريق بالعقل الذي كان نقطة انطلاق لكل التغيرات المادية المستحدثة. وتوسط هذا العقل بين الذات البشرية المقهورة وبين الطبيعة التي فرضت سلطان الضرورة العمياء على الإنسان، وظلت أسطورة بروميثيوس في تاريخ الفكر البشري رمزا للتمرد، ورغبة وأملًا في التحرر من سيطرة الطبيعة "[45].

يجب أن يوزع بروميثيوس (Prométhée) وإبيميثيوس (Epiméthée) (الذي يعني اسمه "المتهور والطائش") موارد الأرض بين الأنواع الحية المختلفة. بعد خطأ من قبل إبيميثيوس، يجد البشر أنفسهم معدمين، بدون أي موارد. من أجل إصلاح هذا الخطأ، يسرق بروميثيوس النار من الآلهة ليعطيها للبشر. بفضل النار، تمكن الناس من تدفئة منازلهم وطعامهم ثم بدأوا في صنع الأدوات. وهكذا جلب بروميثيوس هذه التقنية بشكل رمزي للرجال. تُظهر هذه الأسطورة أن ما بدا أنه ضعف للإنسان، أي عوزه الأصلي وهشاشته

---

[44] أمين سلامة، **الأساطير اليونانية والرومانية**، مؤسسة هنداوي، وندسور/المملكة المتحدة، ط.؟، 2021، ص. 68.

[45] عطيات أبو السعود، **الأمل واليوتوبيا في فلسفة إرنست بلوخ**، مؤسسة هنداوي، وندسور/المملكة المتحدة، ط.؟، 2021، ص. 273.

الطبيعية، هو في الواقع ما سمح له بأن يصبح النوع الوحيد الذي يتمتع بحرية إعادة اختراع نفسه باستمرار. لا يتحدد الإنسان بوضعه وليس أسير جوهر. لأنه كان الأكثر حرمانًا، يصبح الإنسان أكثر الأنواع عبقرية. يظهر اليوم انعكاس للتقنيات وتأثيرها على البيئة الأرضية. هناك إدانة للمخاطر التي تجلبها التقنية والتشكيك فيها. ومع ذلك، فإن الحل لبعض التقنيات لا يكمن في الحرب ضدهم ولكن في التفكير في التقنيات التي نريد استخدامها والعالم الذي نريد أن نعيش فيه.

المحاضرة الثالثة المدرسة الطبيعية أو الكوسمولوجية

المقدمة:

تنقسم الفلسفة اليونانية إلى عدة فترات رئيسية. الفترة الأولى هي ما يمثله الفلاسفة الذين سبقوا سقراط، وبالتالي فإننا نعتبرهم ما قبل سقراطيين (Présocratiques). تغطي هذه المرحلة الأولى حوالي قرنين من الزمان، من طاليس إلى سقراط، أو ما يقرب من 600 عام إلى 400 عام قبل عصرنا.

يمكن تجميع الفلاسفة القبسقراطيين معًا في عدة مدارس منعزلة تقريبًا، في مستعمرات اليونان المختلفة، والتي لم تتفاعل مع بعضها البعض سوى بشكل ضعيف، والتي تشترك في هذا الأمر، والتي، باتباع مسار المماثلة، يسعون جاهدين للإشارة إلى الطبيعة والعودة إلى أصل الأشياء بحيث يتبنى جانبًا واحدًا فقط بسبب الإشكالية التي يستهدفونها، وهذا يعني في النهاية تكوين "علم كوني". هذه هي المدرسة الأيونية (أو الملطية)، والمدرسة الفيثاغورية (أو الإيطاليقية/italique)، والمدرسة الإيلية (éléatique)، المدرسة الذرية (تسمى أحيانًا بشكل غير لائق مدرسة abdéritaine). لم تفكر أي من هذه المدارس سابقًا في ماهية القوى، وما هي قوانين العقل البشري، وما هي الطريقة أو المنهجية التي يجب اتباعها للوصول إلى الحقيقة المنشودة. لذلك اتبعت كل واحدة من هذه المدارس اتجاهها الخاص، وانتهى هذا الأمر بإثارة شكلاً من الريبية والنسبية مثلها السفسطائيون، الذين أسسوا مركز نشاطهم في أثينا.

لقد عملت كل مجهودات هؤلاء المفكرين على إعداد وتحضير فلسفة طرحت من الآن فصاعدًا مشكلة ارجاع كل تفكير إلى فكرة العلم، سواء من وجهة نظر الشكل أو من جهة المادة. لقد سعى جميع الفلاسفة الأوائل، الذين تأثروا بشدة بفكرة، إلى تطويرها حصريًا ومتابعتها بحماس. ولكن في وقت لاحق، وبتركيز الانتباه على الهدف العام للعلم وعلى الوسائل التي يمكن من خلالها اكتسابه، كان على المرء أن يصل إلى ذلك الهدوء الذي، في الواقع، ينتج فقط من فكرة العلم ذاتها، وتقدير أي معرفة خاصة من قبل العلم الكوني والطريقة التي يرتبط بها العقل بمبادئ تأملاتنا.

إن المفكرين المذكورين في هذا المحاضرة ليس لديهم نفس المكانة من نواح كثيرة. وهكذا، في حين أن أفلاطون لا يستشهد بأنكسيمندر أو أنكسيمينس، كما لو أن الفلسفة "قبل سقراط" كانت موجودة بشكل أساسي فقط من خلال معارضة بارمينيدس وهيراقليطس، فإنه من ناحية أخرى يشير عدة مرات إلى طاليس، أحد "الحكماء السبعة"، الذي نظر إلى النجوم وسقط في قاع بئر. لا يزال طاليس قريبًا من الأسطورة، على الرغم من أن فكره ساهم بلا شك في تشكيل شكل جديد من العقلانية. من ناحية أخرى، لدينا شظايا ومذاهب معينة إلى حد ما، من أنكسيمندر وأنكسيمينس، غامضة في بعض الأحيان، ولكنها مصممة. كان من الممكن أن يظهر الأول كمقدم للتعالي في الفلسفة (لقد طرح اللامحدود كمبدأ أول)، بينما كان الثاني قد دافع عن الجوهر (بالحفاظ على أن كل شيء يصدر عن الهواء ويعود إليه). تظل الحقيقة أن هؤلاء الأيونيين كانوا مواطنين ومعاصرين جزئيًا، وأنهم جميعًا شاركوا في حركة فكرية يمكن اعتبارها بعدهم بأجيال قليلة كأصل للفلسفة، لدرجة أن يمكننا الحديث بأثر رجعي عن "مدرسة ملطية".

-أولا- مشكلة الطبيعة:

على مدى 200 عام، ركز الفلاسفة الذين سبقوا سقراط على ثلاث قضايا/مسائل رئيسية. الأولى هي مشكلة الوحدة والتعدد، أي شرح كيف يمكن أن يكون الشيء الأساسي (واحد) مصدرًا للعديد من الأشياء المتنوعة. يحتوي العالم على مجموعة هائلة من الأشياء، بعضها حي والبعض الآخر جامد؛ بعضها صلب والبعض الآخر سائل. يبدو أنه من المعقول أن نفترض أن كل الأشياء تأتي من مصدر أو نوع واحد مشترك من الأشياء. ومع ذلك، فإن تحديد هذا المصدر المشترك هو التحدي. ثانيًا، مشكلة التغير والثبات، أي فهم وتفسير كيف تظل الأشياء ثابتة مع تغيرها بمرور الوقت/الزمن. لا توجد أنواع كثيرة من الأشياء في العالم فحسب، بل كل منها عرضة للتغير. الكائنات الحية مثل الأشجار تتقدم في السن وتموت؛ الأشياء الجامدة مثل الصخور تزول وتغير شكلها. مع تغير الأشياء، لا يزال هناك شيء عنها يمكّنها من الاحتفاظ بهوياتها. ثالثًا، مشكلة النسبية، أي تحديد ما إذا كانت المبادئ مطلقة أو من صنع الناس. لنفترض أنني توصلت إلى تفسير معقول لكيفية/طريقة

عمل العالم. هل هذا التفسير صحيح بالنسبة لي فقط، أم أنني اكتشفت شيئًا أكثر عالمية يجب أن يكون صحيحًا للجميع؟ على الرغم من أن بعض الحقائق قد تبدو مستقلة عني، فإن تحديد هذه الحقائق يمثل تحديًا.

كانت نظريات الفلاسفة ما قبلسقراطيين جريئة، وأحيانًا إلى درجة كونها تبدو غريبة. نظرًا لكونهم أول من غامر بدخول المناطق المجهولة لكل من الفلسفة والعلم، فقد استكشفوا تقريبًا كل تفسير للأشياء التي بدت معقولة، ولهذا السبب هناك ثراء وتنوع في آرائهم لم نرها منذ ذلك الحين. وهذا يجعل الأمر مؤسفًا للغاية أن أيا من الكتب التي ألفها الفلاسفة ما قبلسقراطيين لم يبق على حاله. كل ما لدينا هو بعض الملخصات والجمل المبعثرة من أعمالهم التي استشهد بها كتاب لاحقون مثل أفلاطون وأرسطو. انطلاقا من هذه الشذرات، يبقى علينا إعادة بناء وجهات نظرهم الأصلية. في بعض الأحيان تظهر صورة واضحة؛ في أوقات أخرى، كما سنرى، فإن الأمر يتعلق بالتخمين.

يعتقد الكثير من الفلاسفة، وخاصة **نيتشه** أن البداية الفعلية للفلسفة اليونانية كانت من خلال البحث عن **العلة الأولى للأشياء ومبدأها الأول**، وذلك من خلال التساؤل عن **أصل الأشياء** الذي **يوجد داخل الطبيعة**. "ولما كان الإنسان يبدأ بالنظر نحو العالم الخارجي لا نحو الداخل إلى نفسه فإن هذه الحقيقة حددت أيضا طابع الحقبة الأولى من الفلسفة اليونانية، فقد انشغلت فحسب بالطبيعة، بالعالم الخارجي ولم تنشغل بالإنسان إلا باعتباره جزءا من الطبيعة"[46]. إن " فكرة الطبيعة (Physis) كانت تعني عند الفلاسفة الطبيعيين الأوائل المادة الأولية التي نشأت عنها كل الموجودات"[47]، ومن ثم اتجه كل فيلسوف إلى افتراض معين ينطلق منه ليفسر ويعلل جميع مظاهر الوجود المادي بأكمله (طاليس/الماء، أنكسيمانس/الهواء، هرقليطس/النار، دمقريطس/الذرة). واللافت للنظر هنا أن أغلب فلاسفة تلك الفترة قد استندوا في محاولة تفسيرهم لمظاهر الوجود المختلفة إلى عدة فروض أغلبها فروض مادية بحته مما يجعلهم أقرب للعلماء منهم للفلاسفة ولذلك أطلق على المشتغلين بالفلسفة في هذه الفتر "بالطبيعيين الأوائل" لأنه كان جل اهتمامهم منصبا على البحث في أصل الكون ونشأته. يقول عبد الرحمن مرحبا: " ويلاحظ على هذه الفلسفات جميعها أنها

[46] ولتر ستيس، **تاريخ الفلسفة اليونانية**، ترجمة: مجاهد عبد المنعم مجاهد، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة/مصر، ط. ؟، 1984، ص.31.
[47] أميرة حلمي مطر، **الفلسفة اليونانية: تاريخها ومشكلاتها**، مرجع سابق، ص.41.

كانت متجهة نحو العالم الخارجي، عالم الأرض والسماء وسعة الأفلاك. وأما العالم الداخلي، الذي هو مصدر الأخلاق وموطنها، وأما العقل الذي هو مصدر المعرفة ومستقرها، فقد كانت الفلسفة اليونانية آنذاك لا تزال بعيدة عنها، قاصرة عن النفاذ إليها واستيعابها. فإن البحث في الطبيعة أقرب منالا من البحث في الذات وأيسر وصولا، لأن كل ما يتطلبه إنما هو إلقاء شعاع الفكر على الأشياء وتقليبه فيها واستخلاص بعض النتائج منها"[48]. تقول الدكتورة أميرة حلمي مطر:" لم يكن تأثر الفلسفة الطبيعية المبكرة عند اليونان بالمستوى العلمي والفني الذي وصلت إليه الصناعة في عصرهم بأقل من تأثرها بالعوامل الإجتماعية والفكرية الأخرى، فمعظم فلاسفة هذه الفترة كانوا علماء وكانت لهم مخترعات ومكتشفات علمية عظيمة الأهمية "[49].

-ثانيا- الأيونيون و هرقليطس:

مثلما يقال، إن السابقين المباشرين لفلاسفة ملطية الطبيعيين هم الشعراء-الثيولوجيون، الذين كانت كتاباتهم نقاط التقاء مع تفكير الفلاسفة الأوائل. إن ثيوجيني (*Théogonie*) هزيود، على سبيل المثال، لا تقترح فقط أصلا للآلهة، بل للعالم أيضا. ومع ذلك، فإن ما يسمح باعتبار طاليس بمثابة الفيلسوف الأول ويميزه عن الشعراء- الثيولوجيين هو أنه يتموقع على صعيد جديد: صعيد العقل وليس الأسطورة. هذا لا يعني أن هزيود، وبشكل أعم، الشعراء-الثيولوجيون لا يستخدمون العقل، كما لا يعني أن العنصر الأسطوري عند طاليس أو الفلاسفة اللاحقين كان غائبا؛ بل إنه ببساطة، على الأقل في النظرة عنهم التي أوصلها لنا أرسطو، عند هؤلاء المظهر الغرائبي، الأسطوري، هو الغالب، بينما عند طاليس والأيونيين نجد أن العقل أو اللوغوس هو الذي يسود ويهيمن. والدليل هو أن الشعراء- الثيولوجيين مع أن تناولهم للمسائل في أفق تأملي هو في جزئه المشابه، كوسمولوجي، فإنهم لا يسعون إلى فردنة المبدأ المطلق الأول للواقع، بل بالأحرى يهدفون إلى نقل رواية عن ولادة الكون. في المقابل، نجد أنه عند الأيونيين البحث عن المبدأ (arjé) (مبدأ الأشياء) هو المسألة المركزية لتأملاتهم و ما يدخلهم إلى مجال الفلسفة.

---

[48] عبد الرحمن مرحبا، **مع الفلسفة اليونانية**، مرجع سابق، ص.88.
[49] أميرة حلمي مطر، **الفلسفة اليونانية: تاريخها ومشكلاتها**، مرجع سابق، ص.42.

كان أول فلاسفة اليونان القديمة المعروفين من دولة مدينة تسمى ملطية/ميليتوس (Milet). تقع ملطية على الساحل الغربي لما يُعرف الآن بشبه الجزيرة التركية (التي كانت تسمى آنذاك الأناضول)، وكانت ميناءً بحريًا مزدهرًا وجزءًا من منطقة مدن تسمى إيونيا (Ionie). باعتبارها مركزا للتجارة البحرية، كان سكان ملطية على اتصال بالثقافات المجاورة، وبالتالي فقد تأثروا بالعديد من وجهات نظرهم، ولا سيما نظريات علم الفلك التي جاءت من حضارات شرق اليونان. كان الفلاسفة الثلاثة الأوائل من ملطية هم طاليس وأناكسيماندر وأناكسيمين، وكلهم حاولوا الإجابة على السؤال "ما هي المادة المشتركة التي تتكون منها كل الأشياء؟"

ينتمي للمدرسة الملطية الأيونية فلاسفة ثلاثة هم طاليس، أناكسيماندر وأنكسمنس، وقد تتلمذ اللاحق منهم على سابقه واهتموا جميعا بالبحث في طبيعة الكون أي بالكوسمولوجيا. يقول احمد فؤاد الأهوانى: " تتألف المدرسة الأيونية من ثلاثة فلاسفة هم طاليس وانكسمندرپس وأنكسمانس وهم جميعا من مدينة ملطية، ولذلك تعرف المدرسة باسم مدرسة ملطية. وقد أطلق عليهم أرسطو اسم الطبيعيين الأولين، فاشتهرت المدرسة بذلك أيضا "[50]. ومن بين الخصائص المشتركة بينهم: **الاهتمام بالبحث في الطبيعة؛** و**عنايتهم بالعلوم** (الرياضة والهندسة والفلك)، وكانت لهم فضلا عن ذلك اكتشافات ومخترعات أفادت فنون عصرهم، إضافة إلى انتمائهم إلى اتجاه واحد في الفلسفة هو **الاتجاه المادي**، باعتبار أنهم جميعا تصوروا أن الحقيقة العلمية والفلسفية للوجود لا بد أن تكون مادة، فهذه الأخيرة هي أصل الوجود ومبدأ نشأته وحركته. وكما سنرى، كل واحد منهم سيقدم حلولا مختلفة لمشكلة المبدأ الأول، ولكن في كل الحالات فإنهم يعتبرون أن هذا المبدأ يجب أن يكون واحدا وفريدا. هذا الظرف بالإضافة إلى أصلهم الأيوني، يسمح بتقريب دراستهم لدراسة هيراقليطس الذي كان تفكيره، لأسباب أخرى، مختلفا تماما عن تفكير الإيونيين الأوائل.

في الحلقة السادسة المعنونة ب: أعمق، أعمق وأعمق من سلسلة كوسموس: أوديسا الزمكان، التي عرضت لأول مرة في ماي 2014، أشار المقدم/المنشط نيل دي جراس تايسون (Neil deGrass Tyson) إلى أن الإغريق القدامى جلبوا لنا المسرح

[50] أحمد فؤاد الأهواني، **فجر الفلسفة اليونانية – قبل سقراط –**، مرجع سابق، ص. 47.

والديمقراطية. لكن أهم مساهمة كانت هي أن طاليس كان أول شخص يصف الظواهر الطبيعية دون الرجوع إلى آلهة الأساطير. لم تكن أحداث مثل الزلازل عقابًا من الآلهة على فعل قام به أثار استياء الآلهة، بل كان بسبب عمليات مادية طبيعية. كما يمكن توقعه في أي مجال ناشئ (جديد)، كانت العديد من التفسيرات خاطئة. إن تأثير طاليس بخصوص فهم الطبيعة لا يكمن في تفسيراته، بل في حقيقة أنه كان أول من طرح أسئلة حول الأشياء كما هي بالفعل ولم يتساءل عن الأصل الأسطوري للعالم!

المدرسة الأيونية (L'école Ionienne):

تحت الاسم الشائع للفلاسفة الأيونيين، وحد التاريخ العديد من الفلاسفة الذين لا يرتبطون بأي حال بوحدة المذهب، وبالانتساب إلى نفس المدرسة وبوراثة المعتقدات والتأكيدات؛ تمت الإشارة إلى القاسم المشترك بينهم من خلال هذه المقدمة البسيطة لأرسطو:

تقسم المدرسة الأيونية نفسها إلى فرعين:

* **الديناميكيون (Les Dynamistes)**. - هؤلاء يفكرون في العالم من وجهة نظر ديناميكية، أي من جهة الحياة والقوة اللتان تتجليان في أحضانه وداخله، ويعتبرون جميع الكائنات وجميع الظواهر من آثار الانكماش أو التمدد، باختصار، بوصفها أشكالا متنوعة لعنصر واحد، يتمتع بشكل طبيعي بخصائص الحياة وحتى العقل. يمثل طاليس (Thalès)، أناكسيمان (Anaximène)، ديوجين الأبولوني (Diogène d'Apollonie)، هيراقليطس (Héraclite) أوجه التقدم المختلفة في المذهب الديناميكي.

الميكانيكيون (Les Mécanistes). - من خلال تموقع هؤلاء، من وجهة نظر ميكانيكية، فإنهم يفسرون كل ظواهر الكون والكون نفسه من خلال الإتصال/الإجتماع، والانفصال/الإفتراق والتوليفات المختلفة لعدد لا حصر له من العناصر المادية التي تتحرك بشكل طبيعي، أو بدافع غريب. أناكسيماندر (Anaximandre) هو مؤسس هذه المقاربة، وإمبيذوقليس (Empédocle) هو أشهر مروج لها. يمكننا أيضًا أن نصنف بين الميكانيكيين: أرخيلوس الفيزيائي (Archélaüs le physicien)، وإلى حد ما، أناكساغوراس (Anaxagore)، لأنه، بما أن أفلاطون وأرسطو وبخاه بالضبط، فإن العقل، الذي يعترف بأنه أحد مبادئ العالم، لا يلعب في نسقه سوى دور الآلة التي تهدف إلى تحريك المادة الجامدة.

تم وضع هذا التصنيف بالفعل من قبل أرسطو:

لقد ألهم فضول قوانين الطبيعة المحسوسة إذن البحوث الأولى للفلاسفة الذين أطلق عليهم أرسطو بالضبط كلمة الفيزيائيين. لكن منذ البداية، يُظهر الاختلاف في الآراء صعوبة المشكلة، والتعارض بين طائفتَي الفلاسفة الأيونيين هي الأكثر إثارة للاهتمام، إذ نلاحظ أنها تتكرر بأشكال مختلفة، عبر الزمن، طيلة تاريخ الفلسفة.

أما بالنسبة لطريقة الأيونيين، فمن الواضح جدًا أنها معروضة في هذه الأسطر التي تشكل بداية مقال عن الطبيعة، والتي كتبها ديوجين الأبولوني نفسه في عام 472 قبل الميلاد باعتباره من أتباع طاليس:

1- طاليس (Thalès/624-546 ق.م):

ولد طاليس في ملطية بتاريخ لا يمكننا أن نعرفه سوى بصورة تقريبية. كل شيء يحمل إلى الاعتقاد بأنه طور نشاطه العلمي والفلسفي في بداية القرن 6 ق.م. لقد اعتبر منذ القدم كأول فيلسوف و، بشكل معين، كنموذج (prototype) الإنسان الحكيم. لدينا العديد من الشهادات عن أعماله، التي أعطته دورا هاما في حياة شعبه، والتي تقدمه لنا باعتباره رياضيا، و عالم فلك ورجل سياسة بارز. ويقول برتراند رسل وهو في صدد حديثه عن طاليس أول الفلاسفة الأغريق " ومع ذلك فأمامنا مبرر قوي يحملنا على احترام طاليس، ولو أنه احترام موجه إليه باعتباره رجلا من رجال العلم أكثر منه فيلسوفا بالمعنى الحديث لهذه الكلمة "[51].

إن معظم ما هو معروف عن طاليس مستمد من كتابات هيرودوت. كان طاليس مهندسًا وفلكيًا ومموِّلًا وسياسيًا. كان أول من سمي حكيم (شخص حكيم) من الحكماء السبعة في اليونان، حيث " يرتبط اسمه بالحكماء السبعة السابقين عليه، وعلى الرغم من اختلاف الباحثين في تسمية هؤلاء الحكماء إلا أن أغلب الروايات تتفق على أن طاليس واحد من هؤلاء الحكماء "[52]. بعد مهنة سياسية، تحول طاليس إلى دراسة الظواهر الطبيعية وقدم دراسة الطبيعة إلى الإغريق. كتب أرسطو أن طاليس هو مؤسس الفلسفة الطبيعية. كان طاليس أول فلاسفة ملطية، الذي اعتبر أن الماء هو المادة الأساسية لكل الأشياء. طاليس نفسه لم يكتب أي شيء، وما نعرفه عنه يأتي من مصادر لاحقة. اشتهر بخبرته في علم الفلك والهندسة، ووفقًا لإحدى القصص، نجح في توقع حدوث كسوف للشمس في عام 585

[51] برتراند راسل، **تاريخ الفلسفة الغربية، المجلد الأول**، ترجمة: زكي نجيب محمود، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة/مصر، ط. 1، 2010، ص63.

[52] عبد الجليل كاظم الوالي، **الفلسفة اليونانية**، مؤسسة الوراق،عمان/الأردن، ط. 1، 2009، ص. 58.

قبل الميلاد. " وبخلاف معرفته بالرياضيات (إذ أخذ علم الهندسة من مصر وأدخله إلى اليونان)، ومعرفته الفلكية (إذ توقع حدوث كسوف الشمس في 27 مايو عام 585 قبل الميلاد)، اقترح طاليس أيضا نظرية عن المادة "[53]. و قد حيكت حوله العديد من القصص التي تروي بعض الأحداث التيي وقعت له، حيث " يقدمه أفلاطون في محاورة « ثياتيتوس منشغلا بالفلك، إذ تسخر منه إحدى الخادمات لأنه سقط في بئر، فيما كان يتطلع إلى السماء "[54]. هناك قصص مختلفة عن حياته، مثل القصة التالية التي تصف كيف سقط في بئر: رأت خادمة بارعة طاليس يسقط في بئر وقالت إنه كان حريصًا جدًا على معرفة ما يجري في الجنة لدرجة أنه لم يستطع رؤية ما كان أمام قدميه. هذا ينطبق على جميع الفلاسفة. الفيلسوف لا يعرف العالم. يكاد لا يعرف ما إذا كان جاره رجلًا أم حيوانًا. لأنه دائمًا ما يبحث في ماهية الإنسان، ويتساءل عما يجب أن تفعله هذه الطبيعة أو تعاني بشكل مختلف عن أي طبيعة أخرى. [أفلاطون، محاورة ثياتيتوس]

من المرجح جدا أن الواقعة لم تحدث أبدًا، وفي الواقع، تمثل هذه القصة صورة نمطية شائعة عن الفلاسفة في ذلك الوقت واليوم: إنهم غارقون جدًا في تأملاتهم لدرجة أنهم لا ينتبهون إلى المكان الذي يسيرون فيه. هناك صورة نمطية شائعة أخرى للفلاسفة وهي أن مهاراتهم لها القليل جدًا من التطبيقات في العالم الحقيقي/الواقعي، وأن مثل هذا النقد كان سيوجه ضد طاليس أيضًا. ومع ذلك، عبر التاريخ، أثبت طاليس أنهم مخطئون من خلال كسب الكثير من المال من خلال الاستثمار في زيت الزيتون:

كره الناس طاليس لفقره، وكأن دراسة الفلسفة عديمة الجدوى. ومع ذلك، يُذكر أنه بفضل مهاراته في علم الفلك، أدرك أنه سيكون هناك محصول زيتون كبير في ذلك العام. ثم، بينما كان الشتاء لا يزال، وبعد أن حصل على بعض المال، أودع ودائع في جميع شركات (أعمال) زيت الزيتون التي كانت في ملطية وخيوس. لقد حصل عليها بسعر منخفض وثمن بخس، حيث لم يكن هناك من يراهن عليه. عندما جاء موسم إنتاج الزيتون، أراد الكثير من الناس الحقوق، وباعها جميعًا مرة واحدة بشروط ترضيه. وهكذا، جمع مبلغًا كبيرًا من

---

[53] تشارلز باسترناك، **جوهرُ الإنسانية: سَعيٌ لا ينتهي وحَرَاكٌ لا يتوقف**، ترجمة: زينب عاطف، مؤسسة هنداوي سي أي سي، وندسور/المملكة المتحدة، ط.؟، 2018، ص. 311.

[54] عبد الله إبراهيم، **المركزية الغربية ـ إشكالية التكون و التمركز حول الذات**، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت/لبنان، ط. 2، 2003، ص. 196.

المال. بهذه الطريقة أقنع الجميع أنه من السهل على الفلاسفة أن يكونوا أثرياء إذا ما أرادوا ذلك، لكن ذلك لم يكن هدفهم. هذه هي الطريقة التي أظهر بها طاليس حكمته[55].

إن تفاصيل فلسفة طاليس سطحية وجد قليلة مثل تفاصيل حياته. أفضل تفسير هو الذي قدمه أرسطو، الذي يشير إلى أن جميع الفلاسفة الأوائل حاولوا اكتشاف الجوهر الأساسي لكل الأشياء، لكنهم اختلفوا حول طبيعة تلك المادة بالذات. لقد اعتبر الإغريق في السابق أن هناك أربعة عناصر أساسية، وهي التراب والهواء والنار والماء. من بين هؤلاء، اختار طاليس الماء باعتباره المادة الرئيسية للطبيعة، ويخمن أرسطو لماذا اختار طاليس الماء على وجه التحديد:

قال طاليس، مؤسس هذا النوع من الفلسفة، إن المبدأ هو الماء (ولهذا السبب أعلن أن الأرض تطفو على الماء). ربما حصل على هذه الفكرة من رؤيته أن غذاء كل الأشياء رطب، وأن الحرارة نفسها تتولد من الرطوبة وتبقى حية بواسطتها (ومصدرها هو مبدأ كل شيء). ربما استمد فكرته أيضًا من حقيقة أن بذور كل الأشياء لها طبيعة رطبة، وأن الماء هو أصل طبيعة الأشياء الرطبة. " إذ يقول ((طاليس مؤسس هذا النوع من الفلسفة يقول إن المبدأ هو الماء، ومن المحتمل أنه استمد الفكر من رؤية أن الغذاء لجميع الأشياء هو الرطوبة وأن الحرارة نفسها تتكون من الرطوبة وتبقى حية بها))"[56].

مثلما يوضح أرسطو، يبدو أن الرطوبة عنصر أساسي في جميع الكائنات الحية. يبدو أيضًا أن الماء خيار معقول نظرًا لأنه في حالة وسيطة بين التراب والهواء حيث يمكن لبعض المواد الرطبة أن تتبخر وتتحول إلى هواء، والبعض الآخر يتجمد ويتحول إلى وحل أو تراب.

على الرغم من أننا نفهم تفكير طاليس حول سبب اختياره الماء باعتباره المادة الأساسية، فلا يزال هناك بعض الغموض حول ما يعنيه أن يكون الماء مصدر كل الأشياء. من ناحية أخرى، قد يعني ذلك أن العالم نشأ من الماء، وهي وجهة نظر ورؤية كانت موجودة في الأساطير لفترة طويلة. من ناحية أخرى، قد يعني ذلك أن العالم لا يزال مكونًا من الماء،

---

[55] أرسطو، السياسة، 1.11.

[56] عبد الجليل كاظم الوالي، **الفلسفة اليونانية**، مرجع سابق، ص. 32.

والأشياء كما هي الآن تتكون من الماء كمادة أساسية. هذا التفسير الثاني لطاليس هو التفسير الأكثر شيوعًا، وهو التفسير الذي يشكل مطالبة طاليس المشروعة بالشهرة. يبدو أنه من السهل تحديد عنصر واحد مثل الماء باعتباره العنصر الأساسي لكل الأشياء. لكنها خطوة معقدة للغاية للتخلي عن الأسس الأسطورية للعالم الطبيعي لصالح التفسيرات المادية، وهذا بالضبط ما فعله طاليس.

لقد كانت المصادر أكثر حذرا حول فكره الفلسفي، ويرجع ذلك جزئيا إلى حقيقة أنه لم يكتب شيئا، والتي عرفناها أساسا من خلال ما نقبه إلينا أرسطو. حسب هذا الأخير، فكر طاليس يمكن اختزاله إلى مذهبين أساسيين: **الماء كمبدأ أول** و**الروح كمبدأ محرك**.

-أ- الماء كمبدأ أول: النقطة الأساسية لكوسمولوجيا طاليس هو اعتبار **الماء كمبدأ أسمى.** يعرض أرسطو فكر الملطي فيقول في كتاب *ما بعد الطبيعة*: " لقد فكر الفلاسفة الأول أكثر في المبادئ ذات الطبيعة (المادية) واعتقدوا أنها هي وحدها مبادئ الأشياء جميعا، فهي تلك التي تتكون منها الأشياء كلها، والتي منها ظهرت إلى الوجود لأول مرة، والتي تنحل إليها في النهاية. (فالموجود يظل كما هو والتغيرات تتم في مظاهره) وما يقولونه هو عنصر الأشياء و مبدأها. ومن ثم فهم يعتقدون أن لاشيء يمكن أن يظهر أو يختفي، ما دام هذا النوع من الكائنات موجودا باستمرار، على نحو ما تقول إن سقراط لا يظهر تماما عندما يصبح جميلا أو موسيقيا، ولا يتوقف عن الوجود تماما عندما تقول إن سقراط لم يفقد هذه الخصائص (الجمال أو الموسيقى)، لأن الحامل ألا وهو سقراط نفسه يظل كما هو. وعلى ذلك فهم لا يقولون لا شيء آخر يظهر في الوجود أو يكف عن الوجود، لأنه لا بد أن يكون هناك كيان ما، إما واحدا أو أكثر من واحد (متعدد)، تظهر منه جميع الأشياء الأخرى ويظل كما هو. ومع ذلك فهم لا يتفقون جميعا على عدد هذه المبادئ أو طبيعتها فطاليس مؤسس هذه المدرسة الفلسفية يقول إن هذا المبدأ هو الماء. (وهو لهذا السبب يعلن أن الأرض تطفو فوق سطح الماء)..."[57].

من هذه الشهادة الأولى يمكننا أن نستنتج ليس فقط أن الماء هو المبدأ الأول بالنسبة لطاليس، ولكن أيضا على نطاق و وظيفة هذا المبدأ. من جهة، إنه منه كل شيء يبدأ - الأصل الأول

[57] إمام عبد الفتاح إمام، **مدخل إلى الميتافيزيقا**، نهضة مصر للطباعة، القاهرة، مصر، ط1، 2005، ص.263.

لجيله - وإليه كل فساده (العدم). في النظرة الأرسطوطاليسية، هذا المبدأ هو المؤسس المادي الأصلي لكل الأشياء، والذي يبقى فيها كمقوم و كل ما يصبح بالفساد.لكن لماذا رأى طاليس في الماء المبدأ الأسمى؟ يعطينا أرسطو أيضا مؤشرات دقيقة: "وربما جاءته الفكرة من رؤيته غذاء أن الأشياء جميعا لا بد أن تكون رطبة، وأن الحرارة نفسها تنشأ من الرطوبة، وتبقى حية بواسطتها (أو أن ما صدرت عنه هو مبدأ كل شيء). وقد استمد فكرته من هذه الواقعة، وأن بذور كل شيء ذات طبيعة رطبة، وأن الماء هو أصل طبيعة الأشياء الرطبة." (ن.م.ص)

لقد انطلق من الفرضية التالية، وهي أن الأشياء على رغم من تغيرها وتنوعها، واختلاف بعضها عن بعض، تشكل عالما معقولا، وترتد إلى مبدأ واحد هو الماء. ومن الحجج التي يؤكد بها صدق هذه الفرضية، أن الحياة تدور مع الماء، وجودا وعدما، فتكون الحياة حيث يكون الماء، وتنعدم حيث ينعدم؛ وأن الماء يستحيل إلى صور متنوعة، فيصعد في الفضاء بخارا، ثم يعود، فيهبط فوق الأرض مطرا، ثم يصيبه برد الشتاء، فيكون ثلجا؛ وهكذا، يكون غازا حينا، وسائلا حينا، وصلبا حينا. وكل ما يقع في الوجود، لا يخرج عن إحدى هذه الصور الثلاث؛ فلا فرق بين هذا الإنسان، وتلك الدابة وذلك الجبل إلا الاختلاف في كمية الماء الذي يتركب منها، هذا الشيء أو ذاك؛ هذه حقيقة مطلقة، يؤمن بها طاليس، إلى درجة أنه خيل إليه، أن الأرض قرص متجمِّد، يسبح فوق لجاج مائية ليس لأبعادها نهاية.

قد تبدو لنا هذه الأسباب سذاجة، فهي ناتجة عن ملاحظات أساسية بشكل مفرط، ولكن أسباب ترمي إلى شرح التنوع المدهش، وإلى إعادة هذا التنوع والتعدد المتغير للعالم المادي إلى وحدة المبدأ، وإلى تجاوز مرحلة الحكايات الخيالية (الأساطير).

ومع ذلك، فمن الممكن أن التفسير العقلاني الذي قدمه طاليس قد وجه من قبل الأساطير السابقة. هذا هو الشك وحتى الاتهام الذي تركه أرسطو يظهر والذي أدى بالعديد من المؤرخين إلى تشبيه مبدأ طاليس ببعض النظريات الأسطورية. يقول أرسطو في هذا الصدد: " واعتقد البعض أن القدماء الذين عاشوا قبل الجيل الحالي بزمن طويل، والذين كانوا أول من ذكر روايات عن الآلهة، كانت لديهم وجهة نظر مشابهة عن الطبيعة، لأنهم جعلوا من الأوقيانوس (Océan) ومن تيطيس (Thétis) والدين للخلق. ووصفوا قسم

الآلهة بأنه كان يتم بجوار الماء الذي أسموه هم أنفسهم "ستايكس" (Styx). وربما كان هناك شك فيما إذا كان هذا الرأي عن الطبيعة رأيا بدائيا وقديما. غير أنه يقال إن طاليس، على أية حال، أعلن ذلك بنفسه عن المبدأ الأول".(ن.م.ص).

حتى و إن كان هذا الأمر لا يمكن البرهنة عليه، من المحتمل أنه كانت هناك مقدمات أسطورية في فكر طاليس؛ ولكن ما ينبغي الإشارة إليه والتأكيد عليه مرة أخرى هو الطبيعة العقلانية لأطروحته، التي تميزها بوضوح عن أية قصية أسطورية يمكن أن تتشابه معها. يقول الدكتور عبد الرحمان مرحبا: " وليس المهم في ذلك رده الأشياء إلى الماء، إنما المهم أنه: كان أول من عبر عن أفكاره بعبارات منطقية معقولة، فهو لم يفسر الكون بالخرافات و الحكايات و الأساطير، و لا بالقوى الخفية و قوى الآلهة، بل على أساس عقلي علمي معلل، يرتبط فيه المعلول بالعلة ارتباطا وثيقا". (لقد) كان أول من أرجع الكون كله إلى عنصر واحد. (...) إن طاليس لا يهمه تنوع الكائنات والأشياء، إنما يعنيه الغوص على الحقيقة البسيطة الواحدة التي تضرب في الأعماق، دون النظر إلى ما يبدو للحس الظاهر"[58].

-ب- الروح كمبدأ محرك:

المقترحات المتبقية لطاليس التي نقلها لنا أرسطو تتعلق بمذهبه عن الروح، التي تقدم مؤشرات هامة حول لاهوته (ثيولوجيته):" ويبدو أيضا أن طاليس، حسب ما ذكر و نقل عليه، كان يعتقد أن الروح هي قوة محركة، إن كان صحيحا أنه ادعى أن حجر المغناطيس له روح لأنه يجذب الحديد. (Aristote, L'âme,1,2)؛ ثم يشير أرسطو فيما بعد: " وهناك أيضا بعض الفلاسفة الذين يرون أن النفس مخلوطة مع الكون بأسره، هذا ما كان سببا ربما في أن طاليس اعتقد أن كل شيء كان مليئا بالآلهة" (Aristote, L'âme,1,5). في هذا الاتجاه تقول أميرة حلمي مطر:" ومما ينسب لطاليس أيضا قوله أن كل الأشياء مليئة بالآلهة أو بالنفوس و أن المغناطيس حي لأن فيه قوة تحريك الحديد"[59]. أن تكون الروح (النفس) هي مبدأ الحياة والحركة يبدو الخلاصة المنطقية المستنتجة من قبل أرسطو لبيان طاليس حول المغناطيس. ولكن وفقا للبيان اللاحق، فإنه لن يكون الحجر المغناطيسي فقط هو ما يمتلك روحا بل كل الكون الذي سيكون مشبعا بالحياة،

[58] محمد عبد الرحمن مرحبا، **مع الفلسفة اليونانية**، مرجع سابق، ص.86-87.
[59] أميرة حلمي مطر، **الفلسفة اليونانية: تاريخها ومشكلاتها**، مرجع سابق، ص.51.

على الرغم من أن العديد من أجزائه تبدو جامدة، "فقد نسب إليه أرسطو أيضا القول بأن الآلهة تحل في جميع الأشياء (كتاب النفس، 411، أ،2) وإن كان قد علل ذلك بقوله إن طاليس ربما كان يعني بذلك أن النفس منتشرة في جميع أرجاء الكون، وأن جميع الأشياء تتصف بالحياة"[60]. لا شيء آخر قيل عن طبيعة الروح الحيوية المنشطة والإلهية، ولكن من الممكن أن طاليس قد ربطها بطبيعة المبدأ الأول: الماء. في هذه الحالة سيكون فكر طاليس أكثر وضوحا: كل الأشياء تصدر من الماء والماء يبقى في كل الأشياء، باعتباره الأساس؛ إذن كل الأشياء ينبغي أن تكون إلهية و متحركة.

2- أنكسيمندر (Anaximandre/610-546 ق.م):

ولد أنكسيمندر في ملطية نحو سنة 611 ق.م، وكان أصغر بقليل من طاليس و، حسب الأدلة المتاحة، كان تلميذه. مؤلف كتاب الذي يحمل عنوان **في الطبيعة**، مارس مثل أستاذه أنشطة أخرى زيادة على البحث الكوسمولوجي. ومع ذلك، كان مختلفا بشكل واضح عن طاليس في هذا المجال، مشيرا الى ان **الأبيرون (Apeiron) هو المبدأ الأول**، أي أنه هو الذي **ليس نهائيا، وغير محدود**." من بين الذين قالوا أن [المبدأ الأول] هو واحد، متحرك ولانهائي، أنكسمندر، ابن براكسياد (Praxiade)، ملطي، تلميذ وخليفة طليس، قال مبدأ و عنصر الأشياء الموجودة كان الآبيرون، الذي كان أول من أدخل هذا الاسم للمبدأ المادي"(Simplice, *In Aristotelis Physica*, 24, 13.). "إن اللانهائي أو اللامحدود (الأبيرون) هو المادة الأولى للأشياء أو المبدأ الأول للأشياء الكائنة. وأيضا فإن الأصل الذي يستمد منه الموجودات وجودها هو الذي تعود إليه عند فنائها طبقا للضرورة وذلك لأن بعضها يخضع لحكم العدل ويصلح بعضها الآخر. (...) وقد وصف انكسيمندر هذا اللانهائي بقوله:" هذا اللانهائي دائم أزلي" و " اللانهائي خالد لا يفنى "[61].

اناكسماندر الملطي، كان صديقًا لطاليس. لكن بصفته فيلسوفًا، فهو يفصل نفسه عن طاليس ويتميز تمامًا عنه في أنه يعطي لأصل العالم طابعًا ميكانيكيًا بالكامل، موضحًا تكوين

---

[60] ماجد فخري، **تاريخ الفلسفة اليونانية – من من طاليس (585ق.م) إلى أفلوطين (270م) وبرقلس (485م)** –، دار العلم للملايين، بيروت/لبنان، ط. 1، 1991، ص.17.

[61] مصطفى النشار، **تاريخ الفلسفة اليونانية من منظور شرقي- المدارس المدارس الفلسفية اليونانية في العصر الهللينستي** -، مرجع سابق، ص.110.

الأشياء والكائنات من خلال الفصل المتتالي للعناصر المتضمنة من كل الأبدية في فوضى بدائية (apeirôn/ الأبيرون).

هذا التفسير البسيط لفلسفته عن الطبيعة عرضه لنا أرسطو؛ يمكن أن تتعارض مع شهادات أخرى أقل أهمية، ولكن يبدو أنها تشير إلى أن أناكسماندر ربما تردد بين هذا المذهب ورأي طاليس. يجب علينا أن نفهم من الأبيرون ما ليس له لا شكلا ولا ماهية محددة في كمية، العدد أو الكيف، والذي يحتوي على جميع الأضداد التي تنفصل عنه باستمرار للعودة إليه بلا توقف. هل هناك قوة مميزة تنتج هذه التغييرات؟ أناكسماندر لا يسأل نفسه حتى هذا السؤال؛ ولكن من خلال طرحه كمكمل لمذاهب أناكسماندر، أدى بأناكساغوراس لاحقًا إلى الاعتراف بوجود سبب عاقل لظواهر العالم، النوس (Noûs).

-3- أنكسمينس (Anaximenes/588-524 ق.م):

يعتبر أنكسمينس آخر ممثل لهذه المدرسة، وقد " حاول أن يجمع بين الفكرتين السابقتين، فرأى أن المبدأ لا بد أن يكون غير محدد من حيث الكم، و لكنه محدد أو متعين من حيث الكيف، إنه "الهواء" منه نشأت الموجودات التي كانت وسوف تكون منه أيضا، نشأت الآلهة وكل ما هو إلهي، وتفرعت عنه باقي الأشياء"[62]. إن هذا الشَّتات والتنوع والاختلاف في الأشياء، ليس سوى قرصٍ مسطوح يسبح في **الهواء**. ومن الأدلة التي يستند إليها، أن هذا المبدأ **دائم الحركة**، لأن الحركة أصل التغير. و التغير الذي يطرأ على الهواء خاضع لظاهرتين متقابلتين هما **التخلخل و التكاثف**"[63]، فالهواء يشيع في كل أنحاء الوجود؛ فإذا تكاثف حينا، كان شيئا، وإن هو تخلخل حينا، كان شيئا آخر. فإذا هو أمعن في تخلخله مثلا، انقلب نارا، حتى إذا ارتفعت، كوّنت الشموس، والأقمار. وإذا هو أمعن في التكاثف مثلا، انقلب سحابا، ثم أنزل السحاب ماء، ثم تجمد الماء، فإذا هو تربة وصخور.

أنكسيمين الملطي يبدو أنه كان تلميذ أنكسماندر الذي تخلى عن مذهبه ليرتبط بالأحرى بالبحث عن تفسير ديناميكي للعالم؛ هذا هو سبب كونه الخليفة الحقيقي لطاليس. لقد جعل الهواء يلعب، كمبدأ للعالم، الدور الذي أعطاه طاليس وأنكسماندر، الأول للماء، والثاني إلى

---

[62] [62] إمام عبد الفتاح إمام، **مدخل إلى الميتافيزيقا**، مرجع سابق، ص. 92.

[63] ماجد فخري، **تاريخ الفلسفة اليونانية – من من طاليس (585ق.م) إلى أفلوطين (270م) وبرقلس (485م)** –، مرجع سابق، ص.20.

اللانهائي أو إلى اللامحدود (apeiron). قال إن الهواء هو أصل كل الأشياء، وكل الأشياء تعود إليه بعد تطورات معينة. منضغط، متقلصًا في حد ذاته، يصبح الهواء أرضًا؛ وإذا تمدد وتوسع، يتحول إلى نار ومنه تولد النجوم؛ هو الكائن الفريد الذي يؤلف كل شيء بنفسه ومن نفسه؛ إنه جوهر الآلهة والأرواح البشرية.

-4- هرقليطس (Héraclite/540-480 ق.م):

هو فيلسوف يوناني في عصر ما قبل سقراط، كتب **بأسلوب غامض**، والسبب في ذلك أنه كان يطيب له المفارقات والأقوال الشاذة، وكان يعبر عنها بلغة مجازية رمزية، ومن هنا لقبه تيمون الفليوسي بلقب "صاحب الألغاز". ويقول عنه أفلوطين" :كان يتكلم بالتشبيهات، ولا يعنى بإيضاح مقصوده"، يغلب **طابع الحزن** على كتاباته، ولذا، عُرف بالفيلسوف الباكي.كان هرقليطس أول من قال بـ **اللوغوس** والذي استخدمه بمعاني عدة (الكلمة/اللغة، الفكر/الحقيقة). وإلى جانب القول باللوغوس، أكد على المبادئ التالية: * **الانسجام هو دائماً نتاج المتقابلات، ولهذا فإن الحقيقة الأساسية في العالم الطبيعي هي الكفاح**. *و **كل شيء في حركة مستمرة وتغيّر**. * وأن **العالم نار حية دائمة البقاء**.

إن المبدأ الأول له ثلاثة أوجه هي: - كل شيء مؤلف من المتقابلات، ولهذا فإنه خاضع للتوتر الداخلي؛ و المتقابلات في حالة هوية بعضها مع بعض، أي أن المتقابلات واحدة؛ و الحرب، هي القوة المهيمنة والخلاقة، وهي الحالة السليمة للأمور. أما المبدأ الثاني فيعبّر عنه بقوله : "كل شيء في سيلان دائم : والقول المشهور الذي يعبر هرقليطس عن هذا المبدأ " لا تستطيع أن تنزل في نفس النهر مرتين" ويضيف إليه فلوطرخس، التفسير التالي : " لأن مياهاً جديدة تتدفق فيه". أما المبدأ الثالث فيشرحه بالقول : "إن نظام العالم واحد للجميع، لم يصنعه أحد الآلهة ولا الناس، لكنه هو دائماً وسيكون كذلك أبداً : ناراً حية دائمة البقاء، أشعلت بمقاييس وأطفئت بمقاييس". ويشرح اللائرسي هذا القول بأنه يعني أن " الكون ولد من نار وسينحل من جديد إلى نار، في عصور متوالية على التبادل، وهكذا أبداً". لقد ذهب هيرقليطس إلى أن " العالم kosmos وهو واحد للجميع، لم يخلقه

إله أو بشر، ولكنه كان منذ الأبد، وسوف يوجد إلى الأزل، إنه النار، التي تشتعل بحساب Metra (بمقياس – بنسبة) وتخبو بحساب"[64].

يرى هرقليطس أن **الأشياء تتغير باستمرار**، ومصدر ذلك، **النار**؛ وهذا، لأن طبيعة النار، أن تحرق، والاحتراق تغير. فكل الأشياء في العالم، ظواهر لا تكف عن الاحتراق؛ وبهذه العملية، يتحول الشيء باستمرار إلى الآخر؛ وليست هذه الحياة التي تدب في الأحياء، وهذا النشاط العقلي الذي يُميّز الإنسان، إلا قبسا من تلك النار؛ فكلما كثرت النار في جسم، ازدادت حيويته، واشتد نشاطه؛ وكلما أظلم الشيء ـ أي قل ما فيه من نار ـ كان أقرب إلى الموت واللاوجود. وبتعبير آخر، كل شيء يخرج من النار، وإلى النار يعود؛ لأن الوجود في الحقيقة، عملية مستمرة للصيرورة؛ وعملية التحول هاته، تأخذ اتجاهين: طريقا صاعدا، وآخر هابطا: ـ فالصاعد يبدأ من التراب ثم الرطوبة ثم النار؛ ـ والهابط، من النار إلى الرطوبة، فالتراب. ويرى أن التوازن متساو تماما، وهو تحول حقيقي بين العناصر: "إن النار تحيي موت التراب، والهواء يحيي موت النار، والماء يحيي موت الهواء، والتراب يحيي موت الماء". وهكذا، تتحول كل الأشياء للنار. يقول هرقليطس: "كل الأشياء تتتابَعُ، ولا شيء يثبت. فأنت لا تستطيع، أن تنْزل مرتين في النهر نفسه، لأن مياها جديدة، تجري حولك متتابعة"،"وأما التعارض والشقاق، فليسا في رأيه، شرا بل هما خير. والناس لا يعرفون كيف أن التنوع، يتفق مع نفسه" وذلك، لأنه "من الشقاق والتعارض تتولد كل الأشياء". وفي كلمة، هذه النار العالمية، هي عملية التغير، وهي قانون الكون، وهي الإله نفسه، فهو "نهار وليل، شتاء وصيف، حرب وسلام...". هذا عن أصل الأشياء في مستواها المادي.

اعتاد هراقليطس من أفسس (544-484 قبل الميلاد)، منذ شبابه، أن يقول الكلمة التي كررها سقراط منذ ذلك الحين: "كل ما أعرفه هو أنني لا أعرف شيئًا"، ومن ثمة، فهو لا يريد أن يدين بأي شيء سوى لنفسه ولم يتحمل أن نربطه بالفلاسفة الأيونيين.

في الواقع، إذا تم تصنيفه عادةً بين الديناميكيين الأيونيين، فإنه يختلف عن الفلاسفة الأيونيين الآخرين الذين اعترفوا بوقائع وقوى الطبيعة كحقائق سعوا من خلالها إلى عنصر أساسي.

---

[64] أحمد فؤاد الأهواني، **فجر الفلسفة اليونانية قبل سقراط**، مرجع سابق، ص 104 – 105.

من جانبه، كان لدى هيراقليطس، مثل الفلاسفة الإيليين، شعور بالتنوع في الأشكال ورغبة جامحة في ربط هذه الأشكال بمبدأ ثابت. ومن هنا قاده هذا إلى مذهب هو أول تعبير عن وحدة الوجود في تاريخ الفكر الهيليني.

• التدفق والجريان الأبدي للأشياء هو نتيجة سبب واحد، النار التي تخضع هي نفسها لقانون أسمى ومستقر: لذلك العالم هو نار حية بشكل أبدي يتم إشعالها وإطفائها. من المحتمل أن كلمة نار مستعملة من قبل هيراقليطس بمعنى مجازي لتمثل قوة إلهية تحمل الحركة والحياة في كل مكان، المبدأ الذي ينبثق منه كل شيء، والذي يعود إليه كل شيء بالاحتراق والاشتعال النهائي.

• الانسجام والتناغم هو عمل زيوس (Zeus) الذي لديه الحكمة والقدرة المطلقة؛ الإيرنيات (Erinyes) هم حراس العدالة.

• كون الإنسان غير كامل يحمل بداخله مبدأ لامادي ونشط دائمًا، مقدّر له البقاء على قيد الحياة من الجسد.

• واجب الإنسان الأول هو دراسة نفسه بنفسه، ثم احترام الحقيقة في أفعاله وأقواله، وأخيراً الاستماع إلى الإلاهي مثلما يستمع التلميذ إلى المعلم؛ متذكرًا أنه تحت رقابة قاضٍ لا ينام أبدًا وأن قانونه الإلهي يسيطر وينطبق على جميع القوانين البشرية وينيرها.

حتى قبل أن يلاحقه خصومه وينعتونه بألقاب مثل الغامض والمبهم، أعرب هيراقليطس نفسه عن أسفه لأنه لم يستطع تقديم تعريف واضح للخير، وشرح ذلك فقط من خلال استعارات القوس والقيثارة أو بالأحرى اللير (lyre) التي كان أفلاطون يستخدمها في كثير من الأحيان.

لقد اتهم، عن خطأ، بالتناقض لأنه ربط كل الأشياء، أحيانًا بنظام عقلاني، وأحيانًا بمصير ثابت؛ في الحقيقة، يمكن أن يكون قانون ما في نفس الوقت ثابتًا ومتوافقًا مع العقل الذي يشكله. كما أنه من غير العدل أن يلوم أرسطو هيراقليطس لأنه خلط وساوى بين الخير والشر الأخلاقيين؛ تأويل أقوال هرقليطس وفهمها هو ضيق للغاية هنا، الفيلسوف يريد

القول أنه بالنسبة للنظرة المحدودة للإنسان، فإن الأشياء، بعضها جيدة/خير، والبعض الآخر سيء/شر؛ بينما تحت النظرة الإلهية القوية، يجتمع الجميع معًا في وتناغم أسمى.

إذا ما أخذنا كلمة النار بمعناها الحرفي، يمكننا أن نعاتب هيراقليطس عن تخليه عن عالم التأملات العقلانية حيث يلتقي مع الإيليين، ليهبط من جديد إلى مستوى الأيونيين ويسجن نفسه مثلهم في عالم الملاحظة الحسية. لا شك أن هذا هو المعنى الذي يبدو أن تلاميذ فيلسوف أفسس قد تبنوه، الذين يسميهم أفلاطون فلاسفة الجريان والتدفق. لا يزال من الممكن المجادلة بأنه في العودة المستمرة لهذا التأكيد - كل شيء يمر، كل شيء يتدفق ويسيل، خاصة في هذا التطبيق على نار قانون التحول الدائم نفسه، هناك بذرة من الشك والتي من شأنها أن تفسر الحزن الأخلاقي لهرقليطس. أخيرًا نلاحظ أن القوة العليا تبدو قاتلة لهراقليطس.

يبدو أنه حدث لهراقليطس ما يحدث غالبًا للمفكرين الذين ينغمسون ويغرقون في السعي وراء الكمال؛ يضيعون في نوع من السكر المثالي الذي يحجب عنهم وجود الأفراد. لقد رأى هيراقليطس دائما الفكرة؛ لكنه لم ينظر دائمًا إلى الكائن المفكر في واقعه الحي. علاوة على ذلك، فإن ما لا يسمح بالخلط بين هيراقليطس وفيزيائيو إيونيا هو أهمية وسمو تعليمه الأخلاقي.

أما بخصوص هذه التقاليد الشرقية، التي يمكن الشك في تأثيرها على فيثاغورس ومدرسته، فلا أثر لها في لاهوت/ثيولوجيا هيراقليطس. القدر، العدالة، إيرينيات، زيوس، إلخ، كلها آلهة يونانية؛ وفقا لأفلاطون، فإن مذهب الاشتعال/الاحتراق الشامل هي إحدى النقاط التي علمتها الألغاز الهيلينية القديمة. ظهرت فكرة العلة الأولى الحكيمة بشكل سيادي في تعاليمه وهي تعد وتحضر بالفعل مذاهب أناكساغوراس وأفلاطون.

التعبيرات القوية التي يميز بها هيراقليطس التدفق والسيلان الدائم للأشياء والكائنات تجعل المرء يفكر في تعبيرات بوسويه (Bossuet) ذاتها:

"نذهب باستمرار إلى الضريح، مثل المياه التي تضيع دون رجوع [...]، سنواتنا تتدافع بشكل متتالي مثل الأمواج؛ إنها لا تتوقف عن الجريان والتدفق ".

أخيرًا، نجد أن قانون التغير الدائم والأبدي الذي طرحه بالفعل فيلسوف أفسس تم اقتراحه مرة أخرى من قبل مؤيدي مدرسة هيجل والحسيين المعاصرين تحت أسماء مبدأ التطور والتحولية والتطورية.

يبدو أن هرقليطس كان لديه إحساس غريب بهذه القيامة الغريبة لشكه الأولي عندما قارن نفسه بـ "العرافات التي يحمل صوتها عبر القرون الكلمات الإلهية. "

المحاضرة الرابعة المدرسة الإيلية (L'Ecole éléatique)

بمثل المدرسة الأيونية التي تركز بشكل أساسي على الجانب المادي للكون، والمدرسة الفيثاغورية على الجانب الرياضي، تنطبق مدرسة إيليا حصريًا على المبدأ الميتافيزيقي للأشياء، أي على فكرة الوجود والجوهر.

كان مؤسسها، كزينوفون من كولوفون، واثنين من أبرز ممثليها، بارمينيدس وزينون، يعرفون جيدًا المدرستين اللتين تم تأسيسهما قبلهما، ومن خلال مهاجمتهما كلاهما سعيا إلى تأسيس مذهبهما الخاص." يعد تراث المدرسة الايلية أكثر حظا من المدارس الفلسفية التي عاصرتها سواء الفيثاغورية أو المدرسة الطبيعية الأولى، إذ أن أفلاطون ذكر المدرسة الايلية في محاورتين، الأولى محاورة السفسطائي، والثانية في محاورة البرمنيدس التي ناقش فيها صعوبة المثل "[65].

• لاحظ الإيليون أن الأيونيين أخذوا نقطة انطلاقهم في وجود الأشياء والكائنات ولم يتمكنوا من الارتقاء إلى مفهوم العلة ولم يتفقوا حتى على دور العناصر المادية؛

• بعد أن تصور الفيثاغوريون مبدأ بدا لهم مناسباً لحملهم إلى ما هو أعلى وأسمى، حصروا استخدامهم في حدود العالم المحسوس: لقد أرجعوا الأجسام إلى العدد، والعدد ألى الوحدة التي لم تكن حينها سوى أصغر عنصر مادي ممكن، وهي الذرة التي تنتج توليفاتها الأجسام.

لم يتمكن لا الفيزيائيون ولا الرياضيون من تفسير الحركة والتغير، استنتج الإيليون أن التجربة تخدعنا بمشهد المظاهر وأنه من العقل، وإلى التفكير وحده، علينا أن نطلب التفسير الحقيقي للأشياء.

من المثير للاهتمام إجراء الربط التالي: كتب كانط في عام 1712 في المقدمة وفي مدخل كتابه "نقد العقل الخالص":

[65] عبد الجليل كاظم الوالي، **الفلسفة اليونانية**، مرجع سابق، ص. 98.

" لكن بما إننا كنا نقع في تناقضات لا مفر منها، في كل مرة كنا نحاول الإجابة عن تلك الأسئلة الطبيعية مثال: هل للعالم بداية؟ أم هل وجد منذ الأزل؟ فإنه لا يمكن أن نكتفي بمجرد الاستعداد الطبيعي للميتافيزيقا، أي بالقدرة العقلية المحضة نفسها التي يتولد منها حقا ودائما نوع من الميتافيزيقا (كائنا ما كان) بل يجب أن يكون من الممكن أن نتوصل بها إلى التثبت إما من معرفة الموضوعات وإما من جهلنا لها "[66]. أي أن، كل المحاولات التي بذلت حتى الآن لتقديم حل للأسئلة التي يثيرها العقل التأملي، على سبيل المثال ما إذا كان للعالم بداية أم أنه أبدي، وما إلى ذلك، لا تقدم سوى تناقضات لا نهاية لها. لذلك دعونا نحاول إذا لم نكن أفضل حالًا على افتراض أن الأشياء يجب أن تتكيف مع معرفتنا.

قبل كل شيء، يجب التأكيد على أن الإيليين، من خلال انتقاد أسلافهم من أجل إنتاج مذهبهم الخاص، قدّموا طريقة جديدة، إلى جانب تلك التي عرفناها سابقا: الديالكتيك. إن اختراع الديالكتيك واستخدامه ليسا أقل مزايا فلاسفة إيليا؛ لأنهم بذلك قد أعطوا للعقل الوعي بقوته، واستبعدوا الخيال من مجال الفلسفة.

كزينوفان (Xénophane):

ولد كزينوفان حوالي 625 قبل الميلاد. م، في كولوفون، المدينة الأيونية في آسيا الصغرى. بعد نفيه من مدينته، قضى حياة ضالة في تلاوة أشعاره الفلسفية. كان عمره أكثر من ثمانين عامًا عندما انتقل حوالي عام 535 إلى إيليا في اليونان الكبرى. " وتشير جميع كتب السير إلى أنه لما اضطر إلى الارتحال عن بلدته، عاش بقية حياته شاعرا جوالا يتكسب بإنشاد أشعار هوميروس وهزيود "[67]. ربما قام بتأليف قصيدة عن الطبيعة تم تقسيمها إلى قسمين:

1 ° نقد قوي للغاية للأساطير الوثنية التي أكسبته لقب "ناقد ومهين هوميروس"، حيث " رفض كزينوفان التمثلات الدينية المتداولة في المتن الميثولوجي الاغريقي، وقال بأنها نتاج

[66] إمانويل كانط، **نقد العقل المحض**، ترجمة: موسى وهبة، مركز الإنماء القومي، بيروت/لبنان، ط.؟، 1988، ص. 53.
[67] الطيب بوعزة، **كزينوفان والفلسفة الإيلية " قراءة في أطاريح كزينوفان برمنيد ، زينون ، ميليسوس "**، مركز نماء للبحوث والدراسات، بيروت/لبنان، ط. 1، 2016، ص. 56.

تفكير بشري إسقاطي، خلع على الإله المواصفات البشرية، فآل به إلى كائن هابط حتى في قيمه الأخلاقية "[68].

2 ° مذهب عن الله، ليكون واحدًا و لامادي. أما فيها يتعلق بعلم الطبيعة فيعتبره وهما ناتج عن معطيات الحواس.

بارمينيدس (Parménide):

كان بارمينيدس من إيليا (من 460 قبل الميلاد) تلميذًا ومترجمًا ومفسرا صارمًا لـكزينوفان. تتكون قصيدته عن الطبيعة من جزأين حسب التمييز بين نمطي المعرفة، العقل والحواس، ومن ثم التمييز بين أشياء الحقيقة وأمور الرأي.

لقد "كان ظهور بارمنيدس أشبه بثعبانٍ يَلِجُ جنة الفلسفة اليونانية، ولكنه لم يأتِ ليهب المعرفة، بل جاء مهددًا بانتزاعها، فحجج بارمنيدس قوَّضت بنيان التفسيرات السابقة التي ناقشت مسألة الطبيعة. لقد حاول معظم العلماء الأوائل الوصول إلى تفسير لكيفية تطوُّر الكون، أما بارمنيدس فقد حاول أن يبرهِن أن الكون لم يتطوَّر بالمرة. وكذلك حاول المفكِّرون الأوائل أن يبحثوا عن تفسير للأحداث في عالم متغير يكتظُّ بالظواهر المتنوِّعة فجاء بارمنيدس ليبرهن أنه ليس في الكون ما يُعرف بالتغيُّر أو التنوُّع؛ إذ إن الواقع عنده يتكوَّن من شيء واحد يتَّصف بالكمال والثبات والخلود. وبعد رحيل بارمنيدس وتلاميذه كان لزامًا أن يُعادَ بناء صرح المعرفة الذي هدموه وقوَّضوا أساسه بما خلَّفوه من أدلة وبراهين محيرة "[69].

زينون الإيلي (Zénon d'Elée):

عاش زينون الإيلي حوالي 450. ولم يُعرف عنه إلا أنه استحق أن يُدعى "رجل القلب في الفلسفة كما في السياسة". كان تلميذا لبارمينيدس وكرس نفسه لدحض فيزياء الحكماء الأيونيين، وكان يتمتع بموهبة الجدل والمحاجة التي جعلت أرسطو يلقبه ب "مخترع الديالكتيك". كان عنوان عمليه الرئيسيين: حول الطبيعة ضد الفلاسفة والنزاعات. " هو

---

[68] المرجع نفسه، ص. 67.

[69] أنتوني جوتليب، **حلم العقل: تاريخ الفلسفة من عصر اليونان إلى عصر النهضة**، ترجمة: محمد طلبة نصار، مؤسسة هنداوي، وندسور/المملكة المتحدة، ط.؟، 2014، ص. 77.

تلميذ بارمنيدس نكاد لا نعرف شيئا عن حياته سوى أنه ائتمر بطاغية مدينته فانكشف أمره فأذيق عذابا أليما احتمله بثبات عظيم حتى الموت "[70].

نقد المذهب الإيلي:

بخصوص أساس نسقهم، فيمكن القول بأنه لا يوجد حد وسط بين الكائن المطلق والعدم؛ وأن فكرة موجود عرضي، متغير، قابل للقسمة، متعدد، ومليء بالتناقضات؛ وأنه، وبالتالي، لا يوجد سوى الكائن اللامتناهي، الضروري، الكائن الواحد بشكل مطلق الموجود؛ وأن كل ما تبقى هو مظهر عبثي وبلا قيمة. هذا المبدأ لا يهدم فقط الفيزياء الأيونية؛ إنه ليس أقل عدائية للمثالية الرياضية للفيثاغوريين: لأن الأعداد، والنسب، وقوانين الحساب والانسجام لا توجد إلا فيما يتعلق بظواهر الطبيعة؛ بمجرد أن يتم زوال هذه الظواهر، فإننا نتوقف عن تصورها.

تتميز الوحدة التي يتصورونها عن تلك التي يعترف بها الأيونيون من حيث أن هذه الأخيرة تقوم على التجربة الحسية؛ وهي متميزة عن الوحدة الفيثاغورية لأن هذه الوحدة تصورها فيثاغورس كعنصر من عناصر العدد وهي الفكرة التي قدمتها له التجربة ومشهد نظام العالم. الوحدة الإيلية هي الكائن المتصور من قبل العقل الخالص ككائن عالمي، مطلق، غير متحرك، متجانس.

لذلك، يكفي الطعن في هذا المبدأ وهذا التعريف للكينونة ومعارضته، من أجل اختزال كل البناء المنطقي للإيليين إلى كونه مجرد نسيج من التجريدات.

لكن هذه الفرضية الميتافيزيقية الجديدة لها ميزة تحرير مفهوم الوجود/الكائن وتخليصه من أي خلط مع المادة. لقد وفرت ومنحت أساسًا لأفلاطون وأرسطو اللذان كان عليهما فقط أن يضيفا إلى هذا المفهوم للوجود تصور النشاط في الحياة والفكر، ليصعدا ويرتفعا إلى مفهوم أن الكائن الأول، سبب الأسباب أو العلة الأولى. وهكذا فإن الوجود، لدى الإيليين، ليس سبباً/علة بعد؛ لكن فكرة القوة والسببية يجب أن تضاف إليه فقط.

[70] يوسف كرم، **تاريخ الفلسفة اليونانية**، دار القلم، بيروت/لبنان، ط. ؟، 2016، ص. 41.

أما بالنسبة إلى حجة زينون ضد الفيزيائيين، فقد اتهمها أرسطو بأنها سفسطة محضة ومغالطة تستجيب لها التجربة؛ لكن هذا الاتهام خاطئ، لأن زينون لا ينكر حقائق الحركة ووقائعها، فهو ينفي إمكانية إثبات هذه الحقائق والبرهنة عليها منطقيًا وبمبادئ مطلقة.

يجب علينا مهاجمة ديالكتيك الإيليين من نقطة انطلاقهم: أن نفرض خيارًا حصريًا بين الحواس والعقل هو إقامة عداء تعسفي وخصومة اعتباطية يجب على العقل أن يحتج عليها. في الواقع، فإن مفهوم اللامتناهي ذاته، والمطلق، والضروري، بواسطة كائن محدود ومتناهي، نسبي وعرضي هو دليل على الوجود المتزامن للمحدود واللامحدود.

باختصار، هناك ثلاثة نتائج رئيسية تعود إلى العمل الفلسفي للإيليين:

1 ° الطريقة الديالكتيكية أو طريقة الجدل والمناقشة من خلال التقسيم المعارض هي العمل المشترك لبارمينيدس وزينون.

2 ° مفهوم وحدة الوجود يرجع إلى كزينوفان.

3 ° إن الروح النقدية تم تدشينها وافتتاحها من خلال محاجة وبرهنة زينون الإيلي.

ثالثا: الطبيعيون المتأخرون:

لقد حاول ثلاثة فلاسفة متعاصرين العودة إلى دراسة مسألة الطبيعة وهم متأثرون بالإيلية والفيثاغورية، يشتركون في القول بأن أصل الأشياء كثرة حقيقية وأنه لا يوجد تحول من مادة من مادة إلى أخرى و إنما الأشياء تأليفات مختلفة من أصول ثابتة، ويختلفون حول هذه الأصول وطرق اتصالها وانفصالها. هؤلاء الفلاسفة هم أنكساغوراس وأمبذوقليس وديمقريطس.

-1- أنكساغوراس (Anaxagoras/500-428 ق.م):

ولد أنكساغوراس في مدينة أقلازوميا (آسيا الصغرى) حوالي سنة 500 قبل الميلاد وانتقل إلى أثينا، حيث اتهم بالزندقة وحكم عليه بالموت مما اضطره إلى مغادرة أثينا . وهو "أوّل

من فسّر علميّا ظاهرة الكسوف والخسوف"[71]. عاش في حماية بريكليس. لقد تأثر أنكساغوراس بكل من بارمنيدس وهرقليطس وأنبادوقليدس إضافة إلى حكماء الطبيعة من قبيل طاليس وأنكسمندرس وأنكسمانس.

لقد تأثر أنكساغوراس في تفسيره الطبيعي بالروح الأيونية القائلة بالعناصر الأربعة، غير أن هذا لم يمنعه من الأخذ بنظرية بارمينيدس عن الوجود الذي لا يكون و لا يفسد، وهو ما تكلم عنه بصراحة حين قال: "ويخطئ الهلينيون في قولهم: إن الأشياء تظهر إلى الوجود ثم تختفي، فلا شيء يظهر إلى الوجود أو يختفي عن الوجود، بل هناك انفصال أو امتزاج لما هو موجود"[72]. وقد انطلق أنكساغوراس من فكرة تحليل العقل والجزئيات للوصول إلى المبادئ في سياق رفضه لفكرة التغيير المطلق. ويعد كتاب أنكساغوراس "في الطبيعة" من أهم ما تركه هذا الفيلسوف اليوناني. وقد أشار أفلاطون لهذا الكتاب في محاورة الدفاع. إذ فسر فيه الاختلاف والذرات من خلال علة غير مادية وهذه العلة هي ما سماها أنكساغوراس **العقل (Nous)**. فهو الذي ينظم الوجود ويخرج الذرات من حالة الخلط والاختلاط إلى حالة الوجود الحقيقي. لقد سعى انكساغوراس سعيا قويا نحو البحث عن العقل ووظيفته. "لقد وصف أنكساغوراس العقل بأنه "أدق الأشياء و أنقاها" كما قال أيضا أنه "غير مختلط"[73].

يعتقد أنكساغوراس أن وراء الأشياء، **قوة عاقلة** مجردة ذكية وبصيرة، تدبر شؤونها، فتولد الحركة في الأشياء، إقبالا وإدبارا حتى تتكون منها العوالم. وأساس هذا الاعتقاد، انبهاره من نظام الكون وجماله وتناسقه، وكذا استنتاجُه بأنه يستحيل على قوة عمياء، أن تُخرج هذا العالم في هذه الدقة والتناغم والجمال. إلا أن العقل لم يَخلق المادة من عدم، بل هما عنصران قديمان أزليان، نشأ كل منهما بذاته، ثم طرأ العقل على المادة، فبعث فيها الحركة والنظام.

لقد أقر أناكساغوراس من كلازومينا (500-428 ق.م)، فوق أي رغبة في الثروة وأي طموح سياسي، بأن الغاية الحقيقية للحياة البشرية هي استخدام العقل في تأمل نظام الطبيعة.

---

[71] جورج طرابيشي، 2006 ، ص. 106.
[72] **تاريخ الفلسفة اليونانية من منظور شرقي- المدارس المدارس الفلسفية اليونانية في العصر الهللينستي** -، مرجع سابق، ص.256.
[73] ولتر ستيس، تاريخ الفلسفة اليونانية، ص.90.

هذا القول المأثور في الفيزياء العامة بأن "لا شيء يحدث، لا شيء يُباد"، أو بصيغة أخرى "لا شيء يخلق، لا شيء يندثر أو يضيع، الكل يتحول"، يقبله أناكساغوراس مثل كل بقية حكماء اليونان القديمة؛ إن خلود المادة وتحولاتها هو نقطة الانطلاق المشتركة لجميع مفكري القرنين السادس والخامس. لكن هذا التحول الأبدي للأشياء ينسبه أناكساغوراس إلى قوة ذكية (النوس/noûs)، فكرة، روح تحرك العالم. " إذ فسر الحركة من خلال العقل (Nous)، أن قول انكساغوراس " بالذرة خالدة أزلية غير متحركة بذاتها ستوجب عليه وجود عامل يحركها هو (العقل) ". أن السبب الذي وضع من أجله انكساغوراس فكرة العقل هو " بيان الحركة من ناحية وتغير جود النظام في الكون من ناحية أخرى "[74]. ومع ذلك، فإن العقل ليس خالقًا، إنه فقط منظم الأجزاء المكافئة للمادة التي يسميها أرسطو المتجانسة أبدا (homéoméries)، مستخدمًا للتعبير عن فكرة أناكساغوراس مصطلح لا يبدو أنه استخدم بنفس الطريقة. عواقب هذا المذهب، فيما يتعلق بالطبيعة، والإنساني والإلهي هي أقل أهمية وأقل دقة مما نتوقعه -: يبدو أن مذهب أناكساغوراس حول الإنسان حسي وشكوكي، وليس لدينا أي شيء دقيق ومحدد بشأن التصورات التي ربطها بفكرة الإلهي، ولا إلى النتائج والآثار الأخلاقية التي استخلصها منها.

الدور الموكل إلى المبدأ العاقل (النوس) في حركات الطبيعة قد أثر في الفلاسفة القدماء لدرجة أننا أشادوا بأناكساجوراس واعتبروه كأب لمذهب روحاني. ومع ذلك، فإن سيكستوس أومبيريكوس (Sextus Empiricus) نصبه كأكثر الفيزيائيين على الإطلاق. إنه في الواقع خليفة ووريث الأيونيين، على الرغم من أن أفلاطون يصنفه في عداد علماء الرياضيات. إنه يلخص وينسق ويكمل مذاهب المدرستين الأيونيتين: بمثل الفيزيائي الميكانيكي أنكسيماندر، يعترف بالكتلة المختلطة من العناصر المادية، ومثل الديناميكيين طاليس وأناكسيمين، فإنه يعترف بقوة هي مبدأ النظام والحياة. لكن ما أكسبه هذا الثناء من قبل أرسطو هو أنه يبدو "رجل رصين وسط اناس يتحدثون بشكل عشوائي" هو نظريته في تدخل العقل في حركات العالم. ومع ذلك، كان هذا المذهب أقل حداثة في ذلك الوقت مما

[74] جميل حليل نعمة المعلة، **نظرية الحركة عند فلاسفة اليونان: أرسطو طاليس أنموذجا**، دار غيداء للنشر والتوزيع، عمان/الأردن، ط. 1، 2020، ص. 39.

كان يُعتقد عادة منذ أن سعى هيرقليطس وكزينوفان بالفعل مسبقا إلى البحث عن أصل الأشياء في مبدأ ذكي.

إلى جانب ذلك، أدرك معاصروه أنفسهم أن هذه الروحانية ليست سوى دفعة عابرة ووفقًا لتعبير أرسطو، يستخدم أناكساغوراس العقل كآلة لتفسير العالم؛ ولكنه لا يلجأ إليه سوى في الحالات التي يئس فيها من أن يجد في الأشياء ذاتها سبب هذه الظواهر. علاوة على ذلك، فإن هذا المبدأ ليس سببًا قويًا؛ وظيفته الوحيدة هي إدخال النظام في عالم العناصر التي كانت موجودة بذاتها منذ الأزل. الفرق بين الكائنات يأتي فقط من الاختلاف بين العناصر التي تشكلها. أما بالنسبة للمذهب الحسي لأناكساغوراس حول الإنساني، فقد أنصفه أرسطو مسبقا من خلال عكس الاقتراح ومن خلال القول إنه بسبب أنه محق بكون الإنسان يصنع بيديه ما يجعله في مكانة أرقى من الحيوانات. أخيرًا، فإن آثار الريبية التي يمكن الإشارة إليها عند أنكساغوراس والنظرية التي يربط بها جميع الأحكام بانطباعات الإنسان ذاتها هما إعادة توجيه إلى مبدأ السفسطائي بروتاغوراس، "الإنسان هو مقياس كل شيء".

ومع ذلك، فإن إحدى المزايا التي لا يمكن أن ينكرها النقد لفلسفة أناكساغوراس هي أنه من خلال إدخال قوة عاقلة كمنظم للعناصر المادية، يكسر أناكساغوراس كل تقاليد الحكمة القديمة، ويفسح مجالًا للفكر، ويجهز ويحضر الدور المهم الذي سيعطيه سقراط للعقل؛ يضع في قمة صرح العالم العقل اللامادي، التقدم الحقيقي والمثمر الذي يرفع العلم، من الملاحظة البسيطة للعالم الخارجي إلى التأمل الأعمق للعالم الداخلي وإلى الشعور الأعمق بالواقع غير المادي باعتباره متفوقًا على الواقع الحسي. إنها ليست روحانية سقراط بعد؛ لكن فجر اليوم هو الذي سيضيء النصف الثاني من القرن الخامس.

2- إمبذوقليس (Empedocles/ حوالي 490-435 ق.م):

يرى إمبذوقليس أن نشأة الأشياء ترتد إلى مواد أربعة: التراب والماء والهواء والنار؛ وسمى هذه المواد بـ "الجذور"، والتي أسماها أرسطو فيما بعد بالعناصر، فـ"في الحقيقة نجد أن كلمة "العناصر" هي كلمة اخترعت في عصر متأخر و أمبدوكليس إنما يتحدث عن

العناصر على أنها "جذور الكل"[75].هذه المواد أو العناصر لا تكف عن الاتصال والانفصال والاختلاف فيما بينها؛ وذلك، تبعا لتفاوت نسبة المزج فيما بينها. ومحرك هاته العناصر، قُوَّتان متضادتان هما **الحب والنفور أو النزاع** التي تعمل على الجمع أو التفريق بينها. لقد " قال إن هذه الأربعة مبادئ على السواء، ليس بينها أول ولا ثان، لا تتكون ولا تفسد فلا يخرج بعضها من بعض، ولا يعود بعضها إلى بعض، لكل منها كيفية خاصة: الحار للنار، والبارد للهواء، والرطب للماء، واليابس للتراب، فلا تحول بين الكيفيات، ولكن الأشياء وكيفياتها تحدث بانضمام هذه العناصر وانفصالها بمقادير مختلفة على نحو ما يخرج المصور بمزج الألوان صورا شبيهة بالأشياء الحقيقية، وإنما تجتمع العناصر وتفترق بفعل قوتين كبيرتين يسميهما المحبة والكراهية"[76].

يسعى أمبيذوقليس من أغريجنتو (490-430 ق.م)، مثل جميع حكماء القرنين السادس والخامس، إلى تفسير الطبيعة، ومن وجهة النظر هذه، يرتبط عادةً بالفلاسفة الأيونيين. إن الفلسفة الآلية/الميكانيكية والتعددية في آن واحد التي طورها تبرر أنه يمكننا أيضًا دراستها بعد المدرسة الذرية. وهو يعترف كبديهية لا جدال فيها بهذا المبدأ الذي تبنته كل العصور القديمة: "لا شيء يولد/يخلق؛ لا شيء يفنى/يضيع "؛ بالنسبة له، المادة تتغير وتتحول دون أن تتوقف عن أن تكون هي نفسها. إن العالم عبارة عن مزيج وخليط من أربعة عناصر، أهمها النار التي تتعارض مع العناصر الثلاثة الأخرى وهي في نفس الوقت المبدأ النشط للحياة وربما أيضًا الفكر/الروح الأسمى. تحولات المادة هي نتيجة الصراع بين الصداقة وهي مبدأ الوفاق والذي يسمى أيضًا أفروديت (Aphrodite) أو سيبريس (Cypris) والخلاف، الحرب، آريس (Arès)، التي يتسبب تحريضها وإثارتها في انفصال العناصر.

هذا الانسجام والتناغم في العالم يشهد على الفكر الذي ينتشر ويتجلى من خلال كل شيء وفي كل شيء. الكائن الأسمى يفلت من الحواس، فكره يملأ العالم.

أما بالنسبة للإنسان فهو عبقري ساقط يقوم بالتكفير على هذه الأرض؛ الفكر فيه هو عبارة عن تأثير الدورة الدموية حول القلب؛ ذكاءه لديه طموح أكثر من القوة وهو يعرف الأشياء

---

[75] ولترستيس، **تاريخ الفلسفة اليونانية**، مرجع سابق، ص.78.
[76] يوسف كرم، **تاريخ الفلسفة اليونانية**، مرجع سابق، ص.46.

من خلال الانبثاق الذي يتسلل عبر المسام. مقدّر للروح أن تملأ العديد من الوجود المتتالي الذي يمكنها أن تحفظ ذكراه.

قبل كل شيء، يسود قانونًا ثابتًا وأبديًا يفهمه ويحترمه أولئك الذين لديهم أفكارا إلهية؛ تنتظرنا حياة مستقبلية، هدفها إقرار هذا القانون بكفارة طويلة للمذنب، والمشاركة في الحياة الإلهية للصالحين/المستقيمين (les justes).

بالإشارة والتلميح إلى الرفعة والسمو الملحمي للغته، يسمي أرسطو إمبيذوقليس "روح هوميروس"؛ لكنه في نفس الوقت يوجه إليه عتابين/نقدين:

1 ° يقدم إمبيذوقليس آراء تتناقض مع الحقائق ومع آرائه الخاصة، خاصة في عرض الصراع بين الصداقة والخلاف.

2 ° يستحق النقد الذي وجهه أفلاطون إلى مذهب أناكساغوراس اللاهوتي؛ إنه يجعل استخدام العقل المنظم للعالم أقل استخدام ممكن، بما أن تنظيم الأشياء والكائنات يتعلق بالصدفة أو بالضرورة.

لذلك عانى إذن إمبيذوقليس من النتيجة شبه الحتمية لعقله الانتقائي: لقد أزعج الجميع. لقد بدا مغمورًا وغامضا في نظر العامة والذي تجلى برفع مواطنيه له تمثالًا محجّبًا؛ لقد حمل التوبيخ واللوم على المثاليين الذين عاتبوه على الأهمية المعطاة للعناصر المادية؛ لقد تعرض لهجمات من فيزيائيين سخروا من تمسكه وانتمائه إلى التناسخ (métempsycose)؛ أخيرًا، غالبًا ما أثارت انتقاداته وإهاناته البليغة في بداية قصيدته والعديد من التلميحات الحية جدًا لضعف الذكاء/العقل البشري ضد إمبيذوقليس اتهامًا بالتشكيكية والريبية.

المحاضرة الخامسة المدرسة الذرية (L'école atomistique)

المدرسة الذرية بدورها، الأحدث من كل المدارس الأخرى، قامت ضد المدرسة الإيلية، مثلما نشأت هذه الأخيرة ضد المدرستين السابقتين. ولذلك فهي تدعم أبدية الحركة، مبدأ كل التغيرات وجميع الظواهر، وهي الفكرة ذاتها التي نظر إليها الإيليون على أنها بمثابة تناقض؛ إنها تقبل في نفس الوقت بوجود الموجود/الكائن ووجود اللاوجود تحت مسمى المادة والفراغ؛ أخيرًا، المادة، بالنسبة لها، ليست مبدأ واحدًا، بل هي عدد لا حصر له من الأجسام الصغيرة غير القابلة للتجزئة، وكلها مختلفة عن بعضها البعض في الشكل. هذه الأجسام الصغيرة هي التي نسميها تحت اسم الذرات، والتي يجب أن تعطينا العلاقات المختلفة في المكان وصفًا لجميع ظواهر الطبيعة. في الأساس، مذهب ليوقيبيوس وديموقريطس ليس شيئا آخر سوى الآلية الأيونية في شكل أكثر علمية ووضوح.

إن " الفلسفة الذرية تأسست في القرن الخامس قبل الميلاد. أسسها كل من لوقيبوس وديموقريطس. بالرغم أن أغلب المؤرخين اعتبروا لوقيبوس أسطوره و وجوده غير إلا أن أرسطو وسقراط أكدا وجوده . لوقيبوس فيلسوف من أصل ملطي، وأنشأ مدرسة أبديرا، وعاصر انكساغوراس، وبعد لوقيبوس و ديموقريطس أتى ابيقور وعدل على المذهب . واعتبرت قصيدة الشاعر لوكريتيوس حول طبيعة الأشياء أحد مصادر هذا المذهب "[77].

لوقيبيوس (Leucippe):

يبدو أن لوقيبيوس الإيلي أو الملطي قد أزهر حوالي 500 قبل الميلاد. تلميذ بارمينيدس، عارض مذهب معلمه وانقلب إلى جانب الأيونيين، وأعطى شكلًا أكثر علمية لفيزياءهم.

3- ديمقريطس (Démocrite/حوالي 460-370 ق.م):

من بين أشهر المدارس الفلسفية اليونانية نجد **"المدرسة الذرية"**، وقد دعا أتباعها، وخاصة **لوقيبوس**، الذي يعد أول من قال بالذرة، و**ديمقريطس**، إلى نظرية الجزيئات، فإذا كانت المادة يمكن أن تنقسم فإننا يجب أن نصل إلى وحدات لا تنقسم هي ما يسمونه **"الذرات"**

[77] وريف عبد الرؤوف عوادين، **الفلسفة اليونانية**، دار الجنان للنشر، عمان/الأردن، ط. 1، 2021، ص. 51.

التي تعتبر حسبهم المكونات النهائية للمادة. لقد اعتقد ديمقريطس بأن أصل الأشياء، هو عنصر واحد متجانس، يدعونه **الجوهر الفرد أو الذرة**. ودليلهم في ذلك، أنه لو فكَّكنا الأشياء إلى جزئياتها، لانتهينا إلى وحدات لا تقبل التقسيم، هي لا نهائية العدد، وتبلغ من الدقة، حدا يتعذر معه إدراكها بالحواس، وهي خالية من الصفات. أما الصفات التي ندركها في الأشياء، فهي ناشئة عن كيفية ائتلاف الذرات في تكوينها للأجسام. واعتقد ديمقريطس بأن الأرض مدورة، وإن الكون ليس أكثر من ذرات دقيقة في حالة فوضى، ومن ثم أخذت تتصادم بعضها بالبعض، فتلتقي وتتجمع سوية في صورة كبيرة. وهذا التصور الميكانيكي للذرات يشمل الأرض وكل شيء. وأمن ديمقريطس بوجود عوالم عديدة، منها في حالة نمو، ومنها ما اندثر وتلاشى، ومنها دون شمس أو قمر، وبعضها له شموس وأقمار عديدة، وإن كل العوالم لها بداية ونهاية. كما ويرى إن العوالم ممكن أن تتعرض للدمار، وذلك من خلال إصطدام بعضها بالبعض الأخر. هذا ما يبين عبقرية هذا الفيلسوف وإبداعه وأصالته، وهو ما جعل فرانسيس بيكون يمتدح دمقريطس في الكثير من الأحيان لافتراضه هذا الفرض العلمي، رغم أن تصور العلم الحديث عن الذرة يختلف عن فكرة دمقريطس حولها.

عاش ديموقريطس الأبديري (نسبة لمدينة أبديرا) من 494 إلى 404 قبل الميلاد. فلسفته، مثل فلسفة ليوقيبيوس، هي مرتبطة ومتناقضة مع فيزياء الأيونيين ومثالية الإيليين. من خلال سعيه وراء الوحدة الحقيقية، أراد ديموقريطس في نفس الوقت أن يفسر تعددية الأشياء. نظريته عن العالم هي عمل تلميذ يحاول التوفيق بين فيثاغورس وطاليس.

مبادئ العالم هي الفراغ والامتلاء؛ الأجسام هي عبارة عن تأليفات وتركيبات من الذرات. بما أن لا شيء يحدث من لا شيء، فإن الذرات أبدية؛ بتحركها في زوبعة، شكلت الأرض والأجرام السماوية وحتى الروح التي تعلمها الصور المنبعثة من الأجساد. يجب أن يهدف الإنسان الذي يكون علمه مشكوكًا فيه جدًا إلى راحة بال وسكينة الروح أكثر من السعي وراء المتعة والجري وراء اللذة. باستثناء هذه المبادئ، فإن كل ما تبقى هو موضوع رأي ومحل اجتهاد؛ ربما تكون حتى الحقيقة غير موجودة أصلاً، أو حتى إذا كانت موجودة، فلن يكون الإنسان قادرًا على معرفتها.

هذه هي الإدعاءات والتأكيدات المتناقضة في كثير من الأحيان التي يمكن أن تُنسب إلى ديموقريطس، إذا أردنا أن نصدق الاقتباسات أو التلميحات التي قدمها الفلاسفة الذين يمكن أن نشك في الانحياز لصالحه أو ضده.

نقد الذرية القديمة:

سيكون من الخطأ تصنيف ديموقريطس ضمن علماء الفيزياء القدماء؛ إنه الفيزيائي الجديد بامتياز. إنه مفكر أصيل ومخلص للدراسة، وكان يفضل، حسب قوله، معرفة قضية واحدة على إمبراطورية الفرس. وتجدر الإشارة، دون الادعاء بشرحها، إلى تشابه مذهبه الذري مع نظرية المونـاد التي أعلنها فيثاغورس وخاصة مع فرضية التماثلات والتجانسات (homéoméries) التي اقترحها أناكساغوراس؛ فقط فكرة مبدأ واحد يعطي للكل الانسجام الأسمى هي الغائبة من تعاليم ديموقريطس.

الذرية هي تبسيط مادي لنسق أناكساغوراس؛ تلعب فيه الذرات دور التماثليات والمتجانسات ويتم استبدال الذكاء/العقل بالضرورة. أخيرًا، إن تأثير الإيليين على ديموقريطس يخونه التمييز بين المعرفة الغامضة والعلم الحقيقي.

باختصار، هذا المذهب الميكانيكي الجديد يحمل آثارا ويجمع تراث جميع المدارس القديمة أو المعاصرة. لم يكن الأمر كذلك حتى السفسطائية التي لا توجد روحها السلبية في الشكية الأخيرة المعارة إلى ديموقريطس وفي دقة وبراعة بعض وصفاته الأخلاقية: حتى في أعلى التعاليم، فإن الاهتمام الأناني بالمصلحة الشخصية هو الفضيلة الأولى للرجل الحكيم عند ديموقريطس.

ومع ذلك، سيكون من غير العدل مساواة ذرية ديموقريطس بالفيزياء الذرية لأبيقور. لا يجعل ديموقريطس من مذهبه عن العالم مساعدًا ومكملا لنظرية أخلاقية؛ إن مذهبه الذري هو ثمرة عفوية للتأمل والبحث العقلاني في الصورة المعقولة للأشياء والكائنات.

كما أن للفرضية الذرية ميزة إثارة دراسة وتحليل الطبيعة: تأثيرها محسوس في جميع المدارس القديمة والحديثة. إنه يمتد إلى الفيزياء الديكارتية التي تشرح الحركة بفعل الدوامات والزوابع؛ ربما حتى فرضية ديموقريطس بأن الروح مكونة من ذرات دقيقة هي

أصل نظرية ديكارت المعروفة بنظرية الأرواح الحيوانية. أخيرًا، لقد تجاوزت فرضية الفكرة-الصورة التي طرحها ديموقريطس كل القرون وتم تبنيها من قبل جميع الفلاسفة: حتى اللحظة التي أنصفها ريد (Reid) باسم الملاحظة والتجربة.

المحاضرة الخامسة المدرسة الفيثاغورية

-1- الفيثاغورية: الفيثاغوريون هُم جماعة من الفلاسفة الّذينَ تزعمهم **فيثاغورس** وكانوا أقرَب مَا يكون إلى جماعَة دينية تجمّعَ أفرادُها حولَه، نجهل اسماء معظَم أفراد هذه الجمَاعة نظراً للسرّية التي أحاطوا أنفسهم بهَا، إلا أننا نعلَم الكثير منَ الحقَائق المختلطَة بالأساطير والخرَافات عن **فيثاغورس** مؤسس هذه الجَماعة. وصفها البدوي بأنها اكثر من فلسفة "بل كانت الى جانب هذا، اي الفلسفة، مدرسة دينية اخلاقية على نظام الطرق الفلسفية " (عبد الرحمن بدوي، موسوعة الفلسفة، ج2). وقد تم احياء الفيثاقورية في زمن لاحق فعرفت **بالفيثاغورية المحدثة**، وكان لهذه الافكار تأثير كبير على الفكر الارسطي والافلاطوني ومن خلالها على الفلسفة الغربية. ودراسة الفيثوغورية تظهر ان له طروحات فلسفية حول العقل والدين والروحانيات بالإضافة للرياضيات.

لقد كان **للمدرسة الفيثاغورية** نظام من الأخوة، كأنها دير أو معبد، فجميع الطلبة يرتدون زياً واحدا هو الملابس البيضاء، ويعيشون معيشة واحدة هي حياة الزهد والتقشف والبساطة، ولا ينتعلون –في الأعم الأغلب – بل يمشون حفاة الأقدام على نحو ما كان يؤثر عن سقراط الذي كان متأثرا بتعاليم **الفيثاغورية** تأثرا شديدا على نحو ما يتضح في محاورة "فيدون" ولا يحفلون بالآلهة لأن من "*واجب المرء أن يكون صادقا بغير قسم*"، كما كانو يحاسبون أنفسهم في نهاية اليوم على ما فعلوه طوال النهار، فيسأل كل منهم نفسه عن الشر الذي ارتكبه، والخير الذي قدمه، والواجب الذي أهمل في أدائه.ورغم ذلك فقد كانت جمَاعة **فيثاغورس** تتميّز بكونهاَ ذات نشاط علمي، وعلى الأخص ريَاضي، وأنهَا مدّت نشاطهَا من الريَاضيات إلى الفلسفَة، حتى أنّ هناك نظرِيات رِياضية تنسَب إلى**فيثاغُورس،** حتى أنه يمكن القول أنّ الريَاضيات كانت أساس **الفلسفة الفيثاغورية،** هذه الفلسفة التي استمرت لثمانية قرون على الأقل منذ عهد **فيثاغورس**.

و من الأمور التي لا يجب أهمالها فيما يتعلق بالمدرسة **الفيتاغورية** كونها أول مدرسة يونانية تسمح بانخراط المرأة في أنشطتها الفلسفية، فأخرجت للعالم نساء فلاسفة ذائعات، ابتداءً من ثيانو Theanoزوجة فيتاغورس، وبناتها الثلاث: أريجنوت Arignote،

ميياMyia ، ودامو Damo، اللاتي قمن برئاسة المدرسة **الفيثاغورية** بعد وفاة مؤسسها، حتى هيباثيا فيلسوفة الإسكندرية الشهيرة.

كما يجدر الإشارة إلى فكرَة أساسية للفيثاغورية شاركت في جَعل تأثيرها يستمر خلال كل عصور الحضارة اليونانية، وفي الحضارة المسيحيّة بل وكذلك في الحضَارة الإسلامية، ألا وهي أنّ العلم إنما هو في النهَاية أداة لتطهير النّفس حينما تصل هذه إلى الحقيقَة. وهكذا فالفيثاغوريّة مذهب علمي في الرياضيات ومذهب فلسفي ومذهب أخلاقي كذلك يقومُ علَى نوع من التّصوف العقلي. ومنَ القواعد الأخلاقية التي كانُوا يملونها على أتباعهم :- احترام الآلهة و الخضوع لإرادتهم؛- البقاء في المركز الذي نَحن فيه في الحياة و عدم تركه؛ - الولاء للأصدقاء و كل شيء مشترك بينهم.؛- الاعتدال و البساطة في استخدام خيرات الدنيا.

زيادة على ما تقدم ينبغي النظر إلى **الفيثَاغورية** باعتبارها جماعة سياسية أيضًا، إذ امتلكت نَاصية الحكم في كروتونيَا لعدة سنَوات و في مدن غيرها، و كانوا يمثلون اتجاها مضادًا للديموقراطية، غير أن ثورة قامت ضدهم و أحرقت المنزل الذي كانُوا يجتَمعونَ فيه، فأبادتهم عن آخرهم، الاّ اثنينِ هربَا من المدينَة، وعن طريقهمَا بقيَ المذهبُ قائمًا حتى وقت متأخر من التاريخ، والواقع أنك لن تجد مدرسة فلسفية في العالم القديم انتشرت بالسرعة والقوة التي انتشرت بها **الفيتاغورية**، والتغيرات والتعديلات في النظريات الأصلية اندمجت في جسد المعتقدات **الفيثاغورية** نتيجة لأنها تتكيف مع روح **فيتاغورس** الحاضرة دوما. لكن التطورات والتشعبات التي لحقت المدرسة في النهاية أدت إلى ضياع ذاك الإنسجام الذي كان يميز المدرسة في سلسلة من المنازعات والإنشقاقات داخل الجماعة، وأدت فلسفة العدد إلى نتائج مختلفة، حتى أفشى بعض الأعضاء أسرار الأستاذ وكونوا حركات خاصة بهم: فظهر ما نسميه بالفيتاغورية المتأخرة التي كان على رأسها الفيلسوف الفيتاغوري فيلولاوس، ثم ظهرت بعد ذلك مرة أخرى في مدينة الإسكندرية ... إلخ.

الفيثاغوريون هم الفلاسفة الذين واصلوا على خطى فيثاغورس. أو بشكل أكثر دقة الفلاسفة الذين انتسبوا إلى فيثاغورس، بالرغم من أننا لا نعرف سوى القليل من المعلومات الملموسة عن فكر فيثاغورس نفسه، الذي ربما ننسب إليه عددًا من المفاهيم التي لا شك أنها لم تكن

موجودة ... بشكل عام، شكل الفلاسفة ما قبل سقراط طوائف تشترك في العديد من السمات مع الطوائف الحديثة (تفوق المعلم، والممارسات ذات الدعوة الصوفية، وما إلى ذلك). وهذا ينطبق بشكل أكبر على الفيثاغوريين الذين كان الجانب الديني الصوفي مركزيًا لديهم [أ].

من الشائع تقسيم الفيثاغوريين إلى عدة مجموعات، اعتمادًا على الفترة التي عاشوا فيها:

الفيثاغوريون ما قبل سقراط:(Les Pythagoriciens présocratiques)

هم الفيثاغوريون بالمعنى الحقيقي للكلمة. وهم يتميزون باهتمامات ذات طبيعة صوفية ودينية وكذلك علمية. في هذه النقطة الأخيرة، نجدهم قريبون من اهتمامات معاصريهم، بينما يميزون أنفسهم من خلال تأملاتهم الرياضية. سوف نميز [ب]:

الفيثاغوريون القدماء:

من أهمهم: سيركوبس (Cercops)، بيترون (Pétron)، برونتان (Brontin)، هيباز من ميتابونت (Hippase de Métaponte)، كاليفون (Calliphon)، ديموسيدس (Democédès)، بارمينيسكوس (Parméniscos)

الفيثاغورية الأواسط:(Les Pythagoriciens moyens)

أشهرهم ألكميون .(Alcméon) ونذكر أيضًا إيكوس(Iccos) ، وبارون (Paron) وأمينياس.(Aminias)

الفيثاغورس المتأخرون:(Les Pythagoriciens récents)

من أبرزهم: منيستور(Ménestor) ، غزوثوس(Xouthos) ، بويداس(Boïdas) ، ثراسيالسيس(Thrasyalcès) ، أيون من شيو(Ion de Chio) ، ديمون الموسيقار (Damon le musicien)، هيبون(Hippon) ، فالياس(Phaléas) ، هيبوداموس (Hippodamos)، بوليكلتس(Polyclète) ، ثيودور(Théodore) ، فيلولاوس (Philolaüs)، ...الخ.

الفيثاغوريون الجدد:(Les Néo-Pythagoriciens)

هم أقل انجذابًا من أسلافهم لدراسة الطبيعة، فقد طوروا الجانب الأكثر صوفية من الفيثاغورية. " فالفيثاغوريون الجدد New - Pythagoreans - على سبيل المثال – قدموا فلسفة وفقت وجمعت إلى جانب آراء فيثاغورس القديمة آراء أفلاطون وأرسطو والرواقية، ومزجوا كل تلك الآراء ببعض تقاليد الديانة الأورفية التي كان فيثاغورس معلمهم القديم مجددا في عقائدها؛ حيث آمنوا بضرورة مراقبة الروح وتطهيرها في هذه الحياة الدنيا حتى تكون مستعدة للحياة الخالدة؛ ومن ثم فقد جمعوا في فلسفتهم الجديدة بين احترام العقائد القديمة والإيمان بها وبين الحماس الذي تولد عندهم بفعل العصر الذي عايشوه، والذي كان جل الاهتمام فيه منصبا على الإصلاح الخلقي والحياة الروحية "[78].

وتجدر الإشارة أيضًا إلى أن الفلسفة الفيثاغورية (نتحدث أيضًا عن الفلسفة الإيطاليقية) تركت بصماتها إلى ما وراء الفرق الفيثاغورية وحدها. ويظهر أن فرقة الفيثاغوريين القدامى كانوا الأكثر نشاطا، على سبيل المثال، في فكر أفلاطون، ولاحقًا في الأفلاطونية الجديدة. كان إنسانيو عصر النهضة) مارسيل فيسين (Marcile Ficin)، بيك دي لا ميراندول (Pic de la Mirandole)، وما إلى ذلك (في كثير من الأحيان حساسين للغاية للموضوع الفيثاغوري. ناهيك، بالطبع، عن بعض مؤسسي علم الفلك الحديث، مثل كبلر (Kepler) أو نيوتن.(Newton)

الفيثاغورية حسب المؤلفين القدماء:

المبادئ العامة:

. " ما قاله لتلاميذه لا يستطيع أحد أن يعرضه ويتحدث عنه بيقين. لهذا كان يعارض الصمت الذي كان يأمرهم به. ومع ذلك، فإن النقاط المعروفة عمومًا للجميع هي أنه يعلن أن المرء خالد وأنه ينتقل إلى أنواع أخرى من الحيوانات؛ علاوة على ذلك: وفقًا لفترات معينة، فإن ما كان موجودًا في يوم من الأيام يعود يوما ما إلى الوجود؛ لذلك لا يوجد شيء جديد تمامًا؛ أخيرًا، يجب اعتبار كل ما وهب الحياة على أنه من نفس الطبيعة: من الواضح

[78] مصطفى النشار، **مدرسة الاسكندرية الفلسفية بين التراث الشرقي والفلسفة اليونانية**، دار المعارف، القاهرة/مصر، ط. 1، 1995، ص. 38.

أن هذه هي المذاهب التي انتشرت في اليونان لأول مرة على يد فيثاغورس ." (بورفير (Porphyre)، حياة فيثاغورس).

. " أولئك الذين يُدعون فيثاغوريين، والذين كانوا أول من أذعنوا إلى الرياضيات، جعلوهم يتقدمون. وبما أنهم تغذوا على هذه الدراسات، اعتقدوا أن مبادئ الرياضيات هي مبادئ الكائنات. وهكذا في الرياضيات، بما أن الأعداد هي بطبيعتها العناصر الأولية وفي الأرقام، يعتقد الفيثاغوريون أنهم يرون مجموعة من المقارنات مع ما هو موجود وما يولد، بدلاً من النار والتراب والماء، وبالتالي، فإن مزيجا معينا من الأعداد هي العدالة، ومزيج آخر، الروح والفكر، وآخر، حسن التوقيت، وهكذا تقريبًا كل شيء آخر؛ علاوة على ذلك، رأوا في الأعداد تركيبات وقوانين الموسيقى. وهكذا فإن كل الأشياء بدت لهم شبيهة بالأعداد في كل الطبيعة، والأعداد هي زيادة على ذلك في كل الطبيعة العناصر الأولية، وخلصوا إلى أن عناصر الأعداد هي عناصر كل شيء، وأن الكون كله انسجام/تناغم وعدد وأن كل ما استطاعوا إظهاره هو التوافق في الأعداد والموسيقى مع ظواهر السماء وأجزائها والنظام الكوني، لقد وحدوها وكوّنوا منها نسقا/نظامًا. وحتى إذا كان هناك شيء مفقود، فقد بذلوا قصارى جهدهم لجعل عملهم كاملاً. على سبيل المثال، نظرًا لأن العقد يبدو عددًا مثاليًا ويتضمن جوهر الأعداد، فإنهم قالوا إن عدد الأجسام المتحركة في السماء هي عشرة. لكن نظرًا لوجود تسعة فقط مرئية، فإنهم يتخيلون العاشر، الأونتيكتون (l'Antichthone) [...].

هذا هو إذن مذهبهم: العدد هو مبدأ الكائنات وبطريقة ما هو مادتها، فهو يصنع تحولاتها وحالاتها؛ عناصر العدد هي الزوجي والفردي، أحدهما محدد والآخر غير محدد. (أرسطو، الميتافيزيقيا، الجزء الأول، الخامس).

حسب أرسطو، فإن فلسفة فيثاغورس تتعارض بشدة مع فلسفة الأيونيين. لم يعد الإحساس، بل شكل الإحساس وحده هو موضوعها. وفقًا للمدرسة الفيثاغورية (أو المدرسة الايطاليقية)، فإن الأعداد هي ماهية الأشياء والوحدة هي جوهر الأعداد وهذا يعني أن العقل، كما يتجلى في الطبيعة من خلال قوانين النسب والانسجام، هو الأساس الحقيقي لـ كل ما هو موجود، وأنه هو نفسه له مقره، موطنه الأبدي، في مبدأ واحد، غير قابل للتجزئة،

رغم أنه جوهري في الكون. هذا هو المبدأ الذي أطلقت عليه مدرسة فيثاغورس الواحد في حد ذاته أو الواحد الأول، لأنه المصدر اللامتناهي لجميع الكائنات، مثلما أن المونادا أو الوحدة الثانية هي مصدر الأعداد.

نفهم أنه من وجهة النظر هذه، تتخذ جميع الأفكار أشكالًا رياضية، أو بتعبير مغاير، تلبس ثوبا رياضيا. وهكذا، فكما أن الواحد/المونـاد (monade) هو مصدر المحدد، والمحدود، والشكل المعقول، فإن المادة، بسبب عدم قابليتها للقسمة اللامحددة، تحمل اسم الثنائي/دياد (dyade)؛ الجوانب العامة التي بموجبها يقدم الكون نفسه لأذهاننا أو، إذا صح التعبير، الفئات (catégories) الفيثاغورية، هي عشرة في العدد، لأن العقد هو الرقم الأكثر كمالًا، للسبب نفسه، من الضروري أن يكون هناك عشرة طبقات سماوية تدور حول مركز مشترك؛ الروح عدد يتحرك بنفسه. الفضيلة هي تناغم وانسجام؛ باختصار، إن المبادئ الميتافيزيقية وقواعد الأخلاق، وكذلك قوانين وظواهر الطبيعة، هي متمثلة في أعداد، ونسب، وأشكال هندسية.

لذلك فإن السعي وراء الامكانية الوحيدة للعقل في العالم هو جوهر المذهب الفيثاغوري. يمكننا بالتالي إرجاع الطابعين الأصليين للمدرسة الفيثاغورية إلى نقطتين:

1 ° ربط كل حقائق ووقائع الطبيعة بنظرة أخلاقية؛ 2 ° اختزال كل الخصائص المحسوسة إلى صورة رياضية

لقد مهدت المفاهيم السامية للفيثاغوريين الطريق لتأملات الإيليين وللميتافيزيقا المثالية لأفلاطون. ومع ذلك، يجب الاعتراف بأنهم إذا كانوا قد حاولوا إدخال صرامة الصيغ والروح الرياضية في أعلى الأسئلة، فإن الفيثاغوريين لا يزالون منحصرين في دراسة العالم الحسي:

يقول أرسطو: "يبدو أن مبدأه كان مناسبًا ليحمل إلى ما هو أكثر سموا وأنه لا يستخدمه إلا في حدود العالم المرئي". (أرسطو، ما وراء الطبيعة، 1).

ومع ذلك، فليس من دون سبب أن يتم انتقاد المدرسة الفيثاغورية بسبب مراوغة العقل، واللجوء إلى الفروق غير المجدية، والاعتماد على الحجج المبهمة التي تبدو أقل استحقاقًا

وجدارة لخطورة هؤلاء الفلاسفة المتقشفين من الطموح الدنيوي للسفسطائيين. وقد حفظ لنا ديوجين اللائرسي (Diogène Laerce) Laerce (حياة فيثاغورس) حول هذا الموضوع قولا مأثورا لكراتينيوس (Cratinus) تثبت مدى صعوبة هروب المفكرين اليونانيين من ذوق السفسطة:

"استخدامهم (طريقتهم)، عندما يكون بينهم رجل غير متعلم، هو اختبار قوته عن طريق الخلط بين كل أفكاره والاعتراضات والاستنتاجات والاقتراحات المعقدة والغامضة والأخطاء والخطب المنمقة؛ أوخيرًا، يلقوا به في إحراج لا يستطيع الهروب والإفلات منه."

هذه الانتقادات للتفاصيل لا يجب أن تحجب العمق العلمي والسمو الأخلاقي لتعاليم فيثاغورس: هذه هي المزايا التي أكسبته المعجبين والأتباع إلى عصرنا هذا. من خلال لغته، من خلال تنظيمه الخارجي، من خلال أخلاقه الزهدية، وحتى من خلال بعض من مذاهبه، لا تزال المدرسة الفيثاغورية تذكرنا بأسرار أو مقدسات الشرق؛ المعلم الذي كانت تقسم وتسمى باسمه لا يشبه الفيلسوف بقدر ما يشبه العراف والكاهن الذي يشرف على الأسرار المقدسة وخاصة الألوسية (hiérophante)، من أحد هؤلاء اللاهوتيين القدامى الذين، حسب رأي اليونان، كان يمثل، إذا جاز التعبير، الوسط بين الآلهة والبشر.

-2- من هو فيثاغورس؟ يعتبر **فيثاغورس** من أشهر الشخصيات الفلسفية والعلمية والدينية عبر التاريخ، ونحن لا نعرف الكثير عنه لأنه كان أقرب إلى الأسطورة حتى أنه وضع في جنس متوسط بين البشر والآلهة، وقيل أنه يحضر في عدة أماكن في نفس الوقت، وأن له فخذا من ذهب...الخ. "لقد انحدرت إلينا ثلاث سير من العالم القديم لكنها كتبت بمئات السنين بعد وجود فيثاغورس، وهي مليئة بنغمة من الخيال المبالغ فيه وتمتلئ بقصص المعجزات والأعاجيب التي قام بها" (ستيس، تاريخ الفلسفة اليونانية، ص.37). ينسَب إلى **فيثاغورس** أنّه أول من استخدم كلمَة " فيلوصوفيا" أي محبّة الحكمَة [1]، وينبَغي أن نفهَم الحكمَة هنَا بكل معانيهَا، حيث يختَلط فيهَا النظر بالعمَل، فليس الحكيم هو من يعرفُ أشيَاء كثيرة فقط، بل هو أيضًا من يسلك السلوكَ الحكيم. عموما يمكننا القول أن **فيثاغورس** قد ولدَ في مدينة ساموس حوالي 572ق.م، (وإن كانَت هناك روايات تقول أنه ولِد عام 580ق.م أو عام 570ق.م) وعلى أية حَال فقد ازدَهر شأنُه حوالَي 532ق.م

في عهد بوليقرَاطس طاغيَة سامُوس. وقد هاجر إلى 'كروتُونا' في 'اليونَان الكبرَى' حوالي عام 538ق.م فرار من بوليقراطس في ملطيا، حيث أسس هناك جماعة ذات طابع ديني، هَدفهَا تطهير النّفس للوصُول إلَى الحياة السّعيدة بعد المَوت. و لهذه الجَماعة شُروطُها الخاصّة وقواعِدها و محرّماتها (*مثل حظر أكل الفاصولياء وأنواع بعينها من اللحوم، عدَم التكلم في الظلاَم ...إلخ*) وهِي في هذا تشبه كثيرًا التجَمعات السّرية الدينية المسمّاة بـ " الأوريفية".

يقول ديوجين اللايريتي نقلا عن ارستبوس القورينائي في كتابه عن الأطباء: *"إن **فيثاغورس** اكتسب اسمه لأنه " نطق بالحق" كشخص معصوم من الخطأ، كما تفعل عرافة دلفي المسماة pythian*" وقال عنه وِل ديورانت : *"إن معنى كلمة **فيثاغورس** هو " الناطق الغيثي" بلسان مهبط الوحي في دلفي. وكان كثير من أتباعه يقولون عنه إنه هو أبولو نفسه*"، كما تناقل عنه بعض المصادر المبكرة كونه ساحرا يزعم أنه اختبر تجارب "سرية" أو صوفية، وأنه كان يتواجد في أماكن مختلفة في نفس الوقت، هذه بعض القصص والأساطير التي نسجت حول شخصية **فيثاغورس**. ويقول **هيجل**: "إن علاقات **فيثاغورس** بالطائفة الكهنوتية المصرية كان لها عليه أعظم تأثير، لا بالحكمة النظرية العميقة التي يقال إنه جناها من هناك، بل بالفكرة التي كونها نفسه هناك عن تطبيق الضمير، عن التحقق الفعلي للوجود الأخلاقي للإنسان".

-3- فلسفتها الطبيعية:

"عندما حاول الفيثاغوريون تفسير طبيعة الكون رأوا أن التفسير المادي الذي قال به السابقون عليهم يثير صعوبات من أهمها، أنه لو اتصف مبدأ الكائنات الطبيعية بصفة من صفات ؟أحد العناصر المحسوسة فإنه لن يكون مبدءا سابقا عليها في الوجود. ثانيا، لو فسرنا جميع الكائنات بمادة واحدة فما الذي يميزها عن بعضها ويحدد لكل نوع منها صورته الخاصة به"[79].

إعتَقد **الفيتاغوريون** أنّ **عناصر الأعداد هي عناصر الأشياء وأن العالم عدد،** حيث ورد في المعجم الفلسفي ان مذهب فيثاغورس **يرد الأشياء إلى العدد،** فجوهرها جميعا أعداد وأرقام، والظواهر كلها تعبر عن قيم ونسب رياضية المعجم الفلسفي، تصدير إبراهيم بيومي

[79] أميرة حلمي مطر، **الفلسفة اليونانية: تاريخها ومشكلاتها**، مرجع سابق، ص.72-73.

مدكور، ص.142). وإذا كان أصل الأشياء هو الماء عند طاليس، والهواء عند أنكسمينس، فإنه عند أصحاب فيثاغوروس، **العدد كمفهوم مجرد**. فالأشياء مهما اختلفت صفاتها وأعراضها، في مستوى المشمومات والمسموعات والمرئيات وغيرها، فهي تتأسس على العدد؛ فكلٌّ من السوائل والغازات والصلبيات، لا بل كل عنصر أو نوع داخل الصنف الواحد، له عدده؛ وبتعبير آخر، لا يمتاز شيء عن شيء إلا بالعدد. ومن هنا، نستخلص أن العدد هو جوهر الوجود وحقيقته؛ فكل ما تقع عليه عيناك، مركب من أعداد. ولما كانت الأعداد كلها متفرعة عن الواحد، لأنها مهما بلغت من الكثرة، فهي واحد متكرر، كان الواحد أصل الوجود، عنه نشأ، ومنه تكوَّن. هذا ما يكشف عن أصل الأشياء في مستواها المجرد. وقد كشفَ ارسطو عن جَوهر التفسير الفيثاغوري للعالم حينما قال"*إنهم رأوا أنّ مبادئ الأعدَاد (الرياضيَات) هي مبادئ كل الأشياء وأنّ العالم أشبه بعَالم الأعداد منه بالماء أو التّراب أو النّار*". وَإذَا علمنَا انّ الأعداد في ذلك الوقت كانت عبارة عن أشكال هَندَسية، فالعدَد واحد هو النقطة، والإثنان قطعَة، والثلاثة هو المثلث، والأربعة مربّع وهكذَا ... سهُل فهم تصورهم هَذا، فقولُهم أن العالم عَدد يعني أن العَالم في الحقيقَة هوَ أشكال هندسية، وأن هذه الطبيعَة الهندَسية أهم من الماء والهواء، فمؤَدى هذه النظرية هو عدم المبالاة بالبحث عن نوع المادة الاولى لأنّ هذا الأمر لا أهَمية له الآن، وهذا يبين أهَمية المرحلة **الفيثاغورية** فِي تطَور العلم اليوُناني نحوَ شكل عقلي فيه قدر أكبر من التّجريد، حيث تم الابتعاد عن تفسير الأشياء بالرجوع إلى المادة التي صنعت منهَا، والرجُوع إلى صورتهَا Eidos التي يمكن أن يعبر عنهَا تعبيرًا رياَضيا.

ولكي نفهم تصور **الفيثاغوريين** لاشتقاق العالم من الأعداد يمكننا الرجوع إلى نصٍ لديوجين اللايريتي عن أحد **الفيثاغوريين** يقول فيه "*أن الوحدَة هي مبدأ كل شيء، صدرت عنها الثنائية وهي لا نهائية، من الوَحدة الكاملَة ومن الثنائية اللانهائية صدرت الأعدَاد، ومن الأعداد النقَاط ومن النقاط الخطوط، ومنَ الخطُوط المسَطحَات، ومن المسطحات المجَسمات، ومن المجسمَات الأجسَام المحسوسَة وعناصرها الأربعة وهي الهوَاء والنار والماء والتراب ومن حركتهَا تكون العالم الحي الكروي الذي تكون الأرض ذات الشكل الكروي في مركَزه*".

هذا وكان **الفيثاغوريون** يرون في العدد واحد رمزا للثبات والدوام في الكون، ومن الواحد يأتي كل شيء طيب في هذا العالم، لأن الواحد هو أصل الأعداد الفردية. أما العدد إثنان فهو رمز للنقص في الكون، فالعالم لابد له من تناغم الأضداد، فلا يمكن أن نفسره بوجود الخير وحده، أي الواحد، بل لابد من وجود عنصر الشر الذي يقاوم نشاط الخير. ويقال إن **فيثاغورس** استمد هذه الثنائية الكونية من ثنائية المجوس، ويقول أرسطو أن **الفيثاغوريين** - لهذا السبب - وضعوا قائمة من الأضداد عددها عشرة أضداد على النحو التالي : 1- المحدود واللامحدود، 2- الفردي والزوجي، 3- الواحد والكثير، 4- اليمين واليسار، 5- الذكر والأنثى، 6- السكون والحركة، 7- المستقيم والمنحني، 8- النور والظلام، 9- الخير والشر، 10- المربع والمستطيل (*لماذا لم يختر الدائرة مثلا ؟*) ، والملاحظ أنها عشرة أضداد لأن العدد عشرة أكمل الأعداد، و مع المزيد من التطوير صارت نظرية العدد عند الفيتاغوريين نظرية متعسفة حيث أنهم مثلا يقولون أن الرقم6 (*أو5 لاختلاف الفيتاغوريين فيما بينهم حول العدد الذي يتطابق مع شيء ما، راجع مثلا الفلسفة اليونانية حتى أفلاطون، د. عزت قرني*) رمز للزواج، والرقم 7 هو جوهر "الوقت المناسب"، و4 رمز العدالة (*على الأقل هذه النقطة مفهومة لأن العدد أربعة هو المربع والمربع معروف بتساوي أضلاعه وزواياه ...*)، أما العقل فيمثله الرقم 1 لأن هذا العدد ثابت باعتباره الوحدة الأولى، أما الظن فيمثله الرقم واحد حيث أنه يقبل القسمة !...وهكذا.

ختاماً فقد حاولنا التعرف على **المدرسة الفيتاغورية**، لكن كما أشرنا سابقا فقلة المعلوم عن **فيتاغورس** والتشعبات التي لحقت المدرسة، وكذلك لاختلاف تأويلات نظريات الفيتاغوريين لابد أن نشير إلى أن ما قدمناه ليس هو القراءة الوحيدة لتعاليم وفلسفة **المدرسة الفيتاغورية** لكنه يمثل الرؤية السائدة والأكثر ترجيحا، ودمتم ودمنا للحكمة أصدقاء.

المحاضرة السابعة المدرسة السفسطائية

-1- تعريفها: كلمة Sophos في اليونانية هو الحكيم أو معلم الحكمة، " وكان اسم "سوفيست" يدل في الأصل على المعلم في أي فرع كان من العلوم و الصناعات، وبنوع خاص على معلم البيان" (يوسف كرم، تاريخ الفلسفة اليونانية، ص.57)، وذلك قبل أن تتحول هذه الكلمة لاحقا لتكتسب معنى قدحيا تحت تأثير النقد الأفلاطوني والأرسطي. إذن**السفسطائي** في الأصل هو الحكيم، لكن في النصف الثاني من القرن الخامس أصبح المصطلح يشير إلى المجموعة التي ستحتفظ بهذا الإسم لنفسها وهم **السفسطائيون**.

السفسطائيون بالمعنى الجديد هم معلمون بالأجر، فهم أول من حدّد أجرا لدروسهم، وقد كان عظماء **السفطائيين** لا يدرسون في العادة إلا للأثرياء القادرين على دفع الأجور، لكن الجيل التالي عليهم بدأ يوسع من جمهوره أكثر وأكثر راضيا بمبالغ أقل وأقل. وقد أثار ذلك نوعا من الحسد عند العامة وعند كثيرين من غير العامة، وصاحب ذلك نفور عام من ربط العلم بطلب الرزق. وخير من يمثّل هذا النفور هو سقراط، حيث كان يفاخر بأنه لم يتلق أجرا في حياته عن مصاحبته للشباب. وعلة هذا النفور أن العلاقة المالية بين المعلم والتلميذ تجعل الأول في حالة من العبودية بإزاء الثاني، أما سقراط فكان يوفر لنفسه حريته بإزاء تابعيه بعدم ارتباطه بمالهم. لذلك أصبح لإسم **"السفسطائي"** هذه الرائحة المنفردة التي مصدرها أفلاطون - الذي شهر **بالسفسطائيين**- ثم **أرسطو**، والتي لم تكن هي السائدة في عصرهم، حتى أن أحد المؤرخين يشير إلى أنه لو أن زائرا لأثينا في الثلاثين عاما الأخيرة من القرن الخامس قبل الميلاد سأل أثينيا : من **السفسطائي** الأول عندكم؟ لكانت الإجابة من غير شك :**" سقراط"**. إذن فأفلاطون أخذ الأسم العام وأطلقه على مجموعة خاصة، بالإضافة إلى أنه ألصق به قصدا صفات غير مقبولة من عامة اليونانيين، ولم يكن يحتويها مدلوله الأصلي.

لقد كان هؤلاء **السفسطائيون** ينتقلون من مدينة إلى أخرى، يلقون خطبهم، ويصطحبهم تلاميذهم الذين كانوا ينظرون إليهم باحترام وينتبهون لكل ما ينطقون به. وقد كان يجيدون التعريف بأنفسهم واجتذاب تلاميذ جدد، حيث كانوا ينوعون من محاضراتهم، فبعضها كان من نوع العينة التي تهدف لإبهار المستمع بمعارفهم وبلاغتهم، ومنها

محاضرات حصرية يحضرها من يدفع فقط، ومنها التي تقدم في بيوت الأغنياء الذين يستضيفونهم. وقد كان وصول **سفسطائي** شهير إلى أحدى المدن حدثا ثقافيا هاما.

ويجب أن نعلم أن **السفسطائيين** لم يكونوا "مدرسة" واحدة لها أعضاء، لا يمكن مقارنتهم بالفيتاغوريين مثلا، وليس عندهم أي مذهب للفلسفة يشتركون فيه جميعا، كما لم تكن هناك رابطة شخصية لصيقة تربط أحدهم بالآخرين كما قد نجد، وعليه فهم كانوا فئة محترفة لا مدرسة، ولكن تبقى **الحركة السفسطائية** اتجاه فكري يشترك أصحابه في بعض الخصائص الفكرية العامة.

لقد احتلت الخطابة مكانا رئيسيا في نشاط **السفسطائيين**، حتى أنهم انتقلوا من الاهتمام بالتعليم على وجه العموم إلى تعليم الخطابة بشكل خاص. ومن الأسباب التي دفعتهم لذلك العمل على تهيئ تلاميذهم للعمل السياسي الذي يستلزم القدرة على التأثير في الجماهير عن طريق الخطابة. وانطلاقا من الخطابة اهتم **السفسطائيون** باللغة اهتماما كبيراً، حتى أن بعض المؤرخين يرى أن **السفسطائيين** هم مؤسسو علم النحو اليوناني.

ورغم أهمية الخطابة في نشاط **السفسطائيين** إلى أن القسم الأكبر من نشاطهم كان موجها نحو تعليم الفضيلة، وهي سمة عامة لأغلب **السفسطائيين** (*وإن كان جورجياس يؤكد على أنه معلم للخطابة أولا و قبل شيء*). ومفهوم الفضيلة بالمعنى اليوناني تعني قدرة الشخص على أن يؤدي مهامه بنجاح، فهو إذن لا يقتصر على مجال الأخلاق بل يتسع ليشمل كل ما يهم السياسة والمسائل اللغوية والفكرية، **فبروتاغوراس** مثلا يعرف نفسه قائلا بأنه يعلم التلميذ "*علم النصيحة الصائبة (الحكمة) الذي سيعلمه فيما يخص الشئون المنزلية أفضل وسيلة لإدارة منزله، و سيجعله فيما يخص شئون المدينة في أفضل مركز ليعمل و ليتكلم من أجلها*"، وهكذا يمكن القول أن **السفسطائيين** كانوا ناشري الثقافة في بلاد اليونان.

ولم يسعى **السفسطائيون** لبلوغ الحقيقة، ولم يهتموا بالتأمل النظري، بل كانوا فلاسفة عمليين، ففي حين انشغل **الفلاسفة الطبيعيون** بالبحث في قضايا نظرية أنصب اهتمام **السفسطائيين** على أمور عملية. وهم عمليون لأن هدفهم الأول كان تكوين المواطن (من خلال تعليم الفضيلة كما سبقت الإشارة) وذلك من خلال إعداد الشباب من أجل النجاح في الحياة اليومية والسياسية، أما الهدف الثاني هو تحصيل المال، حيث أن العلم تحول على أيديهم إلى سلعة، لكن لا يجب أن تكون نظرتنا سلبية لموضوع الأجر

هذا، **فبروتاغوراس** مثلا يقول أن يترك للتلميذ تقدير الأجرة وفق ما يراه مناسبًا، ويقول **أنطيفون**، في حديث مع سقراط، أن **السفسطائيين** يتقاضون أجرا على ما يقدمونه من معارف لشعورهم بأهمية ما يقدمونه، خاصية أخرى مهم ميزت **السفسطائيين** هي اهتمامهم بالتخصص (**هيبياس** مثلا الذي كان متخصصا في علم الأنساب)، فهم يدافعون عن احتراف مهنة معينة كالطب أو الزراعة ...، ومن جهة أخرى نلاحظ أنهم اهتموا بشكل كبير بالمسائل اللغوية والأسلوبية والخطابية، ومنهم من كتب رسائل في هذه الموضوعات. ولكن تخصصهم العام كان السياسة، واهتمامهم بالسياسة كان على حساب الأخلاق، لأن الهدف هو تحقيق النجاح بأسرع الطرق وأيسرها، فركزوا على تنمية القدرات العقلية لتلاميذهم، فكانوا يعلمونهم اساليب البرهنة وعرض الأفكار بالإضافة إلى عدد من المعارف المرتبطة بجوانب متعددة، وقد هاجم أرسطوفانز هذا الجانب من تعليمهم في**مسرحية السحب** حيث يقول على لسان الأب: "*هؤلاء الناس سيعلمونك بالأجر كيف تعلي من شأن كل القضايا، العادلة منها وغير العادلة*". فهو يشير إلى أن السفسطائيين لا يأبهون لعدالة القضية لأن كل ما يهمهم هو الفوز.

-2- ظهور السفسطائية: ارتبط ظهور **السفسطائيين** بجملة من التحولات والحوادث التي شهدتها بلاد اليونان خلال القرن الخامس قبل الميلاد، وأهمها **انتشار الديمقراطية**. والديمقراطية تعني إقامة علاقات سياسية من نوع جديد، حيث أن النبلاء والأثرياء لم يعودوا ملاك السلطة السياسية، وكان لهذا أثر في إضعاف قوة التقاليد الأخلاقية والسياسية السابقة، التي كان النبلاء هم المحافظون عليها والمستفيدون منها. كما أن الديمقراطية أدت إلى زيادة أهمية الفرد، حيث أن النظام الجديد يتيح لأي فرد الوصول إلى السلطة السياسية إذا امتلك القدرة على أقناع الشعب في مجالسه السياسية. عامل مهم آخر تجلى في **الشعور بقوة البشر** بصفة عامّة بإزاء التصور السابق التقليدي الذي كان يؤكد على قوة الآلهة (*لأن الذي انتصر على الفرس لم يكن الآلهة بل سواعد البشر، ويضاف إلى هذا تقدم العلوم كالطب مثلا ...)*. والعامل الأخير هو سيادة الشعور **بنسبية الأشياء**، خاصة النسبية الثقافية فاليونان مختلفون فيما بينهم، وهم مختلفون عن الفرس، والفرس مختلفون عن المصريين (*مثال ذلك اكتشافات هيرودوت "484-424 ق.م" المثيرة حول معتقدات الشعوب الأخرى و سلوكات الناس*).

هذا فيما يتعلق بالعصر الذي عاش فيه **السفسطائيون**، أما من الناحية الفكرية، فإن بحوث الفلاسفة الطبيعيين كانت قد وصلت إلى درجة واضحة من النضوب، فليس هناك من جديد إلا نادرا (*حيث أن الفلاسفة المتأخرون كانوا يعملون على التوفيق بين المذاهب السابقة*)، من جهة أخرى فإن أقوالهم تتناقض فيما بينها، فهذا يقول بالسكون و ذاك بالحركة، وهذا بنشأة الأشياء وفسادها و ذاك بأنها لا تتكون ... إلخ، حتى أن البعض بدأ يتساءل: **" ما الفائدة من هذه المذاهب عمليا، أليس من الأفضل الإهتمام بشئون البشر؟**

وهكذا نلاحظ ان **السفسطائيين** رد فعل طبيعي للفكر اليوناني قبلهم، ونتيجة لتطور اليونان العقلي والحضاري. لذلك كان **السفسطائيون** ظاهرة إجتماعية على مستوى بلاد اليونان كلها، حيث أنهم تنقلوا من مدينة إلى أخرى يلقون خطبهم التي كانت نقدا لاذعا للتقاليد، وتدور حول شؤون الإنسان الآنية والمظاهر المرتبطة بحياته المادية و الروحية، والعوامل التي تساهم في نجاحه في الحياة.

-2- أعلام السفسطائية: لقد اشتهر من السفسطائيين نفر كبير نذكر منهم تيسياس وكوراكس ثم **جورجياس** و**بروتاغوراس** وبروديكوس وتراديماخوس وهيبياس وك ريتياس ...

بروتاغوراس (protagoras)

يعتبر **بروُتاغوراس** بلا شك زعيم الحركة السفسطائية باعتباره أقدم السفسطائيين وأقدرهم. ورغم الاختلاف بين المؤرخين على مكانة بروتاغوراس الفلسفية إلا أنهم يقرون له بالأسبقية في توجيه الفكر الفلسفي اليوناني نحو البحث في قضايا الإنسان، وينسبون إليه الفضل في وضع أسس النحو وفقه اللغة عند الأوروبيين"[80]. واحد من أشهر سفسْطائيي القرن الخامس قبل المِيلاد، أتى من أبديرا (*نفس المكان الذي ولد به **ديموقريطس***)، ارتحل كثيرا عبر بلاد اليونان، فزار أثينا عدة مرات، حيث ارتبط ببيركليس الذي دعاه لكتابة دستور المستعمرة الأثينية ثوري. يقال أنه أدين بتهمة الزندقة وفر من أثينا لكن في ذلك شك لأن**أفلاطون**، في محاورة مينون، يقول بأنه تمتع بسمعة جيدة حتى مماته وعقب ذلك. أشتهر بلاأدرتيه فيما يتعلق بوجود الطبيعة والآلهة، حيث اشتهر من بين شذراته القليلة

[80] مصطفى النشار، **تاريخ الفلسفة اليونانية، ج2**، ص.43.

المتبقية، شذرة مهمة من كتابه " في الآلهة" أو "عن الآلهة"، وهي تقول :"*فيما يخص الآلهة، فإني غير قادر على قول شيء، لا أنهم موجودون ولا أنهم غير موجودين: فعوامل كثيرة تحول دون هذه المعرفة، منها غموض الموضوع، ومنها كذلك قصر الحياة الإنسانية*".

موضوع هذه العبارة هو معرفة الآلهة وعلى الأدق معرفة وجود الآلهة. ولعل **بِرُوتاغُوراس** كان يقصد هنا هذه المعرفة اليقينية التي طرح **بارمِنيدس** مثالا عليها في قصِيدته "في الطبيعة"، حيث تحدث عن "طريق الحقيقة" المصحوب باليقين. ولدعم موقفه يسوق **بروتاغوراس** عامليهرقليطس

ن يدفعانه لاتخاذ هذا الموقف. الأولُ منهما: "*غموض الموضوع*". ماذا يقصد بهذا؟ أشار البعض إلى أن الكلمة اليونانية التي استخدمها **بروتاغوراس** تعنى جزئيا: "*ما هو مضاد للمدرك بالحس*"، فيكون المعنى أنه ليس لنا من سبيل إلى معرفة الآلهة كما ندرك الأشياء المحسوسة، بحيث أن موضوعات الحس التي لا يتم إدراكها في وضوح تسمى أشياء **"غامضة"**، ومن الممكن أنه يقصد أن الآراء كثيرة في الموضوع وأنها متعارضة. ومهما كان قصد **بروتاغوراس** فمن المؤكد أنه يشترط لإمكان المعرفة أن يكون إدراك موضوعها إدراكا واضحا، وهذا هو الذي يهمنا، بحيث أنه من الأفضل رفع الحكم بدلا من اتخاذ موقف إذا كان الموضوع غير واضح.

العامل الثاني الذي يبرزه **بروتاغوراس** تبريرا "للاأدريته" هو "*قصَر الحياة الإنسانية*". وهذا درس كبير في التواضع ودعوة للتأني، وهو عامل يعكس لنا كيف أن كل الأمور عند **السفسْطائيين** كانت تؤخذ من وجهة نظر الإنسان، وهي تؤكد نسْبية الجهد الإنساني الذي لا يسهل عليه، وإن طال البحث، أن يصِل إلى اليقين، أي أن يعرف معرفة حقيقية.

الشّذرة الثانية، وهي أهم بكثير من السابقة، تقول: "*الإنسَان مقياس كل شيء، مقياس الأشياء الموجودة ومقياس لا وجود الأشياء غير الموجودة*". أول ما نلاحظه من هذه أن **بروتاغوراس** جعل الإنسان مقياس لضدين، وهنا يجب أن نذكر أن **بروتاغوراس** كان يعلم تلاميذه كيف يأخذون المع والضد بخصوص نفس القضية، فلكل موضوع في رأيه جانبان ويمكن الدفاع عن كل منهما.

إذن ماذا يقصد **بروتاغوراس** بـ "الإنسَان" في الشذرة السابقة، هل يقصد الإنسان الفرد أم الإنسان النوع؟ إن أغلب التأويلات تقول أن القصد من العبارة هو أن كل المظاهر الحسية وكل المعتقدات صادقة نسبة إلى الشخص المعني، أي أن المقصود من العبارة هي الإنسان الفرد، وهذا هو الـتفسير الذي تبناه **أفلاطون** الذي عاش في عصْر**بروُتاغوراس**، والذي كان يمكنه أن يقرأ كل كتابه، فيعرف بذلك قصده. هذا المبدأ يستبعد الموضوعية بشكل كامل، وقد هوجم من قبل **ديموقريطس** و**أفلاطون** (*راجع محَاورة ثياتيتوس [محاورات أفلاطون]*) لكونه يدحض نفسه، فإذا كانت كل المعتقدات صادقة، فالمعتقد القائل بأن "كل المعتقدات خاطئة" سيكون صادقا ! لكن هذا النقد يهمل نسبية الصدق في النظرية.

طلب شاب فقير من بروتاغوراس أن يعلمه دون أن يدفع له أجرا على ان يدفع له ما يستحق بعد أن يربح أول قضية له، ولأنه متأكد من قدرته على تعليم الشاب وأن هذا الأخير لابد سيربح بعد أن يتتلمذ على يديه، وافق بوتاغوراس على تعليمه. لكن بعد أن تعلم رفض الشاب أن يدفع، فقرر بروتاغوراس أن يرفع دعوى ضده، وقال للشاب "أنك ستدفع في كل الأحوال، فإما أن أربح القضية وتدفع التزاما بحكم القاضي وإما أن أخسر فتدفع بحكم الاتفاق الذي كان بيننا"، لكن الشاب رد قائلا:" أبدا، لن أدفع في الحالتين، إذا ربحت القضية فلن أدفع بموجب حكم القاضي، أما إذا خسرت فلن أدفع بموجب الاتفاق الذي كان بيننا".

أخيرا، نشير إلى أن **أفلاطون**، في المحاورة التي تحمل إسم **بروتاغوراس**، يعرضه على أنه يتبنى شكلا محافظا إلى حد كبير من أشكال الأخلاقية الإجتماعية، مؤسسا على شكل من أشكال نظرية التعاقد الإجتماعي، حيث يرى أن البشر يحتاجون لتطوير مؤسسات اجتماعية كي يظلوا بقيد الحياة في عالم عدائي، والفضائل الإجتماعيةالأساسية، العدالة وضبط النفس، محتم توقيرها بوجه عام إذا أردنا لتلك المؤسسات أن تزدهر.

جورجياس ()

جورجياس هو **السفسطائي** الثاني الذي يأتي بعد **بروتاغوراس** في الأهمية. وقد ولد في بداية القرن الخامس ق.م. وهو مدينة ليونتيني في جزيرة صقلية، و قد اشتهر بأنه تلميذ **أمبيدوكليس** الذي كان من صقلية أيضا. في أول قدوم له لأثينا جاء سفيرا لمدينته طلبا للمساعدة ضد مدينة عدوة (syracusans)، وقد كللت مهمته بالنجاح فعاد إلى مدينته،

لكنه سرعان ما عاد مرة أخرى لأثينا، فأخذ يتجول بها ملقيا خطبه، كما يفعل باقي **السفسطائيين**، حتى نال شهرة واسعة. وتنسب إليه عدة خطب لم يبق منها إلا شذرات، كما نسب إليه كتاب "*في الطبيعة*" أو "*في اللاوجود*"، والكتاب لم ينجو إلا على شكل ملخص لثلاث أطروحات أساسية : - لا يوجد شيء؛- إن وجد شيء فلا يمكن أدراكه؛ - إذا أمكن إدراك شيء فلا يمكن الإخبار عنه. لإثبات صحة الأطروحة الأولى يعتمد **جورجياس** بشكل كبير على المدرسة الإيلية خصوصا **بارمنيدس** ومفارقات **زينون** حول الحركة والكثرة، والتي حاول من خلالها دعم موقف أستاذه **بارمنيدس** (*كما اشرنا حين التعريف* ***بزينون***) القائل بالوجود الواحد ... لكن إذا استعمل زينون حججه بهدف البناء، فقد كان جورجياس يهدف إلى الهدم. وإليكم النصوص الباقية من كتاب " في اللاوجود" كما جاء في ترجمة الدكتور أحمد فؤاد الأهواني في كتابه "*فجر الفلسفة اليونانية*":

1- لايوجد شيء: إذا وجد شيء فيجب أن يكون إما موجودا، أو لا موجودا، أو موجودا ولا موجودا معا.

أ - ولا يمكن أن يكون لا موجودا، لأن اللاوجود غير موجود. إذ لو وجد اللاموجود لكان في نفس الوقت موجودا و لا موجودا. و هذا مستحيل.

ب - ولا يمكن أن يكون موجودا، لأن الوجود غير موجود، إذ لو كان موجودا فيجب إما أن يكون أزليا أو مخلوقا، أو هما معا: 1 - ولا يمكن أن يكون أزليا، إذ لو كان كذلك فلا أول له، وما لا أول له فغير محدود. وما لا حد له فليس له مكان، إذ لو كان له مكان لوجب أن يُحوى في شيء آخر، فلا يصبح بذلك غير محدود، لأن الذي يَحوِي أكبر ممّا يُحوَى، ولا شيء أكبر من اللامحدود. ولا يمكن أن يحوِي نفسه، وإلا كان المحتَوى والحَاوي شيئا واحدا، ويصبح الموجود شيئين، أي المكان والجرم، وهذا باطل. فإذا كان الموجود أزليا كان لا محدودا، وإذا كان لامحدودا فلا مكان له، وإذا لم يكن له مكان، فهو غير موجود. 2 - كذلك لا يمكن أن يكون الموجود مخلوقا، إذ لو كان كذلك فيجب أن ينشأ من شيء، إما من موجود أو من لا وجود، وكلا الأمرين مستحيل.3 - كذلك لا يمكن أن يكون الموجود أزليًا ومخلوقا في وقت واحد، لأن الأزلي والمخلوق متضادان، فلا يوجد الموجود. 4 - ولا يمكن أن يكون الموجود واحدا، وإلا كان له حجم وأمكن قسمته إلى ما لانهاية له،

وعلى أقل تقدير كان له ثلاثة أبعاد هي الطول والعرض والعمق. 5 - ولا يمكن أن يكون كثيرا، لإن الكثير حاصل الجمع بين عدد من الوحدات، وحيث كان الواحد غير موجود، فكذلك الكثير.

ج - ومن المستحيل أن يكون الشيء مزيجا من الوجود واللاوجود. ولما كان الوجود غير موجود فلاشيء موجود.

2- إذا وجد شيء فلا يمكن إدراكه: إذا لم تكن المعاني العقلية حقائق، فلا يمكن أن تعقل الحقيقة: ذلك أنه إذا كان الشيء المدرك أبيضا، فالبياض هو موضوع الفكر. وإذا كان الشيء المدرك غير موجود فاللاوجود موضوع الفكر. وهذا يساوي قولنا " أن الوجود أو الحقيقة ليس موضوع الفكر، ولا يمكن أن يدرك" . وكثير من الأشياء التي تكون موضوع الفكر ليست حقيقية، فنحن قد نتصور عربة تجرى على الماء أو رجلا له أجنحة. كذلك ما دامت المبصرات موضوع البصر، والمسموعات موضوع السمع، وما دمنا نسلم بأن المبصرات حقيقية دون أن نسمعها، والعكس بالعكس، فعلينا أن نسلم بأن المدركات حقيقية دون أن نبصرها أو نسمعها، ولكن هذا يعني الاعتقاد في أشياء كالعربة التي تجري على ماء البحر. بناء على ذلك ليست الحقيقة موضوع الفكر، ولا يمكن للفكر أن يدركها، فالعقل الخالص، في مقابل إدراك الحواس، أو حتى باعتباره معيارا صادقا كالادراك الحسي، أسطورة.

3- إذا أمكن إدراك شيء لا يمكن نقله إلى الغير: إن الأشياء الموجودة هي المحسوسات، فموضوعات البصر تدرك بالبصر، وموضوعات السمع تدرك بالسمع، ولا تبادل بينهما، فلا يمكن لهذه الإحساسات أن يتصل بعضها ببعض. ثم إن الكلام هو طريق الإتصالبين الناس، وليس الكلام من الأشياء الموجودة أي المحسوسات، فنحن ننقل الكلام فقط، لا الأشياء الموجودة. وكماأن المبصرات لا يمكن أن تصبح مسموعات، فكذلك كلامنا لا يمكن أن يساوي الأشياء الموجودة، مادام مختلفا عنها. يضاف إلى ذلك أن الكلام يتركب من المدركات التي نتلقاها من خارج أي من المحسوسات، لذلك ليس الكلام هو الذي يخبر عن المحسوسات بل المحسوسات هي التي تخلق الكلام. لا يمكن أبدا أن يمثل الكلامالمحسوسات تماما، مادام الكلام مختلفا عنها، وكأن كل محسوس مدركا بعضر الحس الملائم له، والكلام بعضو آخر.

وبناء على ذلك مادامت موضوعات الإبصار لا يمكن أن تعرض على أي عضو سوى البصر، ومادامت أعضاء الحس لا تتبادل إدراكها، فكذلك الكلام لا يمكن أن يخبر عن المحسوسات. من أجل ذلك إذا وجد شيء وكان مدركا، فلا يمكن الإخبار عنه. (إنتَهَت نُصوصُ **جُورجْيَاس**) .

تساءلَ المؤرّخُون حول جدّية **جورجياس** في هذه النظرية. ومن الواضح أنّه غير جاد لأنه كان يعلمُ أنّ براهينه غير صحيحة، وأن فيهَا تلاعبا بالإلفاظ، ولكنه كان جادا في ما يبدو حينما أراد أن يبين أن المسائل التي شغلت **الفلاسفة الطبيعيين** لن تؤدي إلا إلى طريق مسدود، فيمكن فيها أن نقول الرأي ونقيضه، وأن الأهم من ذلك هو الإتجاه نحو الأمور الإنسانية، وهذا هو ما فعله **السفسطائيون**. وعليه فهذه النظرية ليست إلا نموذجا للبلاغة والقدرة السفسطائية على البرهنة على أي شيء وعلى إقامة الحجة على الشيء ونقيضه.

هبياس (Hippias)

يعد **هيبياس** من أشهر السفسطائيين و أكثرهم تأثيرا في النصف الثاني من القرن الخامس ق.م. لقد كان أخطر السفسطائيين وأبرزهم في تلك الفترة وذلك لأنه كما قال ديورنت كان: " يمثل مدرسة بمفرده وكان أنموذجا للرجل متعدد المعارف في عالم لم تكن المعرفة فيه قد بلغت من الاتساع حد يجعلها في غير متناول عقل واحد؛ فقد كان يعلم الفلك والرياضيات، وكانت له بحوث مبتكرة في الهندسة، وكان شاعرا وموسيقيا وخطيبا، وكان يلقي محاضرات في الأدب والأخلاق والسياسة، وكان مؤرخا وضع أساس التاريخ اليوناني وتقويمه"[81].إن **هيبياس الإليسي** هو حكيم وفيلسوف في الرياضيات ولد في إليس في منتصف القرن الخامس قبل الميلاد فكان المعاصر الأصغر لبروتاغوراس وسقراط، وكان متعدد المواهب مما جعله ينال احترام الناس لحد جعلهم يرسلونه لمدن عديدة في مهام دبلوماسية. وفي أثينا تصادق مع سقراط ومفكرين آخرين. وكان شاعرا معروفا وكان له تأثير من بعده على الشعراء الآخرين وحاضر في اللغة والتاريخ والسياسة والاقتصاد والفلك وأعماله الأدبية تتضمن مراثي شعرية وتراجيديا وقام بعمل كبير حول هوميروس وجمع الشعر اليوناني ولم يبقى من كتبه إلا شذرات في كتب لكتاب

[81] مصطفى النشار، تاريخ الفلسفة اليونانية، ج2، مرجع سابق، ص.79.

آخرين. زعم بأنه يعتبر مصدرا لكل المواضيع، وألقى محاضرات على الشعر والقواعد والتاريخ والسياسة وعلم الآثار والرياضيات وعلم الفلك. وقد حقق فيها النجاح المالي.

وقد افتخر بأنه كان أكثر شعبية من بروتاغوراس، وأنه تهيأ في أية لحظة لإلقاء خطاب ارتجالي على أي موضوع إلى الجمعية في أولمبيا. وليس هناك شك بقدراته، لكنه بالمثل فقد كان سطحيا بالتأكيد. لم يكن هدفه أن يمنح المعرفة، لكن ليزود تلاميذه بسلاح الحجة، ولجعل عقولهم خصبة في المناقشات على كل المواضيع على حد سواء. ويقال بأنه تبجح بأنه لم يلبس شيئا لم تصنعه يداه. وهناك حواران كتبهما أفلاطون، هيبياس الرئيسي وهيبياس الثانوي، تحتوي على عرض لطرقه، ورغم أن أفلاطون كتب العمل بشيء من المبالغة وذلك لأغراض المناظرات ولكنه كتبه الحوار بمعرفة كاملة عن هيبياس والطبقة التي يمثلها. وورغم أن المؤرخين ينكرون أصالة الحوارين، فلا بد وأنها كتبت من قبل كاتب معاصر (فهي قد ذكرت في أدب القرن الرابع)، وتمثل بلا شك موقف المفكرين الجديين للتأثير المتنامي للسفسطائيين المحترفين. وبلا شك فإن هيبياس قام خدمة حقيقية للأدب اليوناني بالتشديد على معاني الكلمات وقيمة القافية والأسلوب الأدبي. وينسب إليه عمل ممتاز عن هوميروس، ومجموعات الأدب اليوناني والأجنبي، وأطروحات أثرية، لكن لا شيء منها بقي ما عدا بعض الملاحظات الصغيرة. وهو يشكل وصلة بين السفسطائيين العظماء الأوائل، مثل بروتاغوراس وبروديكوس، والجدليات غير المعدودة التي جلبت لأسمائهم سوء السمعة.

المحاضرة الثامنة المدرسة السقراطية

المقدمة

هناك بُعد للفلسفة في العصور القديمة يميزها، ربما أكثر من أي بُعد آخر، عن الفلسفة كما نفهمها اليوم، وحتى منذ نهاية العصور القديمة: إنها فكرة الفلسفة كأسلوب حياة. لم يسود هذا المفهوم، على الإطلاق، في جميع الأوقات أو بين جميع المؤلفين. لكن بالنسبة للعديد من الفلاسفة القدماء، ووفقًا للصورة التي كانت لدى المرء عنها، لم يتم اختزال الفلسفة في مجرد مجال بحث. كانت الفلسفة في العصور القديمة بالفعل، كما كانت دائمًا منذ ذلك الحين، مجموعة من المشكلات التي تتحدى الذكاء، والأسئلة التي يجب استكشافها والتعمق فيها، سواء كان بشكل شفهي أو مكتوب أو كليهما، تناقضات يجب حلها، استنتاجات من الواجب صياغتها وتعزيزها بحجج فلسفية، والتي هي بدورها صياغتها وشرحها، نظريات بديلة ومتنافسة، خاصة بمؤلفيها، والتي ندعمها أو نرفضها لأسباب نقدمها مرة أخرى، وندافع عنها ونمررها ونبلغها للآخرين. لكن في العصور القديمة بشكل عام، لم يكن الفلاسفة "متخصصين" فقط في هذا المجال الفكري أو ذاك، ولم يقتصر نشاطهم على اعتناق مذاهب وأساليب حجاجية وما إلى ذلك. لقد تميز فلاسفة العصور القديمة عن بقية الناس على وجه التحديد من خلال أسلوب حياتهم وطريقة عيشهم، وتميزوا حتى عن أولئك الذين يعملون في وظائف أساتذة أو مهن فكرية أخرى، على سبيل المثال الطب أو الرياضيات. لا أفكر هنا في صور إبينال، على سبيل المثال كونه يضع لحية أو يعتاد الأماكن العامة في المدينة بألبسة ممزقة. عاش الفلاسفة فلسفتهم - وليس فقط بمعنى أنهم كرسوا كل وقتهم للبحث في الفلسفة. كرس الأطباء وعلماء الرياضيات أنفسهم أيضًا للبحث في مجالات تخصصهم، لكن الفيلسوف جعل الفلسفة أساس حياته كلها. أن تكون فيلسوفًا في الواقع، بالنسبة للعديد من الفلاسفة القدماء، لم يكن يتعلق فقط بالبحث عن الفلسفة ومناقشتها وتعليمها بقدر ما يتعلق بعيش حياة المرء بأكملها بطريقة معينة - فلسفيًا - وحث الآخرين على عيشهم أيضًا بنفس الطريقة.

نحن ندرك جيدًا الآن هذا البعد للفلسفة القديمة، وهذا بفضل جزء كبير من أعمال الباحث الفرنسي بيير هادو (Pierre Hadot) في الستينيات، المتخصص في أفلوطين والأفلاطونية الجديدة. بالنسبة له، إنه ماهية كل الفلسفة القديمة، منذ أصولها الما قبل

سقراطية حتى نهايتها، مع آخر الأفلاطونيين الوثنيين في القرن السادس الميلادي .2. ومع ذلك، فإن استنتاجاته مبالغ فيها. من الواضح أن سقراط، أو بالأحرى صورته كما انعكست في أعمال أفلاطون وكزينوفون (Xénophon) ومؤلفو الحوارات السقراطية الآخرين، الذين الذين عرفوه وعاشروه، هو الذي شرع في التطوير السابق للفلسفة القديمة كطريقة للحياة، والذي رسم له الخطوط العريضة 3. على أي حال، فإن الشخصية الفلسفية لسقراط الذي يعيش حياة فلسفية، كما تعكسها كتابات السقراطيين على وجه الخصوص، لعبت بلا شك دورًا حاسمًا في الأهمية التي كان لها هذا المفهوم في الفلسفة خلال الفترة الهلنستية، وفي وقت لاحق أيضا في الفلسفة القديمة. في الآونة الأخيرة، جعل ألكسندر نيهاماس (Alexander Nehamas)، في كتابه "فن العيش" (The Art of Living)، من شخصية سقراط أحد هذه النماذج الفلسفية. ربط نيهاماس سقراط بمونتين ونيتشه وفوكو، حيث يمارسون جميعًا نوعا من "فن العيش" من خلال أعمالهم الفلسفية، المكتوبة أو حتى الشفوية؛ يظهر كل واحد منهم كشخص غير عادي او استثنائي، فرد متميز، "ذو شخصية غير عادية وفريدة من نوعها، والتي تجعله سماته ونمط حياته متميزًا عن بقية العالم وتجعله شخصا بارزا ومشهورا لا يُمكن نسيانه، ليس فقط بسبب ما فعل أو قال، ولكن أيضًا لما كان عليه "

- أولا – مفهوم المدرسة السقراطية:

نسمي الفلاسفة السقراطيون، كل الفلاسفة الذين ألهمهم سقراط أو كانوا من تلاميذه المباشرين، يميز أفلاطون نفسه عن الآخرين الذين تم تجميعهم تحت اسم السقراطيين الصغار. بصورة موسعة، نتحدث عن المدرسة السقراطية للإشارة إلى ميراث هؤلاء الفلاسفة. تأتي أهمية هذه المدارس متأتية من حقيقة كونها أعدت لظهور التيارات الفلسفية الهلنستية العظيمة، مثل الرواقية (stoïcisme) أو الأبيقورية (l'épicurisme). ما عدا القورينائية (cynisme)، اختفت المدارس السقراطية الصغيرة بسرعة.

نقصد بالسقراطيين مجموعة الفلاسفة الذين ارتبطوا بسقراط وديًا والذين تأثروا بنموذجه. هؤلاء هم أفلاطون، وكزينوفون، وإيسكين/ إيشين (Eschine) (ليتم تمييزه عن الخطيب الذي يحمل نفس الاسم)، وفيدون (Phédon)، وإقليدس (Euclide)، وأنتيستينيس (Antisthène)، وأريستيبوس أو أرستيب القورينائي (Aristippe). وعلى الرغم من

ارتباطهم المشترك بشخصية سقراط، فإننا نلاحظ التباين الشديد في المناهج أو المدارس التي أسسها هؤلاء الفلاسفة. "يربط التاريخ باسم سقراط، الذي منه تحدر تيار فلسفة التصور، طائفة من المدارس المعاصرة توصف جميعها بالسقراطية (...) تلكم هي المدرسة الميغارية التي أنشأها إقليدس الميغاري، والمدرسة الكلبية التي تزعمها انتستانس، والمدرسة القورينائية التي أسسها أرستبوس القورينائي "[82].

سنترك أفلاطون جانبًا هنا. كزينوفون Xenophon (حوالي 430-355 قبل الميلاد) هو السقراطي الآخر الوحيد الذي حفظنا أعماله. ثلاثة منها مخصصة لسقراط، ولا سيما المذكرات: يقدم كزينوفون حياة سقراط كرد على الاتهامات الموجهة إليه أثناء محاكمته. إن النموذج الأخلاقي لسقراط واعتباره مثالا يحتذى به (l'exemplarité) هو ما تم تثمينه: فهو يثني على اعتداله وتحمله، ولكن قبل كل شيء قدرته على خدمة مواطنيه من خلال أقواله وأفعاله؛ بالتكيف مع محاوريه، يُظهر سقراط للجميع السلوك المطلوب ليكونوا على قدر المهمة. الفلسفة هي خدمة "مدنية". في أعمال أخرى، يعالج كزينوفون Xenophon مسألة فن الحكم: في هيرون (Hiéron)، يتساءل عن سعادة كل من الطاغية والفرد. يصف الطاغية هيرون سوء حظه في حوار مع الشاعر سيمونيدس (Simonide): القوة الاستبدادية تجلب القليل من الملذات حتى بسبب وفرتها، فهي تحرمه من مباهج الحب لأن هذا الشعور لا ينشأ إلا من الرضا، وهو يحرم الشرف لأن الطاغية هو باستمرار تملقه من قبل الرجال العبيد ...

تشير السقراطية في الفلسفة إلى كل ما هو متعلق ومرتبط بسقراط أو ما هو خاص به. الجدل والحجاج، الروح، الطريقة/المنهج، الفكر، الفلسفة السقراطية. الصيغة السقراطية الشهيرة: "لا أحد شرير باختياره أو عمدًا"، ولتي غالبًا ما يتم إدانة طابعها المفارقي دون فهمها أبدًا. الحكمة السقراطية تتحدى كلاً من معرفة الذات ومعرفة العالم، وينتهي بها الأمر إلى الإعتراف بالجهل.

♦ **الحب السقراطي.** بالرجوع لأخلاق سقراط المفترضة، حب الرجل البالغ للصبيان الصغار "، مرادف اللواط والشاذ جنسيا.

---

[82] إميل برهييه، **تاريخ الفلسفة (الجزء الثاني) – الفلسفة الهلنستية والرومانية** –، ترجمة: جورج طرابيشي، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت/لبنان، ط. 2، 1988، ص. 5.

♦ **الشيطان السقراطي.** يعبر عن عبقرية سقراط الملهمة. الشيطان السقراطي، العبقرية التي ألهمت هوميروس أو شكسبير، من العبث أن نرغب في تعريفه بمثل هذه المجموعة أو تلك من الملكات: إنه غير قابل للتحديد ومتمرد وغير قابل لأي تفسير عقلاني.

♦ **الحوار السقراطي.** نقصد به محادثة مناسبة لإبراز التناقض وهادفة لتبيين بهتانها وقيادة المحاور إلى الحقيقة. يرادفه المنهج التوليدي (maïeutique). مثلا نقول: يجمع باسكال (...) بأحرفه الصغيرة (...) بين البلاغة والبراعة والمرح؛ يتحدث المرء في جميع الأوقات عن أفلاطون والحوار السقراطي بخصوصه.

♦ **المعادلة السقراطية.** تعني معادلة المساواة بين العقل والفضيلة والسعادة.

التهكم السقراطي *. المفارقة السقراطية *.

في تاريخ الفلسفة، السقراطيون (بصيغة الجمع) هم الفلاسفة الذين سعوا إلى اتباع تعاليم سقراط: أفلاطون، كزينوفون، أرسطو.

^ **السقراطيون الصغار.** وهم مؤسسو المدارس الفلسفية مثل الميغاريين Megarics (إقليدس)، والكلبيين (Cyniques) أمثال أنتستنيس (Antisthène) وديوجين (Diogène)، والقورينائيين (Cyrénaïques) بمثل أرستيب القورينائي (Aristippus).

السقراطيون الكبار. أمثال أفلاطون وأرسطو.

الحلقة السقراطية

في البداية، نجد الحلقة السقراطية، أي كل تلاميذ سقراط المباشرين. أفلاطون يسردهم في فيدون[83]: وهم خمسة عشر (15) شخصًا.

" إخيكراطيس: ومن حدث وكان موجودا إلى جانبه (سقراط) يا فيدون؟ فيدون: من نفس المدينة، كان هناك كان هناك أبوللودروس هذا وكريتوبولس وأبوه [أقريطون]، وكذلك هرموجينيز وأسخينيز وأنتستينيز. وكان هناك أيضا كتسيبوس من حي "بيان" ومنكسينوس، وعدد غيرهم من أهل المدينة. أما أفلاطون، فأعتقد أنه كان مريضا. إخيكراطيس: وهل كان هناك غرباء حاضرون؟ [ج] فيدون: نعم، فقد كان هناك سيمياس من طيبة وكيبيس وفايدونيس، ومن ميجارا أوقليدس وتربسيون. إخيكراطيس: كيف؟ ألم يكن أرستبس وكليومبروتس حاضرين؟ فيدون: أبدا، لأنه يقال إنهما كانا في إيجينه "[84].

---

[83] 59b.

[84] أفلاطون، **فيدون (في خلود النفس)**، ترجمة: عزت قرني، دار قباء للطاعة والنشر والتوزيع، القاهرة/مصر، ط. 3، 2001، ص. 112-113.

المدارس السقراطية:

لم يكن كل أصدقاء سقراط من الفلاسفة المهنيين؛ ومن بين الذين كتبوا، لا نعرف من أعمالهم إلا أفلاطون وكزينوفون. بالنسبة لأولئك الذين يطلق عليهم اسم "السقراط الصغيرون" بشكل غير منصف، لدينا فقط معلومات بائسة، وحكايات مشبوهة، وعناوين قليلة لأعمال ذات أصالة غير مؤكدة في بعض الأحيان، وفي أحسن الأحوال بضع الشذرات. من الصعب التعرف عليهم جميعًا على أنهم التقليد اللاحق، وهم حريصون على إعادة ربط كل المدارس الفلسفية في العصور القديمة بسقراط بشكل مباشر، وقدموا لهم عن طيب خاطر أفكارًا لم يكن من الممكن أن تتبلور وتتشكل أو تحدد لها الخطوط العريضة إلا مع خلفائهم المباشرين إلى حد ما. وحتى وإن كانوا مختلفين تمامًا عن بعضهم البعض في مذاهبهم وطريقة حياتهم، وغالبًا ما كانوا معاديين وخصوما لبعضهم البعض، فإنهم يرمزون إلى الجوانب الجزئية للسقراطية، وأصبحوا مستقلين؛ إن تشتتهم ذاته يشهد على الوحدة الغريبة لمعلمهم المشترك.

دعونا نذكر على الأقل إقليدس الميغاري (Euclide de Mégare)، الذي اجتمع فيه تأثير سقراط مع تأثير بارمينيدس (Parménide) وزينون الإيلي (Zénon d'Élée)، الذين يعتبر خلفاؤهم الميغاريين (mégariques)، أقوى ديالكتيو العصور القديمة، طلائع المنطق الرواقي؛ وأنتيستين (Antisthène)، تلميذ السفسطائيين الذين تغلب عليهم سقراط في وقت متأخر، والذي احتفظ منه بالزهد الأخلاقي بدلاً من الشغف الفكري، وبالتالي فتح التقليد الكلبي (cynique)، الذي دفع تلميذه ديوجين (Diogène) إلى حد أن أطلق عليه أفلاطون، "سقراط الذي أصبح مجنونا"؛ أرستيب القورينائي (Aristippe de Cyrène)، مؤسس خط المتعة (hédoniste)، الذي تعلن نزعته الإنسانية المتشككة والمبتسمة هوراس (Horace) ومونتاني (Montaigne)؛ فيدون من إليس (Phédon d'Élis)، الأخلاقي قبل كل شيء، الذي سيقترب تلميذه ميندم (Ménédème) من الميغاريين. مكانة خاصة ترجع إلى إيشين من سفيتا (Eschine de Sphettos)، الذي لم يضعه القدماء في أصل أي مدرسة فلسفية، ولكن حواراته السقراطية كانت لـ [...]

المدارس التي انبثقت عن المبدأ السقراطي طبقته بطرق مختلفة وجزئيًا:

لم يمثل الكلبيون (Cyniques) وهم الأكثر جدارة بالثناء سوى بطولته الأخلاقية فقط. يُعتقد أن هؤلاء الفلاسفة، الذين سموا بهذا الاسم، المشتق من الكلمة اليونانية ((cyon، cynos))، التي تعني الكلب، لأنهم تحدوا اللباقة الاجتماعية، وكان أنتستين (Antisthène) من أثينا زعيمهم. وأكدوا أنه لا ينبغي أن يخجل المرء إلا مما هو إجرامي؛ لقد كانوا يكنون ازدراء واحتقارا كبيرا للزينة والثروة والفنون والعلوم؛ كانوا لا يرتدون سوى معطفًا ممزقًا، وعصا وحقيبة. الشخصيات الرئيسية لهذه الطائفة ، بعد Antisthenes ، هم كراتس او إقراطس الطيبي (Cratès de Thèbes)، و ديوجين (Diogène) وميبوس (Ménippe). وقد اندمجت هذه الطائفة في طائفة الرواقيين (Stoïciens).

أخذ القورينائيون (Cyrénaïques) من سقراط إحساسه العملي بالحياة. وقد كان قائدهم أريستبوس القورينائي. علموا أن الإنساني يجب أن يعيش فقط من أجل اللذة والمتعة. ومن هنا فإن اللامبالاة الأخلاقية هي التي يبدو أنها ميزت عقيدتهم؛ ومن هنا أيضًا، إنه بين أولئك الذين اعتقدوا أن طبيعتنا لا تستطيع بلوغ اللذة الكاملة، احتقار الحياة. باختصار، كان للمدرسة القورينائية أهمية قليلة، وقد طغت عليها الأبيقورية تمامًا، والتي، من خلال تبني نفس مبادئ الأخلاق، جعلتها تدخل في نظام لجميع الأجزاء التي ترتبط ارتباطًا وثيقًا بها.

لقد استعار الميغاريون من سقراط ديالكتيكه (الجدل)، لكن كل ذلك بمبالغة. تأسست هذه المدرسة من قبل إقليدس الميغاري (Euclide de Mégare) وستيلبون (Stilpon). اهتمت المدرسة الميغارية خصوصا بالمنطق والميتافيزيقا، وفي المنطق؛ أعطت الأفضلية للديالكتيك، الأمر الذي أعطى للميغاريين لقب المرائيين (éristiques) (المتنازعون)، لأنهم تسببوا في انحطاط علم المنطق إلى نزاع. لذلك كانوا مرتبطين بالسفطائيين والإيليين. مثل هؤلاء، رفضوا يقين الحواس، معتبرينها مخادعة، وأرادوا العودة إلى العقل فقط. أدى هذا المبدأ المنطقي بالضرورة إلى نفي الحركة، والتغيير، والتعددية، وتأكيد الثبات. هذا ما فعله الميغاريون. المبدأ الذي يخصهم في حد ذاته هو تحديد الكينونة والخير، وهو مبدأ تبنته فيما بعد مدرسة الإسكندرية. وقد احتلت الأخلاق مكانة صغيرة في مدرسة ميغارا؛ لكن الرواقيين استعاروا منه بعض الأقوال المأثورة، من بين أقوال أخرى من ستلبون: "الخير يكمن في عدم القدرة على الحركة".

مدرسة إليس (Elis) أو إريتريا (Erétrie)، التي سميت على هذا النحو من ممثليها الرئيسيين، فيدون (Phédon) من إليس وميينيديم (Ménédème) من إريتريا، والتي كانت مجرد فرع من مدرسة ميغارا. لقد دعت إلى التساؤل عن الواقع الموضوعي لأفكار محددة، وإمكانية الوصول إلى أي مفهوم من خلال الأحكام التركيبية. ينظر إليها على أنها سارت بأمانة على خطى المعلم (سقراط)؛ ربما لأن هذه المدرسة لم تترك سوى القليل من الآثار في التاريخ.

أفلاطون وأرسطو

أعاد أفلاطون وأرسطو إنتاج الفلسفة السقراطية في طريقتها/منهجها ومبادئها الأساسية. نجد عندهما الروح النقدية، التي لم تكن شكوكية/ريبية، والتي ميزت بعناية الرأي عن العلم، وهما أمران تخلط بينهما الريبية بسهولة. يفضل أفلاطون أن يرتبط بالأفكار العقلانية عن الجميل والصحيح (الحق) والخير والعادل، والتي تركها سقراط تنفذ في تعاليمه.

-1- مَن هُو سقرَاط؟ ومَا الذِي نعرفه عنه؟ **لا يوجد جوابٌ نهائي يمكِن الوثُوقبه**. وذلك لأن الروايات حولَ شخصِية **سقرَاط** متعددَة ولا سبيل لترجيح هذَه الروَاية عن تلك، ففي الوقْت الذي يقدّم لنا **أفلاطُون** (أشهر تلاميذ **سقراط**) صورَة **سقراط** الموحى إليه من الآلهة بأن يحض مواطنِيه على الاهتمَام بتحسين أرواحهم، فهو لا يهتم إلا بالحكمَة الإنسَانية، ويعلمُ على طريقته وليس على طريقة **السفسطَائيين**، أي بلا أجر، وعلى منهج لا يقُومُ على التلقِين بل علَى الوصول الذاتي إلى معرفَة النفس وإلى معرفة الحقيقَة. وعلى النقيض من هذه الرواية الأفلاطونية نجد صورة مختلفَة تمامَا في مسرَحية **"السحب"** [*يمكنك تحميل النسخة الإنجليزية من هنا*] **لأرسطوفان** (أرستوفانيز) حوالي 423ق.م، حيث يظهرُ سقرَاط في هذه المسرحية محاولا النفاذ إلى أسرار السمَاء وما تحت الأرض (كتلميذ للطّبيعيين)، وقادرًا على قلب الموقف الضعيف إلى موقف قوي ومعَلما الآخرين كيف يفعلون ذلِك (*تمامًا كالسفسطائيين*). بالإضافة إلى **أفلاطون** و**أرسطوفان** هناك رواية **إكزينوفان** الذي يحدثنا عن**سقراط** باعتباره رجلا تقيا يعتقد في الآلهة ويقوم بواجباته الدينية (*على عكس ما زعمته عريضة الإتهام أثناء المحاكمة*). وهو في سلوكه معتدل يكره العنف، ويستخدم الإقناع وقادر على النفاذ إلى شخصيات البشر وعلى الحكم عليهم حكما نافذا. وهكذا

فسقراط أعدل البشر وأكثرهم اعتدالا وفضيلة، وهو أفضلهم. وقريبة من هذا التصور كانت صورة سقراط عند أتباعه "الكلبيين" الذين نقلوها إلى خلفائهم **الرواقيين**، والتي شاركت أعظم المشاركة في تكون نموذج الحَكيم الذي سيحتل مكانَة رئيسية في **الأخلاق الرواقية**. وقريبة منها أيضًا كانت الصورة التي نقلها إلينا جَامع الآراء ديوجين اللايريتي، وهذه هي خصائص **سقراط** عند هذا المؤلف: صلاَبة الشخصيّة، الإعتدَال في المأكل والمشرَب، عزّة النفس، التواضع وغيرها.

ولكن أسطورة **سقراط** لم تكن دائمًا أسطورة إيجَابية ترى فيه نمُوذجًا للحكمَة، بل كانت عندَ البعض الآخر صورة أسطورة سَلبية، رأينا منها نسخَة **أرسطوفان**، وهناك صور سلبية أخرى تقدّم سقراطً جَاهلا بلا تربية، مرابيا فاسقا، ومتزوجا من اثنتين. هذا التيار نجده أيضا عند بعض الروَاقيين وعند بعض الكتاب في الحضارة المسيحية وحتى **نيتشه** الألماني.

إن "*سقراط عامي جاهل، لم يصلح بعصاميته ما أفتقده من تعليم في حداثته. وهو قبيح منتهى القبح، ومحبٌّباعترافه بانفعالات بالغة العنف... وهو أول من تفلسف حول الحياة، وجميع المدارس التي انبثقت عنه هي أولا فلسفات للحياة. حياة يسيرها الفكر ! الفكر يخدم الحياة، بينما كانت الحياة لدى جميع الفلاسفة السابقين تخدم الفكر والمعرفة، الحياة النزيهة هي الهدف لدى سقراط، أما لدى الآخرين فالهدف درجة رفيعة من المعرفة الصحيحة. وعلى هذا النحو، فإن الفلسفة السقراطية عملية بصورة مطلقة، إنها تناصب العداء كل معرفة لا تقترن بأفاعيل خلقية. إنها برسم استعمال المجموع، شعبية، لأنها تعد الفضيلة قابلة لأن تتعلم. وهي لا تتوجه إلى العبقرية ولا إلى الملكات العليا للعقل.*" **[نيتشه]**.

أما في الحضارة المسيحية فقد رأى بعض **"آباء الكنيسة"** في **سقراط** سلفا لهم، واعتبروه "شهيدا قبل الأوان". وفي عصر "النهضة" وعصر "الإصلاح" في تاريخ الحضارة الغربية يصبح **سقراط** "قدّيسا" إلى جانب " القديس" **أفلاطون** عند **إرازموس** (*الكاتب الهولندي الشهير*) أحد كبار ذلك الوقت. بل إن اسم **سقراط** أصبح يقرن منذ عصر النهضة باسم المسيح. والطريق أن اصحاب العقل، ومن انتقدوا الكنيسة الكاثوليكية من مثل مجموعة**الموسوعيين**، رأوا في **سقراط** أول ضحية للفلسفة في صراعها ضد "الخرافة" ، وفي نفس الوقت رأى فيه البعض "نفسا مسيحية بالطبيعة" -*هناك أيضا من المسلمين من*

*اعتبر **سقراط** نبيا من الأنبياء غير المذكورين في القرآن-*، "تمْسيحُ" سقراط هذا هو الذي كان وراء هجوم **"نيتشه"** عليه : فحينما أدار **سقراط** ظهره للعالم المحسوس فإنه وصَل إلى عتاب الثنائية المسيحية بين الروح والجسد. وهناك سبب آخر لهجوم عليه، ذلك أن في **سقراط** يتجسد اتجاه واحد من اجاهي الروح اليونانية: ذلك هو الأتجاه **"الأبولوني"**، مبدأ الحياة الواعية، فهو الحكيم الذي يدري كيف يقهر الغريزة بالحكمة، ومعه تنفصل وحدة العنصرين الأبولوني والديونيزيوسي الذي كان اتحادهما في فكر نيتشه سبب خصوبة الحضارة اليونانية حتى عصره، وخاصة في ميدان المسرح. وهكذا انتهى الانسجَام واختفى التوتر الخلاق بين الأضداد، ومعه يبدأ انهيار الحضارة اليونانية، بل إن بعض المؤلّفين ذهب إلى أنّ عقليَته وعقلية **أفلاطُون** ليستا باليونانيتين، بسب الإتجاهات شبه التصوفية فيهما.

وهكذا تتعاقب الأساطير السقراطية. وهي أساطير لأن كلا منها يدعي تمثيل الحقيقة، ولكنها في الحقيقة نتاجٌ لموقفٍ من **سُقراط** يكُون معه فيتخذ منه نموذجا أو ضده فيهاجمه بعنف. وهذه الأساطير هي التي بنت شهرة **سُقراط**وجعلتها تستمر وتحيا، وضمنت له هذا التأثير الكبير في الحَضارة اليونانية وفي الفكر المَسيحي والغربي.

إن اختلاف الروايات حول **سقراط** يفضي بسهولة إلى حالة عامة من الشك، وأسباب اختلاف المصادر الأولى منها الذاتي ومنها المذهبي ومنها ما يخص غرض الكاتب، ولكن هناك سبب أشار إليه بعض المؤلفين وهو سبب يمكن أن يسمى سياسيا: وذلك أن كل "شاهد" ينتمي إلى طبقة اجتماعية ويرى الأحداث من خلال وجهة نظرها. فالذي ينتمي إلى فئة متواضعة من الشعب والرافض للعبودية، كان لا يمكن أن يرى في سقراط نفس الشخص الذي رآه أفلاطون وهو الأرستطقراطي والمحبذ لنظام العبودية. والحل **"العملي"** للخروج من هذا الشك حول **سقراط**التاريخي، هو الاهتمام **بسقراط** كما يظهر عند **أفلاطون** لأن **سقراط الأفلاطُوني** هو الذي أثر في تاريخ الفكر اليوناني ثم الغربي.

من المتفق عليه أن **سقراط** ولد عام 470ق.م. من أب نحات (*سوفرونيسكوس*) وأم موَلّدة (*فينريتي*)، وربما عمل هو نفسه فترة من الزمن نحاتا و لكن يبدو أنه لم يستمر طويلا في هذا العمل. وقضى الفترة الكبرى من حياته يعيش على إرث بسيط لكنه كان يكفيه، من جهة لأنه كان يعيش عيشة أقرب إلى الزهد ومن جهة أخرى لأن الدولة الأثينية كانت تعطي

لمواطنيها بعض المساعدات المالية. وقد اشترك **سقراط** في عدد من الحملات العسكرية الأثينية، وأبلى فيها بلاء حسنا جعله موضع إعجاب القادة العسكريين، كذلك فقد وقع عليه الدور للقيام ببعض المهام السياسية في أحد المجالس الشعبية.

ورد في وصف **سقراط** أنه كان دميما جاحظ العينين أفطس الأنف، إذا مشى ترنح على شاكلة البط. ومما لاشك في أن هذا القبح الطبيعي كان صدمة لليونانيين الذين كانوا يولون الجمال اهتماما كبيرا. وكان هذا القبح صدمة لهم أيضا من حيث تعارضه مع "نفس" **سقراط** الموهوبة بالذكاء والفراسة. هذا التضاد بين قبح الجسم وجمال الروح كان عونا **لسقراط** على جذب الأنظار إليه، بل وعلى التأثير على الشباب الذي كان يزدحم من حوله. وإلى جانب هذا القبح كان **سقراط** لا يهتم بملبسه، وقد أيضا رجلا غريبا، فهو قادر على شرب كميات كبيرة من النبيذ دون أن يثمل، وعلى البقاء ساعات طوالا على الجليد دون أن يكون في قدميه نعل يحميه.

"*ما من أحد رأى قط **سقراط** أو سمعه يفعل أو يقول شيئا فيه تدنيس للمقدسات أو كفر. كما أنه كان يناقش، خلافا لمعظم الآخرين، حولطبيعة الكون، وما كان يبحث كيف ولد ما يسميه الفلاسفة العالم*" **[كزينوفان]**.

أما عن صفاته الأخلاقية والعقلية فيقال أنه كان قوي الشّخصية، متواضعا عزيز النفس، يرفض ما زاد عن الحاجة. وقد كان ذا قدرة فائقة على التحليل العقلي وعلى النقاش بوجه عام، متفتح العقل أمام كل فرصة، وكثيرا ما يعود إلى نفس الموضوع مرة ومرات، قادرا على الحديث مع الكبير والصغير، العالم والصانع، وذلك في كل الموضوعات المتصورة.

-2- المنهج السقراطي:

لقد أشرنا في ما سبق إلى مسألة اختلاف الروايات حول شخصية **سقراط** الحقيقية، وقلنا أن الحل العملي هو دراسة شخصية **سقراط** كما عرفنا عليه **أفلاطون**، وفي هذا الموضوع سنتعرف على مفهوم مهم في فلسفة **سقراطو** هو" **المنهج السقراطي**".

إن الطريقَة السّقراطية في التفلسُف تقومُ عَلى **الحِوار**، حيث يرَى **سقرَاط** أن **الحوَار هو الطرِيقة المثلَى لبلوغ الحقيقَة**. وهكذَا يتميز **سقرَاط** عن الفَلاسفة الطبيعيّين، الذينَ اعتمدُوا

على الكتَابة، في حين اعتمدَ **سقراط** على الاتصال المُباشر بين النفوس، كما تميز **منهج سقرَاط** عن منهج السفسطائيين القائم على الإلقاء والتلقين.

و**الحوَار السقرَاطي** يقوم عَلى افتراض هام ذي شقين، هو أن **الحقيقة موجودة** وأن **المعرفَة ممكنة**. وفي لقاء **سقراط** مَع مدّعي حيازة معرفَة الحقيقَة هذه يبدَأ بافتراض أنّ معرفتَهم هي المعرفَة الحقيقية، ثم ينتقلُ ابتداء من هذا الفرض إلى فَحص نتائج هذه المعرِفة المدّعاة، التي لن تصبحَ حقيقيةً إلا إذَا اتفق عليها الطّرفان، بحيث أن أحد أهدَاف **المنهج السقرَاطي** هو الوصُول إلى الوضُوح الذاتي لدَى الأطرَاف المتحاورَة، أي وعيُهم المُقام على أساس عقلِي بأن معرفتهُم هي الحقيقَة، وهذَا الوضوح الذَاتي هو في المَحل الأول معرفَة الفرد لذاته تطبيقًا لمبدَأ ***"إعرف نفسَك بنفسِك"***.ويجب أن نلاحظَ في هَذا ثورةً صغيرة، لأن الحكمَة التقليدية تقوم على التلقين والتلقي، كذلك فإن هذا المبدأ هو تأكيد لأهمية الفرد.

المرحلَة الأولى من مراحل **الحوَار السّقراطي** هي مرحلَة وضعِ المشكلَة وضعا دقيقًا، وعادة ما يكون ذلك على صيغَة: "ما هُو؟". و**الثانية** هي الوصُول إلى إجابَات متَتابعَة عن السّؤال، وهيَ الفروض التي يقُوم سقراط بفحصها واحدًا وراء الآخر مبينا التناقضَات التي تقوم عليهَا أو تلك التي تؤدّي إليهَا، و**المرحَلة الثالثَة** هي بصفَة عامة التفنيد الأخير والشعور بالجهل عندَ المتحدّث.

ومن المؤكّد أن المرحلَة الثانية هيَ أهم المراحِل الثلاث، فمَا هو موقف سقرَاط أثناءهَا؟ يمكن تلخيص موقفه في عبَارتين : الأولى تتمثل في **إعلاَن الجهل** حيث يقول **سقرَاط** في محَاورة " الدفاع" أنه لا يعرف شيئا، رغم أنه يعترفُ أن من يسمعونه يظنون أنه يعرف الحقيقَة بخصوص المسائل التي يتناقش فيها مع الأثينيين، وعدم تصديق معاصريه له يثير سؤالاً هاما: هل جهل **سُقراط** حَقيقي أم مُتصنّع؟ من الصعب الإجابة عن هذَا السؤال، لكن الأهم هو أن قول سقراط بالجَهل له وظائف منهجية منها: - أنه ييسر البحث المشترك في المسائل المعروضة، وإلا تحول الأمر إلى تلقين وتلقّ. - أنه يسمحُ بالنظَر في كل الفروض الممكِنَة، مما يوسعُ دائرة البحث و يكشف أكثر عن معارف الطرف الآخر. - أنه يولدُ لدى الطرف الآخر وهم أن النتائج التي يصل إليها الطرفان إنما توصل إليها هو نفسه، وليس **سقراط** الذي يكتفي بالسؤال والإعتراض ثم بالسؤال من جديد. العبارة الثانية هي

التّهكم هذه الكلمة (التهكم) مترجمة عن الكلمة اليونانية eironia وهي لا تعني في الحقيقة غير "التظاهر"، بحيث أن المعنى الدقيق **للتهكم السّقراطي** هو "*التظَاهر بقبول رأي الطرف الآخر ثم جذبه إلى الحديث ثم فحص متضمنات هذا الرأي و الوصول به إلى نتائج ا يقبلها العقل*"، وهناك نص مهم بهذا الخصوص هو نص 337 أ من الكتاب الأول من الجمهورية، وفيه يقول المتحدث مع سقراط: "*يا إلهي ! تلك هي طريقتك المميزة في التهكم وادعاء الجهل يا سقراط. ألم أتكهن بذلك منذ البداية ؟ ألم أخبر الباقين بأنك إذا ما سئلت ترفض الإجابة وتدعي الجَهل وتفعلُ كلّ شيء إلا أن تقدّم جوابًا؟*" إذن فالتهكم السقراطي مرتبط أشد الارتباط بادعاء الجهل، وهو لا يحمل معنى **"السخرية"**، ورغم هذا فما من شك أن سقراط كان يسخر أحيانا من المتحدّثين معَه.

وأهم مظاهر هذه السخرية تظاهر سقراط بثقته في "حكمة" الطرف الآخر، واستعداده للتعلم منه ثم وضعه أمام أسئلة محرجة تضطره إلى إعلان عجزه (*ما فعله مع أوطيفرون مثلا*).

أمّا عن مَوقف **سُقراط** في أثناء المرحلة الثالثة، وهي مرحَلة التفنيد والشعور بالجَهل عند المتحَدث، فإنه يبدو موقفا أخلاقيا أساسا، إذ أن هدفه هو فيما يبدو تطهِير نفس المتحَدث مِن أوهَام المعْرِفة.

ويمكِن القول أن تأثير **سقرَاط** الأكبر على معَاصريه كانَ، قبل كلّ شيء، **تأثيرًا منهجيا**. ويظهرُ هذَا بوضوح من شهادَة ارسطو التي تنظر إلى سقراط تحت ضوء منهجي خالص. يقول أرسطُو: "*سقراط عنى بدرَاسة الفضَائل.. وقد بحث سقراط عن الجوهر، وكان هذا طبيعيا لأنه حاول التفكير منطقيًا، ونقطة البدء في كل تفكير منطقي (في القيَاس) هي الجوهر.. وهناك اكتشافان يمكِن نسبتهما بحق إلى سقرَاط: التفكير الإستقرائي و التعريف الكلي، وكلاهما من بين مبادئ العلم.*"

-3- محاكمة سقراط:

لقد كان الحدَث الأهَم والأكثَر تأثيرًا في حَياة **سقرَاط** هو محاكمتُه وإعدَامه. لقد عاشَ فاحِصًا ناقدًا ومنبّها الأثينيين إلى أن ما يدعون معرفَته ليس معرفَة حقيقية، وإلى أن القيم التي

يؤسسون عليها حياتهم ليس هي القيَم لأولى بالإتباع، ومن هُنا كانت ضرورَة أن يحدث صدَام عنيف بينَه وبين المجتمَع الإثيني، فكانت محاكمتُه وإعدامه.

تقدم لاتهام **سقراط** ثلاثة من خصُومه، أنيتوس أحد زعماء الديموقراطية وكان شديد الحقد على سقراط لاعتقاده أنه أفسد عليه إبنه، وملیتوس شاعر خامل، وليقون أحد الخطباء. وقد جاء في الاتهَام الرسمي والذي نقله أفلاطون في **محاورة الدّفاع** " :سقراط مُذنب لأنه يفسد الشبَاب، ولا يعتقد في الآلهة التي تؤمن بها المدينة" و هو اتهَام ذو شقين، سياسي وديني. ويظهر بالفعل أن **سقراط** لم يكن يعتقد في الآلهة التقليدية، ولكن نصوص كثيرة تشير إلى أنه كان يعتقد بإله حيث كان كثيرا ما يتحدث عن " الاله" بالمفرد أو عن الألوهية. أما الشق الأول من الاتهام، الشق السياسي منه، فهو أخطر كثيرا. وإن كان هذا الاتهام يركز على إفساد عقول الشباب الذين سيصبحون مواطنين و تكون لهم كلمتهم في جمعية الشعب، فالاتهام الحقيقي وراء هذا الاتهام الرسمي هو "معارضة **سقراط** للنظام الديموقراطي"، حيث أن **سقراط** كان يفضل طريقة الحكم الأرستقراطية التي كانت تتبعها إسبرطة، فقد كان معجبا بها و يشيد بدستورها، و كانت له اعتراضات على النّظام الديمُقراطي، أهمها أنه نظام يسمح بأني صل إلى الحكم أي فرد من أفراد الشعب، وبأن يصعد الحدادون والتجار الى منصة الجمعية العمومية ليدلوا بآرائهم في أمور لا يفقهون فيها شيئا، وَلكنها مع هذا أهم الأمُور البشرية : العَدالة والحَرب والسّلام. والشخص الوحيد الذي يجِب أن ينْصت له الشعب وأن يطيعَه هو ذلك المتخصّص في تلك الأمور، وهو نقد يُعادل في الحَق هدمًا لأهم أسُس النّظام الديمقراطي. لهذا فما إن عاد الحزب الديمقراطي إلى الحُكم، بعد سقوط كم الطغاة الثلاثين الذي أعقب إستسلام أثينَا أمام إسبَرطَة، حتى أسرَع بعض زعمائه، في عام 399 ق.م، إلى تقديم **سقراط** إلى المُحاكمة حتى " ينتهوا منه" ومن "ثرثرته" التي لم تنقطع خلال الثلاثين عاما السابقة، خاصة وأن البعض منهم كان يعتبر **سقراط** صديقا، إن لم يكُن أستاذًا، لعدد من هؤلاء الطغَاة الثلاثين، فكانت محاكمته، التي تحكي لنا عنها محاورة **"الدفاع"** وكانت إدانته والحكم عليه بالأعدام محاورة **"أقريطون"** ورغم أن تلاميذَه مهدوا له أسباب الفرَار لكنه رفَض بإباء و شهَامة، لأن عليه أن يخضع لقوانين المَدينة التي عَاش فيها و أخلَص لهَا طوال حَياته، فكَان موته في مغرِب

أحد الأيام في سِجن من سُجون أثينا، والذي يصِفه لنا أفلاطُون في عبارات مؤثرة أشد ما يكون التأثير في محاورة " **فيدون**" التي تقول آخر عبارة فيها: " هذه كانت نهاية صديقنا الذي نستطيع أن نقول عنه أنّه كان، من بين من عرفنا من رجال هذَا العصر، أفضلَهم و أحكَمهم و أعدلهم."

الخاتمة:

في الختام، إذا أردنا البحث عن أصل التقليد اليوناني للفلسفة بوصفها أسلوب حياة، فإن سقراط هو الذي يجب أن نتجه نحوه. لأول مرة، كانت حياة الفلسفة - الفلسفة نفسها كطريقة للعيش - هي ما اختبره وعاشه سقراط، وفقًا لمحاورات أفلاطون (والحوارات السقراطية الأخرى). لقد كرس حياته لرعاية روحه والاعتناء بها. لقد كانت تتمثل في التفلسف بشكل دائم ومستمر، أي العمل على المناقشة والفحص النقدي لآراء الآخرين وآرائه الخاصة حول الحياة البشرية وأفضل طريقة لعيشها. كان الغرض والهدف من هذه الحياة هو جعل العقل، وليس التقليد، عادة، "ما يبدو جيدًا" أو "ما يبدو صحيحًا"، دليل ومرشد جميع السلوكات، وجميع الطرق، أو أساليب عيش الحياة. هذه الحياة كانت أيضًا حياة التزام: هي العيش بشكل فاضل، أو على الأقل بقدر استطاعة الإنسان، من خلال تقديم دعمه لمعايير جميع الفضائل التقليدية، والعدالة والتقوى والاعتدال والشجاعة، وذلك من خلال فحصها وبفضل تبريرها الفلسفي، وهذا ينطبق على جميع الأعمال.

إن ما يشكل الفلسفة السقراطية لا يتمثل في نظام/نسق، ولا حتى في مدرسة معينة. بالتعارض مع المدارس السابقة والسفطائيين، غيّر سقراط موضوع الفلسفة، من خلال تركيزه على معرفة الإنساني أكثر من معرفة العالم، عن طريق إحلال الفلسفة العملية عوض التأملات العقيمة؛ طريقته/منهجيته، استبدال التأكيد الجريء وغير المدعوم للفلاسفة الأوائل والاستنتاجات السفسطائية بالملاحظة والتحليل والاستقراء. نضيف إلى ذلك فكرة إقرار القانون الأخلاقي بعد الموت، سنحصل على فلسفة سقراطية. إن ما يميزها عن المدارس السابقة هو قبل كل شيء طابعها الأخلاقي: فالحكيم، حسب سقراط، لا يتعامل إلا مع طبيعته الأخلاقية، ويستشير نفسه فقط لمعرفة ما هو صحيح ويفعل ما هو صواب.

ستمتد المدرسة الأبيقورية والمدرسة الرواقية في بعض النواحي إلى الفلسفة السقراطية. في الواقع، يُحيي هذا الشخص كل الفلسفة اليونانية، التي هو مؤسسها بطريقة ما، تمامًا كما نجد روح ديكارت حاضرة في قسم كبير من الفلسفة الحديثة.

المحاضرة التاسعة المدرسة الأفلاطونية

الأكاديمية (L'Académie)

يطلق اسم الأفلاطونيون (Platoniciens) على الفلاسفة الذين اتبعوا مذاهب أفلاطون. المدرسة الفلسفية التي أسسها أفلاطون في أثينا حوالي 388 قبل الميلاد، والتي يمثلها خلفاؤه المباشرون والتي أخذت اسم الأكاديمية بشكل خاص. أخذت اسمها من حديقة كانت في الأصل مملوكة لأكاديموس (Académus)، والتي كان يعطى فيها أفلاطون دروسه.

هؤلاء، كما يقول شيشرون، الذين استمروا في التجمع والتحدث في الأكاديمية، وفقًا للعرف الذي وضعه أفلاطون، أخذوا اسمهم من هذا المكان.

هذه هي الطريقة التي تم تناقل هذه التسمية على التوالي، في مدرسة سبوزيبوس (Speusippe)، ابن شقيق وتلميذ أفلاطون المباشر، والمعروفة باسم الأكاديمية القديمة (Academia vetus)؛ وفي مدرسة أرسوسيلوس (Arcésilas) ، أو الأكاديمية الوسطى (Academia media)؛ و في مدرسة كارنياد (Carnéade) أو الأكاديمية الجديدة.(Academia nova)

ويضيف بوييه (Bouillet) أن البعض يعترف بأكاديمية رابعة أو خامسة يرأسها فيلون (Philon)وأنطيوكوس .(Antiochus) اقترب هؤلاء من مذهب أفلاطون الحقيقي، وحاولا التوفيق بينه وبين الرواقية.

الأكاديمية القديمة:

يبدو أن الأكاديمية القديمة، في شخص اسبوسيبوس (Speusippus) وزينوقراط (Xenocrates) وبوليمون (Polemon) وقراطس (Crates) وكرانطور (Crantor)، قد اتبعت التقليد الأفلاطوني بأمانة إلى حد ما. ومع ذلك، تم انتقاد اسبوسيبوس وكزينوقراط لأنهما أنزلاه وأرجعاه إلى الأفكار الفيثاغورية. الرأي الوحيد ذو الأهمية الذي يبدو أن اسبوسيبوس كان أول من نطق به يتعلق باتحاد العلوم وإمكانية ربطها ببعضها البعض. من خلال الادعاء بأنه من أجل تحديد وتعريف أي شيء بشكل جيد، من

الضروري، بسبب هذا التضامن العالمي، معرفة كل شيء، حتى نتمكن من إعطاء جميع أوجه التشابه وكل الاختلافات في الشيء المعرف، ربما كان اسبوسيبوس قد نسب للعلم شروطا كان من الصعب جدًا تحقيقها، وبالتالي وضع بذور الريبية (scepticisme) التي نشأت وتطورت هناك مع ارسوسيلوس (Arcésilas) في الأكاديمية.

الأكاديمية الوسطى:

إنه بفضل وبمساعدة الشهادات غير المتسقة في كثير من الأحيان من شيشرون، و ديوجين اللائرسي، و سكستوس أمبريقوس و بلوتارك، يجب أن نحاول فهم عقيدة ارسوسيلوس. سواء كان أفلاطونيًا أو متشككًا، ربما كان ذلك تمهيدًا وتحصيرا لتدريس المذاهب الأفلاطونية، التي هاجمها بالشك، ومن خلال نمط مناقشة يذكر بأسلوب وطريقة سقراط، والآراء الدوغمائية للمدارس الأخرى، وبوجه خاص آراء الرواقية، التي ولدت للتو مع زينون من كيتيوم(Zénon de Citium) ، زميله الطالب في عهد بوليمون (Polémon).ومع ذلك، يبدو أن أوضح نتيجة لعادات الجدل هذه قد تم دفعها بعيدًا جدًا، حيث أنه، وفقًا لشيشرون، ذهب أرسيسيلوس إلى حد إنكار أنه يمكن للمرء أن يعرف أي شيء، ولا حتى أنه لا يعرف شيئًا) الجمهورية، I، (12، وأضاف أنه لا شيء مما تدركه الحواس والعقل مؤكد ويقيني .(de Orat) ، III، .(18

الأكاديمية الجديدة:

ما أضافه كارنياد (Carnéade)، مؤسس هذه المدرسة، بشكل ملحوظ إلى شكية المدرسة السابقة، هو مذهب الاحتمالية (Eulogistia) دون الاعتقاد أكثر من ارسوسيلوس في يقين أية فكرة، اعترف كارنياد باحتمالية أو امكانية أكبر أو أقل(piqanon) ، والتي أقر منها ثلاث درجات. إنه بخصوص هذا الرأي، مقارنة برأي البيرونيين، الذين لم يعترفوا حتى بأن بعض الأشياء كانت أكثر احتمالية وترجيحا من غيرها، أصدر مونتاني (Montaigne) هذا الحكم الفردي:

"رأي البيرونيين أكثر صعوبة، وفيما يتعلق بمدى احتمال حدوثه". (مقالات، الكتاب الثاني، الفصل الثاني عشر).

تحت هذا الشكل وإلى هذا الحد والقدر، انتقلت مذاهب الأكاديمية إلى روما، حيث قام كارنياد بتدريسها أولاً، والذي كان جزءًا من البعثة المرسلة عام 155 قبل الميلاد. من قبل الأثينيين، وصلت، عبر كليتوماكوس (Clitomachus) و لاسيد (Lacyde) و فيلون اللائرسي (Philon de Larisse) و أونتيوشوس الأسكلوني (Antiochus d'Ascalon)، إلى شيشرون الذي كان أكثر المترجمين شهرة، والذي، بالإضافة إلى ما يقوله عنها في العديد من الفقرات لكتبه الأخرى، خصص وكرس لها خصيصا كتابه "الأسئلة الأكاديمية(Questions académiques) "، الذي ليس لدينا سوى جزء منه.

- دعونا نضيف أن فلكيو المدرسة الأفلاطونية سجلوا العديد من الملاحظات السماوية التي، فيما بعد، كانت مفيدة لهيبارخوس (Hipparque) وبطليموس (Ptolémée). أشهر علماء الفلك في هذه المدرسة، أدوكسوس (Eudoxus) (409-356 قبل الميلاد)، احتسب عام 365 يومًا 6 ساعات واخترع، كما يعتقد، الساعة الشمسية الأفقية.

المحاضرة العاشرة المدرسة الأرسطية أو المشائية

(péripatéticienne/péripatétique)

المدرسة المشائية هي المدرسة الفلسفية التي أسسها أرسطو عام 335 قبل الميلاد، في مدرسة أثينا.

أخذت اسمها من الكلمة اليونانية القديمة peripatetikós (περιπατητικός، "الذي يحب المشي" او الذي يهوى التجول، كان أرسطو يقوم بالتدريس في مدرسة ليسيوم بأثينا وهو يمشي مع تلامذته.

التيار الفلسفي:

الأرسطية هو مفهوم ضيق، والذي يشير بدقة إلى أرسطو، في حين أن "المشائية" تشير إلى مجموع التيار الفلسفي الذي خلف السيد. نتحدث أيضًا عن "الأرسطية الراديكالية" عندما نعيّن الرشدية اللاتينية والتي نعارضها ونقابلها ب "الطوماوية .(Thomisme) "في الواقع، تحافظ الأرسطية لتوما الأكويني والتوماويين على تعدد الأرواح وخصوصية الروح (الجوهر الفكري) في اتحادها بالجسد (المادي)؛ بالنسبة إلى المشائية، على العكس من ذلك، فإن الروح (الفكرية) إما مادية أو فريدة لجميع البشر، بناءً على مسلمة أن "الروح منفصلة" عن الجسد، وأن الأجناس كونية، أي متطابقة لجميع الناس.

تتميز الفلسفة المشائية بخصوصية اعتبار أن أرسطو اكتشف الحقيقة وكشفها، وأن العمل الفلسفي من الآن فصاعدًا يتمثل في التعليق على أطروحاته وشرحها. ومن ثم بدأ عصر "المفسرين/الشراح" (مع الإسكندر الأفروديسي وثيميستوس على وجه الخصوص)، الذين كانوا يعيدون كتابة مقاطع كاملة لأرسطو وإضافة تعاليق على النقاط الخلافية، مثل مسألة العقل الفاعل في الكتاب الثالث من كتاب الروح لأرسطو. كان أرسطو يلقب بـ "الفيلسوف" في الأطروحات المدرسية في العصور الوسطى، وبالمثل كان إبن رشد يُلقب بـ "المعلق."

اعتقد المشائون أن الروح ليست سوى قدرة - ملكة قادرة على بلوغ كل أنواع الكمال السلبي - وبعد ذلك، بالمعرفة والفضيلة، يصبح من المناسب أن تتحد مع العقل الفاعل، الذي انبثق من الله.

سيكون **تأثير المشائية كبيرًا في الغرب** اللاتيني:

* في أواخر العصور الوسطى، أثر على التيارات الطوماوية والرشدية في الفكر ، وعلى التصوف الرينيشي؛

* في عصر النهضة، على الرغم من الرفض الكلي للفكر السكولائي من قبل النزعة الإنسانوية، نجد تأثير المشائية:

في الفلسفة السياسية، مع دانتي ومارسيل من بادوفا،

في الميتافيزيقا، في مدرسة بادوفا، التي أسسها بيترو دي أبانو، والتي كان إيلي ديل ميديغو وبومبوناتزي من أبرز ممثليها. سيتلقى جان بيك دي لا ميراندول تأثير هذه المدرسة؛

*في العصر الحديث، عند الطوماويين الجدد في القرنين التاسع عشر (برينتانو) والقرن العشرين (جيلسون وماريتان) ، وبين "الرشديين" المعاصرين (بلوخ).

الفلاسفة المشاؤون الرئيسيون:

- العصور القديمة:

ثيوفراست (Théophraste)، الباحث الأول، رئيس الجامعة، من Lycée في 323 قبل الميلاد. ميلادي؛ أرسطوكسينوس (Aristoxenus)؛ ديسيارك (Dicéarque)؛ ستراتون من لامبساك؛ أندرونيكوس من رودس (Andronicos)؛ كزينارك من سيلوسيا؛ ألكسندر الأفروديسي، أستاذ الفلسفة الأرسطية من 198 إلى 211 م. ميلادي؛ ثيميستوس؛

أوليمبيودوروس الأكبر، نشط حوالي 430 في الإسكندرية؛ ستراتون دي لامبساك الذي سلط الضوء على العناصر الطبيعية الموجودة في مذهب أرسطو، وعلى عكس أستاذه الذي توصل إلى وجود المحرك الاول، تحول بحزم نحو شكل معين من الإلحاد.

كتب الإسكندر الأفروديسي (De anima)، الذي حدد فيه العقل الممكن بوظيفة جسدية: وهكذا فتح الطريق أمام النفس الأحادية (monopsychisme) ونفي الخلود الفردي.

- **العصر الوسيط:** الكندي؛ الفارابي؛ ابن سينا؛ ابن رشد، الملقب بـ "المعلق" من قبل الفلاسفة اللاتينيين؛ موسى بن ميمون

بوثيوس من داسيا؛ سيجر من برابانت؛ جون جاندون؛ دانتي؛ مارسيليوس بادوفا

- **عصر النهضة:** بيترو دابانو، مؤسس مدرسة بادوفا؛ إيلي ديل ميديغو، رشدي يهودي، معلم بيك دي لا ميراندولا؛ بومبونازي؛ جان بيك دي لا ميراندول؛ اجوستينو نيفو.

المحاضرة الحادي عشرة المدرسة الرواقية

الرواقية هي تيار فلسفي يوناني وروماني، تقدم نفسها على أنها مذهب مادي وحلولي (panthéiste) يؤمن بوحدة الوجود. " وقد قال الرواقيون قبل اسبينوزا بوحدة الوجود: فاعتبروا تكوين العالم وترتيبه فعلا من أفعال العلة الواحدة (أو الله) في المادة المتحدة بالله اتحادا الا انفصام له "[85]. ولدت في القرن الرابع قبل الميلاد مع زينون السيجومي، تطورت الرواقية حتى نهاية القرن الثالث الميلادي.

نشأت الفلسفة التي يطلق عليها اسم الرواقية في السنوات الأخيرة من القرن الرابع قبل عصرنا. سرعان ما حافظت على توازن المذاهب الأكثر شهرة. من أبرز الفلاسفة الرواقيين وممثليها الرئيسيين نجد زينون، وكلينتيس، وكريسيبوس، وبانيتيوس، وبوسيدونيوس، وسينيكا، وإبيكتيتوس، وأريان والإمبراطور ماركوس أوريليوس. كانت منذ البداية فلسفة أخلاقية وعملية. وهو طابع أصبح واضحا، عندما انتقلت في القرن الثاني قبل الميلاد. من اليونان إلى روما.

وفي صراعها أيضًا مع أتباع اللذة - الأبيقوريين ومفكري الأكاديمية، واصلت مسيرتها الغزيرة، وبقوة مع سلسلة كاملة من المفكرين العظماء الذين عززوها بشكل متزايد، قاومت الهجمات المعاكسة؛ أخيرًا تتفوق على منافسيها بفضل الثروة السعيدة التي أكدت لها الفتح الأخلاقي لنخبة العالم الروماني. ستكون أقوى خصم ستواجهه المسيحية. عندما يشكل الدين المسيحي عقيدة، هناك مذهبان يمكن من خلالهما الاقتراض على نطاق واسع وسنعثر على بصمتهما فيها، والتي أشار إليهما النقاد المعاصرون بلا منازع: الأفلاطونية، التي ستأخذ منها الميتافيزيقيا في جزء كبير منها؛ الرواقية التي ستستخدم الدروس الأخلاقية منها إلا لتلطيف مرارتها. من بين هذه الدروس، فإن أفضل ما سمع، وأكثرها إثمارًا، هو ما يعلّم، فيما وراء الأوطان، احتضان خير جميع إخوتنا وأقرنائنا ويقترح على القلوب المبدأ القائل: إن المحبّة تنشئ الإنسانية(caritas generis humani) . " وهذا أيضا ما سماه الرواقيون باسم humanitas: أي محبة الجنس البشري بأسره. وقد أقاموها على أساس

[85] عثمان أمين، **الفلسفة الرواقية**، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة/مصر، ط. 3، 1971، ص.336.

أن كل إنسان هو غاية في ذاته "[86]. لقد أدى تطور المسيحية وتأثيرها إلى إلقاء العقيدة الرواقية في الظل لعدة قرون. كان لهذا الكسوف على الأقل آثاره. إذا لم يتم إحياءها رسميًا خلال عصر النهضة، فلا يمكن إنكار أن شيئًا من إلهامها سينتقل إلى طوائف الإصلاح. لكن قبل كل شيء، ستكون بصمة الرواقية عميقة، بلا منازع، على الفلسفة الأخلاقية للمعلم الحديث الذي لا يزال تعليمه حتى اليوم يمارس تأثيرًا شبه سيادي: أعني هذه "ميتافيزيقا الأخلاق" التي وضعها كانط والتي تظل الشكل الأكثر اكتمالا، على أي حال، الأكثر قوة، لأخلاق الإرادة الخالصة، في مواجهة أنواع مختلفة من المذاهب، سواء كانت مذاهب المنفعة والفائدة أو العاطفة. لذلك يرتبط تاريخ الرواقية ارتباطًا وثيقًا بتاريخ الفلسفة الأخلاقية نفسها.

من الرواقية القديمة إلى الرواقية الإمبراطورية

يمكن التمييز بين عدة فترات في الرواقية:

- الرواقية القديمة: " ومدتها من 322 إلى 204 قبل الميلاد. وأقطابها المبرزون هم: " زينون" و "كليانتس" و "كروسبوس"[87]. أسسها زينون السيجومي. علم هذا المفكر اليوناني تحت الرواق، ومن هنا جاء اسم مدرسة الرواق. لدينا فقط شذرات لهذا المفكر. هذه الرواقية القديمة هي قبل كل شيء نظرية للكون ومنطق. يعرّف الحكمة بأنها "معرفة الشؤون الإلهية والإنسانية"، أي معرفة القوانين التي تحكم الكون بأسره، وليس سلوك البشر فقط.

- الرواقية الرومانية، المعروفة بالإمبراطورية: من أشهر فلاسفتها سينيكا، إبيكتيتوس (الذي يعتبر دليله نموذجًا للفلسفة الرواقية) وماركوس أوريليوس الذين جعلوا هذا التيار الفلسفي مشهورًا. تتمحور الرواقية الجديدة وتتركز حول الإنسان، على الجهد وعلى نية الخير: تُعرَّف الحكمة بامتلاك فن مناسب، وبعبارة أخرى اكتساب الفضيلة. يقول يوسف كرم: " وعرفت المدرسة عصرًا ثانيا هو "الرواقية المتوسطة" في القرنين الثاني والأول قبل الميلاد، أهم رجاله أسيويون كذلك، من طرسوس وسلوقية وصيدًا؛ خالف بعضهم

[86] عبد الرحمن بدوي، **الاخلاق النظرية**، وكالة المطبوعات، الكويت، ط. 2، 1976، ص. 201.
[87] عثمان أمين، **الفلسفة الرواقية**، مرجع سابق، ص. 12.

الزعماء الأولين في مسائل ثانوية. ثم عصرًا أخيرًا رومانيا هو «الرواقية الجديدة» في أيام القياصرة، أشهر أسمائه سنيكا وأبيكتاتوس والإمبراطور مرقس أوراليوس، وهم الرواقيون الوحيدون الذين وصلت كتبهم إلينا كاملة، وهي متأخرة أربعة قرون على تأسيس المدرسة "[88].

إن تطور المذهب الرواقي واضح: نحن ننتقل من الطبيعة إلى الأخلاق.

في الرواقية، تعني السعادة الاستقلال عن الظروف الخارجية والانفصال عن الأشياء. تسمح السيطرة على إقراراتنا وتمثلاتنا وممارسة الحكم تسمحان بالوصول إليها. إنها فلسفة الحرية الداخلية.

المنطق حسب الرواقيين:

يدرس المنطق شروط الوصول إلى المعرفة. وهكذا، فإن المعقول هو نموذج الحقيقة. عندما تكون الروح متقبلة وحسية بشكل أساسي، فإننا نتحدث عن التمثل، الذي يُعرَّف بأنه بصمة في الروح. للوصول إلى العلم، أي إلى فهم حاسم ومؤكد، يجب أن تتدخل الروح بنشاط وتستخرج الحقيقة، وذلك بفضل، على وجه الخصوص، للعواطف أو التدفقات، وهي المبادئ التي تحتويها الروح منذ البداية. توقظ الأشياء الخارجية. تشكل مجموعة المفاهيم المسبقة العقل. " وقد ذهب بروشارد، حديثا، أبعد من ذلك، فبرهن أن الرواقية، لم تتبنّ المنطق الأرسطوي. بل أنشأت منطقاً خاصاً بها ومشهوراً. ومما يعكس الخلاف بين المنطقين صورة الخلاف بين الفلسفتين الرواقية والأرسطوية. فبينما تعتمد الفلسفة الأرسطوية مسألتي الجوهر والماهية منطقاً ووجوداً، نجد الفلسفة الرواقية تعنى بالأفراد والموجودات المشخصة "[89].

الطبيعة حسب الرواقيين:

[88] يوسف كرم، **تاريخ الفلسفة اليونانية**، مرجع سابق، ص. 257.
[89] رفيق العجم، **المنطق عند الغزالي: في ابعاده الارسطوية وخصوصياته الاسلامية: دراسة تحليلية**، دار المشرق، بيروت/لبنان، ط. 1، 1989، ص. 46.

مركز العقيدة الرواقية هو الفيزياء، دراسة الطبيعة أو الله. يمكن اعتبار الرواقية حقًا حلولية (وحدة الوجود): الله هو العالم. العالم، الذي يخترقه العقل، مبدأ نظام الأشياء، هو حامل الوحدة والذكاء. إنه عضوية كامل، يحكمه القدر، حركة أبدية ومستمرة ومنظمة. القدر، حسب الرواقيين، هو قوة روحية تدير الكون كله. إن العناية الإلهية، التي تُعرَّف على أنها قدر العالم وتنظيمه بقدر ما هي موهوبة بالغاية، تحتل بالتالي مكانًا مهمًا في الفيزياء الرواقية.

" وضع الرواقيون أساسًا لفلسفتهم الطبيعية وهو: «أن ليس في الوجود غير المادة.» وهذا المبدأ يتفق ورأيهم في المعرفة الذي شرحناه، فإن كانت المعرفة لا تأتي من طريق الحواس فما لم يُحَسُّ لا يُعْرَف، وكل شيء موجود هو مادة، حتى الروح وحتى الله تعالى، وقد أدَّاهم إلى هذا النظر اعتباران؛ الأول: أن وحدة الوجود تتطلبه، فالعالم واحد ولا بد أن يكون نشأ من مبدأ واحد، فالقول بأن هناك مادة ومُثلًا كما يقول أفلاطون ينشأ عن وجود فاصل بين الاثنَيْن ليس عليه جسر يعبر عليه بينهما، فيجب أن نقتصر على المادة ونعمل فيها عقلنا، وثانيًا — أن الجسم والنفس — والعالم والله متفاعلان، فمثلًا الجسم يؤدي إلى أفكار في النفس، والنفس تبعث على حركات في الجسم، وهذه كانت تكون مستحيلة إذا لم يكن الجسم والنفس من عنصر واحد، فالمادي لا يمكنه أن يؤثر في غير المادي والعكس، فلا بد أن يكون هناك اتصال واتحاد في العنصر، وحينئذ يجب أن يكون الكل ماديًّا "[90].

ومع ذلك، فإن الرواقية لا تؤمن بالقدرية والحتمية، لأن الإنسان لا يزال لديه جزء أساسي من الحرية.

أخلاق الرواقيين:

الأخلاق الرواقية هي أخلاق الحرية. على الرغم من القدر، يبقى الإنسان حرا من تمثلاته وآرائه. يمكننا، على الرغم من عدم التحكم في الأسباب، السيطرة على تمثلاتنا. تشير الحرية إلى القدرة على التصرف من تلقاء أنفسنا على مستوى الفكر والحكم. ما يعتمد علينا هي آرائنا ورغباتنا. ما لا يعتمد علينا هو الجسد والسمعة والشرف والخيرات المادية.

[90] زكي نجيب محمود، أحمد أمين، **قصة الفلسفة اليونانية**، مؤسسة هنداوي، وندسور/المملكة المتحدة، ط.؟، 2018، ص. 175-176.

إن السيطرة على التمثلات يؤدي إلى الأتراكسيا، وبعبارة أخرى صفاء الروح، إلى غياب المتاعب والمنغصات، إلى اللامبالاة (الآباثيا)، حالة الروح التي لم تعد تشعر بالألم. وهكذا يبلغ الإنسان الخير الأسمى، السعادة المتصورة كوجود على وفاق مع الطبيعة أو الله، كحياة متوافقة مع العقل ومطابقة له. العواطف هي الخطر الرئيسي في حياة الحكيم، لكنه يتمكن من السيطرة عليها من خلال السيطرة على تمثلاته.

الرواقية والحكمة:

يقول ماركوس:" تَذكَّرْ أن ملَكَة الرأي هي كلُّ شيء، وأن رأيك بيدِك. امحُ رأيك إذا شِئتَ، وستجد السكينة"[91]، فحسبه، كل شيء رأي؛ والرأي يعتمد عليك. تلخص هذه الدعوة من ماركوس أوريليوس وحده الفكر الرواقي. في هذه الصيغة المختصرة، توضح الحكمة الرواقية تمامًا نموذجها المثالي، الذي يمارس تأثيرًا كبيرًا على كل الفلسفة (سبينوزا، ديكارت، إلخ).

ملخص العقائد الرواقية:

دعونا نلاحظ في البداية أن ميتافيزيقيا الرواقيين بعيدة كل البعد عن كونها مستثناة من التناقضات: أولاً، بالنظر إليها ككل، فهي بالأحرى فيزيقا أكثر منها ميتافيزيقا، وهي تحمل اسمها. خارج الروح كل شيء جسد. في الروح/العقل، كل شيء هو الإدراك المعقول. هذا هو المبدأ المزدوج للأنطولوجيا ومنطق الرواقيين. غالبًا ما نتحدث عن الطابع المثالي لعقائدهم، وصحيح تمامًا أن المثالية تهيمن عليها في نواحٍ معينة. إلى جانب هذا المبدأ، يوجد هنا أحد تلك التناقضات التي تحدثنا عنها منذ لحظة: كل شيء مادي؛ كل معرفة هي معرفة معقولة. هذا لا يعني أن كل المعرفة تبقى في حالة إحساس معين، وأننا لا نستطيع إلا أن نعرف الأجسام المحدودة والقابلة للتلف التي نتعامل معها عادة. العقل يعمم أنطباعاته. في هذا يتكون من الترقب أو التحقيق المسبق؛ ومن خلال تعميمها، تمكن من تصور مبدأ (ربما يكون واحدًا، قد يكون متعددًا، ستظهر المسألة لاحقًا)، اللانهائي، والذي سيكون أكثر دقة أن نسميه اللامحدود، لا إحساس، لا تجربة خاصة أو معممة والتي لا

[91] ماركوس أوريليوس، **التأملات**، ترجمة: عادل مصطفى، مؤسسة هنداوي، وندسور/المملكة المتحدة، ط.؟، 2019، ص. 251.

يمكن أن يعطي اللانهائي مبدأ ماديًا، مثل كل الآخرين؛ بحيث يكون الجسد في كل مكان، يملأ كل شيء، والفراغ، خلافًا لرأي الأبيقوريين، ليس في أي مكان؛ أخيرًا المبدأ الذي، من خلال تحديده، يصبح كل ما هو، العالم والله والإنساني جميعًا في نفس الوقت.

في ضوء ذلك، تبدو الرواقية كفلسفة حلولية (تقول بوحدة الوجود). ولكن عندما نصل إلى العالم والله، نجد الثنائية. يعرض الوجود بشكل أو بآخر صفة الازدواجية: في الحجر، يوجد شيء آخر غير الجزيئات المادية؛ هناك قوة التماسك التي تجمعها معًا؛ بنفس الطريقة العناصر المكونة للنبات تشبه بعضها البعض ويتم الحفاظ عليها فقط تحت تأثير لا أعرف ما هي القوة النباتية؛ إن الازدواجية في الحيوانات والبشر أكثر وضوحا. يمكن للمرء أن يتردد ويخطئ في مسألة معرفة ما إذا كانت الحياة نفسها مزدوجة؛ لكن لا يمكن لأحد أن يسيء فهم التمييز بين المادة والحياة. كانت هذه الحقائق مدهشة، وعلاوة على ذلك، فإن فلسفة سابقة، وهي فلسفة أرسطو، قد تتبعت بعمق التمييز الشامل بين المادة والقوة. هذا التمييز عرفه الرواقيون واستفادوا منه وفقًا لأفكارهم. ينتج العالم كله، وفقًا لهم، عن اتحاد الجوهر أو المادة (hylé) مع القوة أو العقل المولِّد (logos spermatikos) والتي تسمى أيضًا الطبيعة.(physis)

كيف يتم هذا الاتحاد وما هي طريقة حدوث هذه الوحدة، وما هي بالضبط هذه القوة المولدة التي تتحد مع المادة؟ هذا هو المكان المناسب لقول بضع كلمات عن مبدأ جديد سيظهر مرة أخرى في جميع درجات الوجود، والتوتر، وهو، وفقًا للرواقيين، مبدأ كل خير، مثل ضده، الاسترخاء، هو مبدأ كل شر. الآن، يتم إنتاج كل شيء على وجه التحديد بسبب توتر القوة في المادة. لا يجب أن نخطئ في الأمر: الجوهر مادي؛ لكن القوة هي أيضا كذلك. إن هذا الجسد أكثر دقة من الهواء، وأكثر دقة من النار، وهو ما نراه يظهر في كثير من الأحيان في فيزياء القدماء؛ الأثير الذي يتبادل ويخترق كل الأشياء، والذي يحمل الحياة في كل مكان، والذي يتحد بنسب مختلفة مع المادة، يصبح قوة متماسكة في المعدن، قوة نباتية في النبات، روح عاقلة في الإنسان، روح العالم في كل شيء.

ليس هناك ما هو أكثر غرابة وفضولًا من أفكار الرواقيين حول تكوين العالم والمحافظة عليه وتدميره: إنه في نظرهم كائن حي كبير (Zoôn) يعيش ويتنفس مثل الحيوانات

الأخرى. هناك، في العالم كما في الحيوانات، حركة تنفسية حقيقية، تشكل مناوباتها مراحل تاريخها. وهكذا، في البداية يبدأ الأثير أو العقل أو الروح (كلهم واحد) في التمدد، أي التكاثف. ومن ثم ينتج عنه تكوين وسط أكثر كثافة، نوع من النواة؛ إنه الهواء. ثم يستمر الانكماش، تتشكل كرة الماء في مجال الهواء؛ ثم، في هذا، المجال الصلب؛ وهو ما لا يمنع التوليفات الجزئية التي تولد منها النباتات والحيوانات وما إلى ذلك. هذه هي فترة التطور. عندما يصل العالم إلى نهاية هذه الفترة، يكون الاسترخاء، أي التمدد، يتبع الانكماش، وبواسطة حركة رجعية، يتم امتصاص كل شيء في الأثير بعد مغادرته وخروجه، حتى عادت الأشياء إلى ما كانت عليه في حالتها البدائية، يبدأ الانكماش الجديد مرة أخرى مما يعيد نفس الظواهر، ليس فقط ككل، ولكن حتى إلى أصغر تفاصيلها، وهكذا طوال المدة اللانهائية، حيث تشغل كل من هذه الفترات عدة آلاف من السنين.

لقد وجد الرواقيون، الذين أحبوا ربط أفكارهم بالمعتقدات الشعبية والأسطورية، في حكاية العنقاء (Phénix) رمزًا لنشأة الكون. العالم، مثل الطائر، يبدأ وجوده مرة أخرى إلى أجل غير مسمى؛ مثله، يموت ويفنى في النار/aether) أثير؛/aethô أيثو، /brûlerإحراق) ويولد وينبعث من جديد من رماده.

وهكذا فإن الأثير هو، بالمعنى الدقيق للكلمة، الروح التي تحيي وتحرك كل شيء، روح العالم: العقل يحيي المادة ...(mens agitat molem) في النظرية الرواقية، لا يوجد سبب آخر، لا إله آخر، اللهم إلا إذا أراد المرء إعطاء هذا الاسم إلى الموت الذي لا يرحم والمصير المحتوم، الذي تتواجد فيه عقيدته، من خلال تناقض لا يقل غرابة عن التناقضات السابقة، جنبًا إلى جنب مع عقيدة العناية الإلهية. أنكر الأبيقوريون العناية الإلهية، ووصلوا إلى القدرية من خلال عقيدة الصدفة. لقد وصل الرواقيون إليها بالطريقة المعاكسة، أي التحديد الكوني (النزعة الحتمية) للأسباب. في الواقع، العناية الإلهية هي حكمة الله وقوته المطبقة بحرية على إدارة العالم. نفس الشيء مع الرواقيين. وعلى الرغم من أنهم ينسبون العقل والقوة إلى الله، وعلى الرغم من أنهم يتمثلونه على أنه معني ومشغول بشؤون هذا العالم، فمن الواضح أن هذه رعاية عقيمة، لا يمكن أن تغير شيئًا في نظام الأشياء الثابت، وهي ضرورة عمياء (fatum stoicum) تم تحديده بشكل حتمي منذ الأزل. لذلك، إذا

جاز التعبير، فإن هذه الأفكار عن العناية الإلهية والصفات الأخلاقية قد تغلغلت في نظرية الرواقيين بطريقة سرية.

لقد أعلنا أن هذه التأملات الميتافيزيقية للرواقيين، مهما كانت خيالية، كانت مناسبة لإلقاء الضوء على نقاط معينة من أخلاقهم. يتعلق الأمر قبل كل شيء بمسألة توتر، وهو، كما قلنا، مبدأ كل خير، وليس فقط كل خير، بل كل علم لأنه، في هذا على الأقل، بما يتفق مع أنفسهم، كان لدى الرواقيين دائمًا هذه الفكرة في الاعتبار، في منطقهم وأخلاقهم، وكذلك في فيزيائهم. القوة والجهد في كل مكان. هرقل (Héraclès) هو مُنعِش ومجدد الفلسفة، والرواقي (Cléanthes) هو هرقل الثاني. لذلك، بدلًا من السماح لنفسه بالذهاب مع تيار الرأي، الذي تزعج شكوكه الحكيم، يجب على المرء أن يمد العقل، أولاً للانتقال من الصور المعقولة إلى التمثلات الشاملة، التي تربطها بأشياءها وأسبابها. ثم إلى التحقق المسبق الذي يعبر عن العلاقات الطبيعية والثابتة للأشياء. من هناك إلى العلم، ليس هناك سوى خطوة واحدة فقط، ولا تزال تأثير توتر جديد ومتفوق.

إلى الاستقبال السلبي للصور، وإلى درجات التوتر الثلاث التي تليها، تتوافق مع حالات مختلفة من الروح، والتمثل، والموافقة، والفهم، والعلم، المعبر عنها على التوالي بواسطة شعارات اليد المفتوحة، نصف مغلقة، مغلقة، مغلقة ومشدودة بإحكام مع اليد أخرى.

يقول مونتاني: "زينون رسم مخيلته بإيماءات على هذا التقسيم لملكات الروح: اليد الممدودة والمفتوحة هي المظهر. اليد نصف مشدودة والأصابع ملتوية قليلاً، موافقة؛ قبضة مغلقة، فهم؛ عندما كان لا يزال بيده اليسرى يقترب من تلك القبضة الأضيق، علم.

نفس الانشغال سيظهر في جميع جوانب الأخلاق: إن الإنساني، الذي يتشكل، مثل جميع الكائنات الأخرى، من اتحاد المادة والقوة، والذي هو في داخله العقل، يدرك هذا الأخير وتفوقه على المادة. يخضع، مثل الحيوانات الأخرى، لوظائف التغذية والإنجاب، فهو يعلم جيدًا أن هذه وظائف دنيا، وأن ما يجعله إنسانًا هو، مع العقل نفسه، حب العلم والحقيقة، رعاية الأسرة والمجتمع، ممارسة الاعتدال، والشجاعة، والشهامة وعظمة الروح، والإحسان، والتي ليست شيئا آخر سوى تطور العقل. هذه هي الطبيعة الصحيحة للإنساني،

حيث يعطي الرواقيون المتأخرون مكانة عظيمة فوق كل شيء للفضائل الاجتماعية، لكل شيء يميل إلى خلاص وخير البشر الآخرين. يقول ماركوس أوريليوس: " إن البشر اجتماعيون بشكل طبيعي وودودون مع البشر الآخرين (philanthrôpos kaï koïnônikos). هكذا، بالنسبة لأي كائن، فإن الخير هو العيش وفقًا لطبيعته، وأن يكون منسجما مع سجيته، وأن يحافظ على فطرته وهيئته من خلال أعمال مناسبة. سيكون هذا أيضًا خير الإنسان، وبالتالي قانونه: العيش وفقًا للطبيعة، وهي صيغة مشهورة، ستترجم له إلى هذا: العيش وفقًا للعقل. لكن العقل هو مبدأ الجهد والتوتر. لذلك من الضروري، هنا مرة أخرى، أن يميل الإنسان إلى العقل، وبدلاً من الاستسلام للغريزة، مثل الحيوانات، يجب أن يتصرف بالعقل، حتى عندما يتعلق الأمر بإرضاء الاحتياجات الدنيا لطبيعته. بهذا الثمن فقط، تصبح الوظائف الطبيعية (officia) أفعالًا صحيحة، مستقيمة وفاضلة. الفضيلة فن، إنها فن الحياة، أو فن أن نصبح صالحين؛ ويصبح المرء طيبا وصالحا بجعل العقل سيد المشاعر والعواطف، التي هي استرخاء، مرض في الروح، ينتج، مثل أمراض الجسد، عن طريق الوهن؛ ويمكن الوصول إلى الكمال من خلال توسيع إمبراطورية العقل هذه إلى أقصى حد ممكن.

خلاصة:

الرواقية مذهب فلسفي رئيسي في العصور القديمة، الرواقية تأخذ اسمها من اليونانية : stoa، والتي تعني "الرواق" لأن مؤسسها زينون السيجومي (335-264) كان يدرس تحت أعمدة في أغورا أثينا. الفيزياء الرواقية هي وحدة الوجود الطبيعية. إن اللوغوس (نوع من العقل المؤله) هو نفس ملتهب ينظمه، جوهريًا في العالم، بشكل لا رجوع فيه. الرواقيون، على عكس الأبيقوريين الذين يعتبرون خصومهم المباشرين، يؤمنون بالقدر. لذلك فإن الحكمة تكمن في قبول المكانة الممنوحة لنا في الكون، في العيش في انسجام مع الطبيعة من خلال الاهتمام بالجسد والروح من خلال ممارسة الفضيلة ونبذ العواطف. وُلدت الرواقية في أثينا مع زينون وكلينتيس وكريسيبوس، ووصلت إلى ذروتها في روما مع شيشرون ثم، خلال الفترة الإمبراطورية، مع سينيكا وإبكتيتوس والإمبراطور ماركوس أوريليوس. إلهام المسيحية، التي تراجعت عن أخلاقها في الفضيلة وانفصالها عن الأشياء

الخارجية، ومع ذلك، تم انتقاد الرواقية في عصر النهضة، إما لأنه كان يُنظر إليها على أنها غير عملية (تخلى عنها مونتاني لأنه اعتبر عدم الصراخ من الألم أمرًا غير إنساني) ، أو لأنه يعتقد أنه يخطئ بدافع الكبرياء (هذا هو اللوم الذي وجهه إليه باسكال ومالبرانش). لكن هذه الإدانة المزدوجة لا تلغي تأثيرها: لقد استوحى ديكارت وسبينوزا من مبادئ الرواقية لبناء أخلاقهما، ويرى هيجل في فلسفة الوعي هذه مركزة على قلعته الداخلية مرحلة ضرورية في تطور العقل في التاريخ، ونيتشه، بينما يرفض زهدهم، يستعيد من الرواقيين "حبهم للقدر.(Amor Fati) ".

المحاضرة الثانية عشرة المدرسة الأبيقورية

الأبيقورية هي مذهب فلسفي أخذت اسمها من زعيمها ومؤسسها أبيقور. إنها مشهورة بشكل خاص بوصفها نظام أخلاقي. الأبيقورية لها هدف عملي في الأساس، وهو اكتشاف وسائل إسعاد الإنسان. تحتل الأخلاق أيضًا مكانة عظيمة في هذا المذهب. المنطق (القانوني) والطبيعة تابعان لها ويعملان فقط على الإعداد لها.

في الواقع، فإن أكبر عقبة أمام النعيم البشري هي الخوف من عالم فوق طبيعي (surnaturel)؛ يتطلب الأمر فلسفة للكون لتبديد هذا الخوف وتعليم أنه لا يوجد شيء خارجنا يقف في طريق سعادتنا. لكن الطبيعة تفترض وجود قواعد تجعل من الممكن التمييز بين الحق والباطل؛ يعود الأمر إلى القانون الأساسي لوضع هذه القواعد وتثبيتها. عندئذ يكون عمل الأخلاق هو تحديد مفهوم السعادة الحقيقية. الأخلاق الأبيقورية لها أساسها في الإحساس الداخلي باللذة والألم. اللذة خاصة بنا وتشكل الخير، والألم غير متجانس مع طبيعتنا ويشكل الشر. السعي وراء أحدهما، والهروب من الآخر، هذا هو واجب البشر؛ في هذا وحده تكمن الحكمة أو الفضيلة، التي تشكل الفطنة والحذر خاصيتها الرئيسية. لقد قيل، لهذه الأسباب، أن الأبيقورية هي الشكل الأكثر اكتمالا للأنانية.

القانون أو المنطق الأبيقوري:

من المعروف لدى المهتمين بالمنطق، أن هذا الأخير ظهر مع أرسطو، ولم يكن من ضمن اهتمامات أبيقور، وما نسميه هنا المنطق الأبيقوري أو " قانون أبيقور" فهو لا يرمى إلى وضع قانون – تعصم مراعاته الذهن عن الخطأ في الفكر – بل ينصب على المعرفة أولاً وطريق كسب المعلومات، نعم قسم الأبيقوريون الفلسفة إلى ثلاثة أقسام: منطق، طبيعة، أخلاق غير أن هذا التقسيم صوري تقليدي فحسب "[92].

حسب أبيقور، هناك **ثلاثة معايير للحقيقة**: **الأحاسيس، والتوقعات، والانفعالات**. يتم بناء الفلسفة التأملية، أي الطبيعة، من خلال الأحاسيس والتوقعات.

الإحساس بديهي وواضح بذاته، فهو " أكثر مصادر المعرفة بداهة، لدرجة أنه كان يقول، حسب رواية شيشرون، إنه لو خدعه حس واحد مرة واحدة في حياته فهو لن يثق بأي لن يثق بأي حس من حواسه أبدا "[93]. إن الإحساس يفرض نفسه من خلال حقيقة أنه يقدم نفسه. الفكرة العامة ليست سوى تذكر للعديد من الإدراكات المشابهة.

---

[92] تقي الدين أبي العباس أحمد الحراني/ابن تيمية، **نقض المنطق**، دار الكتب العلمية، بيروت/لبنان، ط. 1، 1999، ص. 11.

[93] أبيقور، **الرسائل والحكم**، دراسة وترجمة: جلال الدين سعيد، الدار العربية للكتاب، تونس، ط. ؟، 1991، ص. 45.

يسمح التذكر بالاستبصار أو التوقع والاستباق. كل فكرة لها كأصل إحساس وهذا ما يعطيها قيمتها، الإحساس الذي ينقل للفكرة الوضوح والبداهة التي تستمدها من طبيعتها الخاصة. يجب التعبير عن التوقع بكلمة تثبته وترسخه. اللغة تسمح بالتفكير.

لذلك فإن كل المعرفة لها أصلها في الانطباع المادي الجسدي، في الإحساس. الإحساسات نفسها ناتجة عن أشكال أو صور مادية تأتي من الأجسام وتضرب وتمس الحواس.

أما بالنسبة للانفعالات فهي تجعلنا نعرف فقط اللذة والألم اللذين تسببهما لنا الأشياء. " تمثل الإنفعالات المعيار الثالث للحقيقة والمصدر الثالث للمعرفة، وهي تنحصر في انفعالين رئيسيين هما اللذة والألم اللذين يقوداننا في حكمنا على الأشياء وفي التمييز بين ما ينبغي اتباعه وما ينبغي تجنبه "[94]. إن الفلسفة والممارسة ترتكز عليها.

فيزياء أبيقور: فلسفته الطبيعية

الفيزياء الأبيقورية هي إلى حد كبير مذهب لوقيبوس وديموقريطس (المدرسة الذرية). كل شيء مادي، وفي عالم المادة لا شيء يضيع ولا شيء يُخلق. يتكون الكون من عنصرين، الذرات والفراغ. تتكون الأجسام من ذرات؛ أجسام غير مرئية. ما يبدو أنه قد فنى لا يقوم سوى بحل نفسه والذوبان في عناصره، وما يبدو أنه خلق ليس سوى تركيب ميكانيكي. الذرات هي: صلبة، وغير قابلة للتجزئة والقسمة، وغير قابلة للتغيير وتحدث حركتها الدائمة في الفراغ. " إن الكون في رؤية أبيقور مادة خالصة، وكل شيء فيه مادي، له علة مادية وأقر بأن المجموع الكلي للأشياء لا يزداد بإضافات جديدة، وأن كم المادة لا ينقص بخسارة مطلقة، فالشيء المنفرد لا يتحطم نهائيا بل ينحل إلى الذرات المكونة له، وهذه هي الفكرة المعروفة باسم مبدأ بقاء المادة "[95].

إذا تُركت الذرات للجاذبية وحدها، فسوف تسقط إلى الأبد دون أن تلتقي. لشرح تكوين الكون، يجب الاعتراف بأن لديها القدرة على تغيير اتجاه حركتها. تتكون هذه القوة من عفوية حرة، والتي تتجلى في نقطة غير محددة تمامًا في الفضاء والمكان. هذه الحركة العفوية تسمى الانحراف. نتيجة لذلك، تلتقي الذرات ويمكن أن يولد وينشأ العالم. لذلك فإن تشكيل الكون يفترض، في عناصره الأولى، مبدأ الحرية الذي يبيد الحتمية ويفني القدر.

نتيجة هذه الطبيعة هي تحرير الإنسان من وهم الخرافات، ومن الخوف من الموت، ومن الخوف من الجحيم والآلهة. في الواقع، الروح ليست سوى مركب من الذرات الدقيقة التي تتلاشى عندما يتحلل الجسد. فلماذا نخاف من الموت؟ لا داعي للقلق بشأن ذلك أكثر من القلق من الوقت الذي سبق ولادتنا. إذا كانت الروح فانية، فلا وجود للجحيم. أخيرًا، بما أن

---

[94] نفس المرجع، ص. 54.

[95] يمنى طريف الخولي، **الحرية الإنسانية والعلم: مشكلة فلسفية**، مؤسسة هنداوي، وندسور/المملكة المتحدة، ط.؟، 2022، ص. 146.

الكون يرجع إلى الصدفة، فإن الآلهة لا تتدخل في تنظيم الأشياء. التوليفات العابرة تتدمر من تلقاء نفسها، وعندما تكون دائمة، فإنها تدوم وتستمر.

لا شك أن الآلهة موجودة، بما أن لدينا فكرة عنها وأن كل فكرة تأتي من إحساس؛ لكنها تعيش في النعيم، والسعادة والطمأنينة، دون انشغال بالبشر أو الأشياء. إنهم يتمتعون بهذه السكينة التي يجب على الإنسان أن يسعى لتحقيقها. لا يمكنهم الخروج من هذه الحالة دون التوقف عن كونهم آلهة، لأن المثل الأعلى لكل حكمة هي الهدوء أو الراحة المطلقة. " نستطيع أن نستخلص صفتين رئيسيتين للآلهة: الأولى صفة الدوام، والثانية صفة السعادة. فالآلهة متصفون أولا بالدوام، ولكي يكونوا كذلك كان لابد لتركيبهم الجسماني من أن يكون على نحو مخالف للنحو الإنساني الصرف، لأن الجسمانية الإنسانية قابلة، بل ومن شأنها الفناء؛ فلكي يكون جسم الآلهة متفقة مع ما يليق بهم من دوام، كان علينا أن نتصور أجسامهم وكأنها أجسام أثيرية لا تخضع في الواقع للتغير، وكان علينا من ناحية أخرى أن لا نتصورهم في مكان عادي يخضع دائما للحركات والتغير، وإنما يجب علينا أن نودعهم في مكان قد خلا من معالم الفناء، مكان يسميه الأبيقوريون باسم «ما بين العوالم» . وفي هذا المكان يحيا الآلهة حياتهم الدائمة، وهذه الحياة الدائمة هي حياة السعادة، والسعادة هنا هي الخلو المطلق من كل ألم، أي أنها هي الطمأنينة السلبية أو الأتركسيا، التي سنجد أنها تمثل المثل الأعلى للأخلاق الأبيقورية "[96].

من هنا تتولد نظرية المعرفة: الذرات، المنبثقة من الأجسام، تنتج الإحساس في الدماغ، وبالتالي الإدراك. يضاف إلى هذه الفكرة الخاصة الترقب والاستباق، الذي يعرفه أبيقور بأنه فكرة عامة دائمة؛ إنها مشتقة من الحواس، مثل الأولى.

الأخلاق الأبيقورية:

الغرض من الأخلاق هو تحديد **الخير الأقصى** و**إسعاد البشر**. نحن لا نعتمد سوى على أنفسنا، نحن أحرار، وبما أنه لا يوجد شيء يقف في طريق سعادتنا، فيمكننا أن نكون صانعيها.

ما هو الخير الأسمى الذي يجب أن يسعى إليه الحكيم؟ يجيب أبيقور: **اللذة**. لكن من الضروري التمييز بين نوعين من اللذات، إحداهما تضمن لنا الراحة والهدوء والنعيم، اللذة في السكون؛ والأخرى سريعة وعابرة، اللذة في الحركة. الأولى خالية من كل قلق، والثانية ليست سوى دعوة من الطبيعة لتلبية حاجات لا تشبع.

[96] عبد الرحمن بدوي، **خريف الفكر اليوناني**، وكالة المطبوعات-دار القلم، الكويت-بيروت/لبنان، ط. 5، 1979، ص. 59-60.

النعيم الأسمى يكمن في عدم المعاناة في الجسد وعدم الاضطراب في الروح (النفس). الحكيم يبحث عن اللذات في السكون. ولكن ما هي الحاجات التي يضمن إشباعها لذة السكون؟ يجيب أبيقور بانتقاد الرغبات. هناك ثلاثة أنواع من الرغبات.

1. **الرغبات الطبيعية والضرورية**. من السهل جدًا تهدئتها وإشباعها. "هذا النوع من الرغبات بعضه ضروري للسعادة (مثل ممارسة الجنس مثلا – والأمثلة من عندي -)، وبعضه ضروري لسكينة الجسم (مثل النوم أثناء الليل، والدفء في أوقات البرد)، والبعض الآخر ضروري للحياة كلها (مثل شرب الماء بسبب العطش، وتناول الغذاء بسبب الجوع)، وهي في الأحوال الطبيعية في متناول الغالبية العظمى من الناس "[97].

"أليس الخبز والماء حقاً مرقًا رائعًا، إذا وجدهما المرء في وقت الجوع والعطش؟"

2. **الرغبات الطبيعية وغير الضرورية**، كالزواج والحب والحنان الأسري. " هذا النوع من الرغبات ليس سيئا طالما أنه طبيعي، لكنه يحتاج إلى حسابات الربح والخسارة، وبالتالي حسابات العقل إذا. مثال أوّل، الرغبة في السفر رغبة طبيعية لدى الإنسان، غير أنها ليست ضرورية دائما، ويَحسُن التحكم فيها تبعا للظروف والإمكانيات والأحوال، وإلا سيغدو الأمر مجرّد تسكع وتيهان "[98]. وعلى الرغم من أن هذه الرغبات طبيعية ، إلا أن الحكيم يعرف كيف يتخلص منها ويتجاوزها. يحرص على عدم تعقيد حياته وإعطاء نفسه فرصًا للمعاناة.

3 ° رغبات ليست طبيعية ولا ضرورية مثل الرغبة في الثروة والسلطة والعظمة والمجد. يمتنع الحكيم عن الجري وراء مثل هذه الملذات والسعي لتلبيتها، التي تتجدد باستمرار، ولا يمكن أبدًا إرضاؤها وإشباعها وتنزع من الروح الطمأنينة والسكينة التي تصنع السعادة. " إنها كما يقول عنها أبيقور، ناجمة عن رأي باطل (الحكم الفاتيكانية). مثل الثروة والسلطة والشهرة وغيرها. هذا النوع من الرغبات مجرّد أوهام يجب التخلص منها، أو على الأقل يجب التعامل معها بحذر شديد لأنها تمثل خطرا على صحة الكينونة. وبلا شك تمثل الرغبة في الوصول إلى السلطة النموذج الأكثر دراماتيكية لإحدى أشد الرغبات خطورة في تاريخ البشرية "[99]. يقول أبيقور: " لقد كانت سعادة عظيمة بالنسبة لي؛ يقول أبيقور، لم أخلط نفسي في متاعب الدولة ولم أحاول إرضاء الناس وكسب إعجابهم؛ لأن الناس لا يوافقون على ما أعرفه، ولا أعرف ما الذي يوافق عليه الناس ".

بما أن اللذة هي الخير الأسمى، فإن الفضيلة لا قيمة لها في حد ذاتها. يجب أن نكتسبها من أجل السعادة التي يمكن أن توفرها وتضمنها لنا.

---

[97] سعيد ناشيد، **الطمأنينة الفلسفية**، دار التنوير للنشر والتوزيع، بيروت/لبنان، ط. 1، 2019، ص. 44.

[98] نفس المرجع، ص. 45.

[99] نفس المرجع والصفحة (ن. م. ص).

ومع ذلك، فإن أبيقور يفرد مكانة خاصة للصداقة، حيث يقول: " من بين الخيرات التي توفرها لنا الحكمة من أجل تحقيق الحياة السعيدة، الصداقة أعظمها جميعا " والصداقة مفيدة من وجهين إثنين: فهي مفيدة من جهة كونها تسمح بالتعاون والتضامن من أجل مقاومة النكبات والمصائب، وهي مفيدة أيضا بما توفره من لذة العيش معا والتمتع معا "[100]. ويعتبرها أبيقور خيرا ثمينا، فحياتنا، حسب أبيقور، " ينبغي أن تكون مهرجاناً للأصدقاء ينبغي لنا أن ننمي فينا عبقرية الصداقة، ونجعل منها ديناً لنا. ذلك أن الصداقة شيء عذب، وجميل، ومقدس. ولعل عطف الصداقة هو الهبة الأكيدة التي تتمتع بها في هذا العالم الذي نشك في قيمته !"[101]. وكان آخر تفكيره لأطفال ميترودول الذين تبناهم، فعلى "حد عبارة أبيقور، ليس أجمل من «رؤية الأقارب عندما المودة بين أفراد العائلة، أو عندما يبذل هؤلاء الأفراد قصارى جهدهم من أجل التآلف»"[102]. لقد امتد هذا الإحسان إلى جميع البشر وقال إن العبد صديق في حالة متدنية.

غاية الأخلاق الأبيقورية، كما نرى، هي **تعليم البشر عدم إفساح المجال للمعاناة من خلال تعديل وضبط رغباتهم والاعتدال فيها**. المثالي هو الأتراكسيا (ataraxie) أو عدم غياب المتاعب وانعدام المشاكل وهو شعور إيجابي. لقد "حدد أبيقورس اللذة بأنها "خلاص الجسممن الألم والنفس من القلق". وهو ما دعاه الأبيقوريون بالأتراكسيا ataraxia، أي هدوء عاصفة النفس أو الطمأنينة التي لا تقوم على طلب ملذات المأكل والمشرب والمنكح، بل على التفكير الراجح والبحث عن أسس الاختيار والاجتناب، ونبذ المعتقدات التي بواسطتها تتحكم أعظم العواصف بالنفس. ورأس هذه الفضائل حسن الروية phronesis التي هي أنفس الأشياء، حتى تكاد تمتاز على الفلسفة "[103].

المدرسة الابيقورية:

كان مذهب أبيقور ثروة أخلاقية عظيمة. في الأوقات العصيبة، كان هناك رجال قبلوه وكان لديهم، إن لم يكن السعادة، على الأقل السكينة وراحة البال، من خلال العيش وفقًا لمبادئه.

بعد أبيقور، تولى هرماركوس (Hermachus) إدارة المدرسة، و " الذي بقي أربعين عاما زعيما للمدرسة الأبيقورية "[104]، ثم خلفه كل من بوليسترات (Polystrate)، دونيس (Denys) و باسيليد (Basilide). انتشر المذهب في جميع أنحاء الإمبراطورية الرومانية مع احتفاظه بطابع الزهد. تم تدريسها أيضًا من قبل أبولودوروس

---

[100] أبيقور، **الرسائل والحكم**، مرجع سابق، ص. 137-138.

[101] كامل محمد محمد عويضة، **أبيقور ـ مؤسس المدرسة الأبيقورية**، دار الكتب العلمية، بيروت/لبنان، ط. 1، 1994، ص. 53.

[102] أبيقور، **الرسائل والحكم**، مرجع سابق، ص. 138.

[103] ماجد فخري، **تاريخ الفلسفة اليونانية – من من طاليس (585ق.م) إلى أفلوطين (270م) وبرقلس (485م)** –، دار العلم للملايين، بيروت/لبنان، ط. 1، 1991، ص. 169.

[104] محمد نور الدين أفاية ...وآخرون، **الموسوعة الفلسفية العربية (ج2)**، معهد الإنماء العربي، بيروت/لبنان، ط. 1، 1988، ص. 26.

(Apollodorus) ، زينو (Zénon de Sidon) ، و فيلوديموس (Philodemus). لقد تم تجديدها، إذا جاز التعبير، من قبل الشاعر لوكريتيوس (Lucrèce)، الذي اعتبر أبيقور إلهًا واستمد من فلسفته إلهام أجمل وألمع وأكبر الشعر، وقال فيه:" إنه كان إلهاً، نعم إنه كان إلهاً، ذلك الذي كان أول من كشفوا وسيلة الحياة التي يسمونها الآن بالحكمة "[105]. كما تفاخر هوراس (Horace)، الذي يعد من بين أعظم الشعراء اللاتينيين، بالعيش وفقًا لمبادئ أبيقور. لكن يبدو أن المذهب قد انحرف بشكل كبير وأن نعت أبيقوري بدأ يصبح مرادفًا للشهواني وحتى للفاسق والخليع. هذه هي الفكرة التي لدينا عادة عن أخلاق أبيقور؛ إذا كانت موجودة بالفعل بين الرومان في زمن الموقر أوغست (Auguste)، فسيكون من الظلم إلقاء اللوم على أبيقور نفسه.

[105] كامل محمد محمد عويضة، **أبيقور ـ مؤسس المدرسة الأبيقورية**، مرجع سابق، ص. 30.

المراجع

1- أفلاطون، **فيدون (في خلود النفس)**، ترجمة: عزت قرني، دار قباء للطاعة والنشر والتوزيع، القاهرة/مصر، ط. 3، 2001.

2- أبيقور، **الرسائل والحكم**، دراسة وترجمة: جلال الدين سعيد، الدار العربية للكتاب، تونس، ط. ؟، 1991.

3- إميل برهييه، **تاريخ الفلسفة (الجزء الثاني) – الفلسفة الهلنستية والرومانية –**، ترجمة: جورج طرابيشي، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت/لبنان، ط. 2، 1988.

4- أحمد فؤاد الأهواني، **فجر الفلسفة اليونانية – قبل سقراط –**، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة/مصر، ط 1954،1.

5- أميرة حلمي مطر، **الفلسفة اليونانيّة تاريخها ومُشكلاتها**، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة/مصر، 1998.

6- عبد الرحمن بدوي، **خريف الفكر اليوناني**، وكالة المطبوعات-دار القلم، الكويت-بيروت/لبنان، ط. 5، 1979.

7- يمنى طريف الخولي، **الحرية الإنسانية والعلم: مشكلة فلسفية**، مؤسسة هنداوي، وندسور/المملكة المتحدة، ط.؟، 2022.

8- تقي الدين أبي العباس أحمد الحراني/ابن تيمية، **نقض المنطق**، دار الكتب العلمية، بيروت/لبنان، ط. 1، 1999،

9- ماركوس أوريليوس، **التأملات**، ترجمة: عادل مصطفى، مؤسسة هنداوي، وندسور/المملكة المتحدة، ط.؟، 2019

10- زكي نجيب محمود، أحمد أمين، **قصة الفلسفة اليونانية**، مؤسسة هنداوي، وندسور/المملكة المتحدة، ط.؟، 2018.

11- يوسف كرم، **تاريخ الفلسفة اليونانية**، مرجع سابق، ص. 257.

12- رفيق العجم، **المنطق عند الغزالي: في ابعاده الارسطوية وخصوصياته الاسلامية: دراسة تحليلية**، دار المشرق، بيروت/لبنان، ط. 1، 1989.

13- عبد الرحمن بدوي، **الاخلاق النظرية**، وكالة المطبوعات، الكويت، ط. 2، 1976.

14- عثمان أمين، **الفلسفة الرواقية**، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة/مصر، ط. 3، 1971.

15- مصطفى النشار، **مدرسة الاسكندرية الفلسفية بين التراث الشرقي والفلسفة اليونانية**، دار المعارف، القاهرة/مصر، ط. 1، 1995

16- مصطفى النشار، **تاريخ الفلسفة اليونانية، ج2.**

17- وريف عبد الرؤوف عوادين، **الفلسفة اليونانية**، دار الجنان للنشر، عمان/الأردن، ط. 1، 2021.

18- جميل حليل نعمة المعلة، **نظرية الحركة عند فلاسفة اليونان: أرسطو طاليس أنموذجا**، دار غيداء للنشر والتوزيع، عمان/الأردن، ط. 1، 2020،

19- أنتوني جوتليب، **حلم العقل: تاريخ الفلسفة من عصر اليونان إلى عصر النهضة**، ترجمة: محمد طلبة نصار، مؤسسة هنداوي، وندسور/المملكة المتحدة، ط.؟، 2014.

20- إمانويل كانط، **نقد العقل المحض**، ترجمة: موسى وهبة، مركز الإنماء القومي، بيروت/لبنان، ط.؟، 1988.

21- الطيب بوعزة، **كزينوفان والفلسفة الإيلية " قراءة في أطاريح كزينوفان برمنيد ، زينون ، ميليسوس "**، مركز نماء للبحوث والدراسات، بيروت/لبنان، ط. 1، 2016.

22- ماجد فخري، **تاريخ الفلسفة اليونانية – من من طاليس (585ق.م) إلى أفلوطين (270م) وبرقلس (485م).**

23- مصطفى النشار، **تاريخ الفلسفة اليونانية من منظور شرقي- المدارس المدارس الفلسفية اليونانية في العصر الهللينستي**...

24- إمام عبد الفتاح إمام، **مدخل إلى الميتافيزيقا**، نهضة مصر للطباعة، القاهرة، مصر، ط1، 2005.

25- تشارلز باسترناك، **جوهرُ الإنسانية: سَعيٌ لا ينتهي وحَرَاكٌ لا يتوقف**، ترجمة: زينب عاطف، مؤسسة هنداوي سي أي سي، وندسور/المملكة المتحدة، ط.؟، 2018.

26- عبد الله إبراهيم، **المركزية الغربية - إشكالية التكون و التمركز حول الذات**، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت/لبنان، ط. 2، 2003،

27- برتراند راسل، **تاريخ الفلسفة الغربية، المجلد الأول**، ترجمة: زكي نجيب محمود، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة/مصر، ط. 1.

28- ولتر ستيس، **تاريخ الفلسفة اليونانية**، ترجمة: مجاهد عبد المنعم مجاهد، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة/مصر، ط. ؟، 1984.

29- أمين سلامة، **الأساطير اليونانية والرومانية**، مؤسسة هنداوي، وندسور/المملكة المتحدة، ط.؟، 2021.

30- عطيات أبو السعود، **الأمل واليوتوبيا في فلسفة إرنست بلوخ**، مؤسسة هنداوي، وندسور/المملكة المتحدة، ط.؟، 2021.
31- ألبير كامو، **أسطورة سيزيف**، ترجمة: أنيس زكي حسن، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت/لبنان، ط. 1، 1983.
32- مها عيسى فتاح العبد الله، **تأويل الأسطورة في كتابات أفلاطون**، دار الفارابي، بيروت/لبنان، ط. 1، 2016.
33- [1] ماكس إس. شابيرو، رودا أ. هندريكس، **معجم الأساطير**، ترجمة: حنا عبود، دار رسلان/دار علاء الدين – دمشق/سوريا، ط. 1، 2018.
34- محمد الخطيب، **الأديان في المجتمعات البدائية**، دار رسلان/دار علاء الدين – دمشق/سوريا، ط. 1، 2017.
35- روبرت إيه سيجال، **الأسطورة: مقدمة قصيرة جدا**، ترجمة: محمد سعد طنطاوي، مؤسسة هنداوي، وندسور/المملكة المتحدة، ط.؟، 2014.
36- كريس إمبي، **نهاية كل شيء: من الإنسان إلى الكون**، ترجمة: إيناس المغربي، مؤسسة هنداوي، وندسور/المملكة المتحدة، ط.؟، 2020،
37- فضيلة حسين، **فكرة الأسطورة وكتابة التاريخ**، دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع، عمان/الأردن، ط. 1، 2009.
38- عبد الرحمن العابو، **البطولي في أساطير الشرق القديم وملاحمه**، دار رسلان/دار علاء الدين – دمشق/سوريا، ط. 1، 2014
39- فراس السواح، **الأسطورة والمعنى – دراسات فى الميثولوجيا والديانات المشرقية .**
40- خليل ح. تادرس، **أحلى الأساطير الإغريقية**، دار كتابنا للنشر، المنصورية/لبنان، ط. ؟، 2008.
41- أحمد كمال زكي، **الأساطير**، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة/مصر، ط.؟، 1967.
42- قدرى قلعجى، **أساطير الامم**، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة/مصر، ط. 1، 2022.
43- مرسيا إلياد، **مظاهر الأسطورة**، ترجمة نهاد خياطة، دار كنعان للدراسات والنشر، دمشق/سوريا، ط. 1، 1991.
44- فراس السواح، **دين الإنسان: بحث في ماهية الدين ومنشأ الدافع الديني**، دار علاء الدين للنشر والتوزيع والترجمة، دمشق/سوريا، ط. 4، 2002،
45- أجيمس، **الأساطير والطقوس في الشرق الأدنى القديم**، ترجمة يوسف شلب الشام، دار التوحيدي للنشر والتوزيع، حمص/سوريا، ط. 1، 1998

46- حسام محيي الدين آلوسي، **مدخل الى الفلسفة**، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت/لبنان، ط. 1، 2005.

47- عبد العزيز الشرقاوي، **الذكاء بين النوعية والشمولية**، دار المعارف، القاهرة/مصر، ط.1، 2013.

48- محمد بن حامد الأحمري، **ملامح المستقبل**، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت/لبنان، ط.3، 2010.

49- كامل محمد محمد عويضة، **حصاد الفكر الفلسفي اليوناني**، دار الكتب العلمية، بيروت/لبنان، ط1، 1995..

50- عبد الرحمن مرحبا، **مع الفلسفة اليونانية**، منشورات عويدات، بيروت/باريس، ط3، 1988.